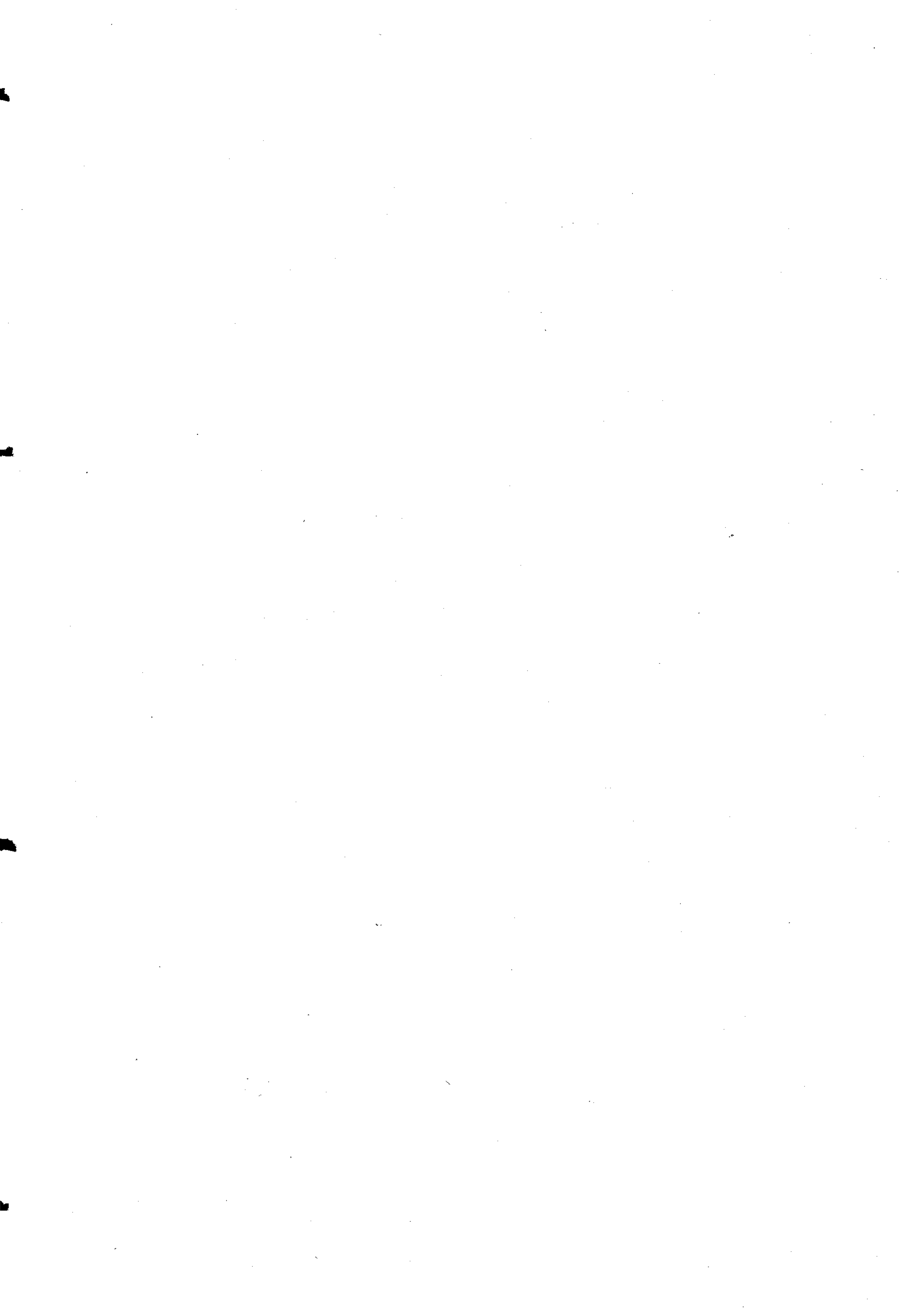


زحمة العمر

سبحات

رشاء



بسم الله الرحمن الرحيم

بيان : للأستاذ هاشم دفتردار المدني

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد المؤيد بمُعجزات وَحْي الله ، المتحديات كلّ معارف الحضارات . .

وَحْيُ الله المحفوظُ بحفظ الله إلى نِهاية الأبد . .

وهذا الحفظ عين الإعجاز :

١ – تلمسُهُ بكلّ حَواسِّكَ ناطقاً صارخاً – في أحلك الظروف ، وأسوأ الأحوال .

٢ – وتلمسُه إذا تفاقمتْ شراسةُ معاول الظالمين الطُّغاة ، واستهدفت يقينَ العلمِ والحقّ ، ونورَ الوحي المعجز المتحدي ، وقِسْطَ قِسْطاسه وعدلَ مَوازينه . بسفهِ غرَائزهم ورُعونةِ عنصرياتهم الممقوتة ، وحقدهم الموروث وانحراف تثقيفهم وترصّدهم الأعمى الأصم .

وهم أبداً على غير اكتراث بموءدة السلام ، وهُدى الوحي في أحفل حقائقه ، وفي أكرم مواكبه ، وفي أسطع كواكبه . . !!

٣ – أبصرنا كلّ ذلك بعد رحيل الأسلاف الصالحين في القرون الأولى الثلاثة . . ولولا أن الله كان يتعهد هذا البيان العربي الأصيل العالي بأمراء نبلاء ، وبحُكام عظماء . يمدون أدباءهُ وعلماءهُ ، بدفق الحياة العتيدة القويّة ، ويَصْعَدون بهم إلى مواصلةِ الإثمار العبقري الناضج . . لعَسُرَ رأبُ الصدع وما أهوله . .

ولولا أنها كلمةُ إيجاز عن مكان أدبنا العربي وأقداره واطراده لأدليتُ بإسهاب عن كل ما كان ، وما يمكنُ أن يكون قديماً وحديثاً على أجنحة التاريخ .

أما ما كان قديماً ، فكم من أمراءَ وَحُكام شيّد الله على سواعدهم – منائرَ – البيان العربي الصحيح ، وأمْجادَه في عهودهم ، وما وراءَ عُهودِهم على مدى التاريخ . . تتوهج مطالعُها بيُمْن أسمائهم إشراقاً واعتزازاً وخلوداً .

وكانَتْ لهم رِدَاهٌ فِساحٌ يحتشد فيها اللسنُ ، وأغْنيةُ الحرفِ المهذب ، وإبداع الكلمة المؤمنة ، بكلّ منافعها الماكثةِ في الأرض . .

أنظر . . هذه رَدْهَة الأمير أحمد بن المعتصم ، مزدهية بعباقرةِ الكلمة العالية ، ونوابغ الفكر النّير . . وها هو أميرُ شعراء عصره حبيب بن أوس الطائي . . يلقي

قصيدته السِّينيّةَ العصماء أمام الأمير أحمد ومنصةُ البيان زاهيةٌ به ، وآذانُ الحضور منتشيةٌ وقلوبُهم تفيض بشراً . . ولمّا وصل إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سماحةِ حاتمٍ   في حِلْمِ أحْنَفَ في ذكاء إياسِ

حاول الفيلسوفُ الكندي أن يخفف ، من سطوة البيان وسحره في نفس الأمير ، وهو مأخوذ به . . فصرخ مُنْكراً . .الأمير فوق مَنْ وصفت . . فلميكترث أبو تمام لقوله بل رد عليه إنكاره خاطفاً . .

لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس

فاللهُ قد ضرب الأقلّ لنـــوره   مثلاً من المشــكاةِ والنــبراس

وكان وقعُ رَدِّ أبي تمام عاصفاً ، لأنّ الحق لا يحجبُه حجاب ، مهما كان لونُ ذلك الحجاب . .

وكان من أثر ذلك الانتصار إسنادُ رئاسةِ بريد الموصل إلى أبي تمام ، لينهض برسالة الأدب ، وقد نهض . .

٢ — وكم من ذكرياتِ عطرة الأنفاس تخف بك إلى رَدْهةِ سيف الدولة .الحمداني في حلب الشهباءِ لكي تستمتعَ بنَضْرة خمائلها ، وأغاريدِ أطيارها . .

وتلقي هنالك شاعرَ العربِ الأكبر ، وحكيمَها المفكر الصادح ، أحمد المتنبي وقد وَطّدَ في أعلى ذراها وأنضرِ أفنانها كرسيّ إمارة الشعر . وهو ينشد مختالاً فخوراً :

وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي   إذا قلت شعراً أصبح الدهرُ منشدا

وقوله :

ما نال أهلُ الجاهلين كلهـــم   شعري ولا سمعت بسحري بابل

* * *

وفي فجر هذه النهضة السعودية المجيدة التي تحققت فيها وَحْدَةُ كلمةِ العرب في وطنهم المقدس الأم . .

كان الاهتمامُ بلغةِ القرآن المجيد وآدابِها ومعارفِها كبيراً جداً .

شُيِّدتْ لها الجامعَاتُ والمعاهدُ والنوادي الأدبية .

وكان من أثر ذلك أن أقيمت رَدْهة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل ، من أجل الحفاظ على الإسلام ومعالمِه ، واللغة وآدابها ومعارفها .

رَدْهة لها طابعها العالي الممتاز ومن مفاخرها الخالدة إخراج المؤلفات العَبْقرية النافعة .

وكنتُ لا أريد التنويه بمزايا صاحب الردهة الفيصلية . لأن مزاياه في غنية عن ذلك .

ولكن الذي اضطرني إلى الإلماع المقتضب هي كلمةُ أسرة الشاعر الآتية :

كلمة أسرة الشـــاعر

هذه المجموعة الكاملة من شـعر والدنا المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب مدينة لظهورها فى هذا الثوب المتكامل الذى يراه القارىء لصاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل ، فلقد علم سموه أن نادى جدة الادبى سيتولى اصدار مختارات منها فتفضل مشكورا بابداء رغبته فى اصدارها كاملة على نفقة سموه الكريم، وليست هى أولى أيادى سـموه الـــكريم ولا آخرها على الادب والادباء وهو الامير الشاعر والكاتب الناثر فلسموه الكريم اجزل الشكر وأوفى التقدير ادامه الله تعالى ذخرا للادب والفضل وجزاه عنا وعن والدنا الفقيد افضل الجزاء .

أسرة الشيخ ضياء الدين رجب

وإني أردف بشكرِ أسرة الشاعر الكبير الشيخ ضياء الدين رجب شكري على اختياري للقيام بهذه المهمة على جهد الشيخوخة .

وكان الأديبان الكبيران الأستاذ عبد المجيد شبكشي والأستاذ محمد علي المغربي هما اللذان انتدباني لأتولى القيام بهذه المهمة المجهدة . لأن الديوان المرسل من وزارة الإعلام هو في مطبعة الأصفهاني ولولا أن الأستاذ الكبير محمد علي المغربي كفاني بمقدمته النفيسة مَؤونةَ دراسةِ شعرِه ، وتحليله ، والتنويهِ بمكان الشاعر المرموق بَيْنَ شُعرائِنا المواطنين النوابغ ، وعرضِ مَزاياهُ ، وقوة عارضته وسحر بيانه في شواهده ... لكان الجهدُ أَضْناني .

ويعلم الله أني قضيت الأشهر الثلاثة شعبان ورمضان وشوال وهأنذا في شهر ذي الحجة . وأنا أراجع أصول الكلمات المستعملة في المعاجم لضبطها بالمقدار الذي يملكه ضعف الإنسان ووعيه المحدود . .

ولما كنت أفقد معرفة أوزان الشعر المعرفة الصحيحة استعنت بالشاعر الكبير السيد محمد حسن فقي لقربي منه في مكتب المجلة العربية . . وبالرّحيمين البحاثتين الأديبين الشيخ عبد القدوس الأنصاري ، والسيد علي حافظ . .

استعنت بهم في وزن بعض الأبيات التي اقتضى الأمر في العودة إلى صحة وزنها . . ولا غرابة أن يكون ذلك .. فإن النسخ مسخ نجد ذلك في المؤلفات المخطوطة والمطبوعة على الآلة الكاتبة .

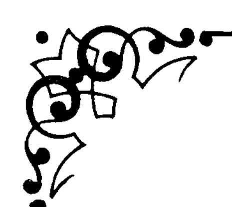
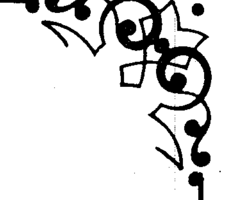
ومع كل ذلك اعتقد أنه أفلت بعض ما لم نفطن إليه ، وشمول العلم لله وحده وله كل الأمر . من قبل ومن بعد .

هاشم دفتردار المدني

غرة ذى الحجة عام ١٤٠٠ هـ

الموافق ١٠ اكتوبر عام ١٩٨٠ م



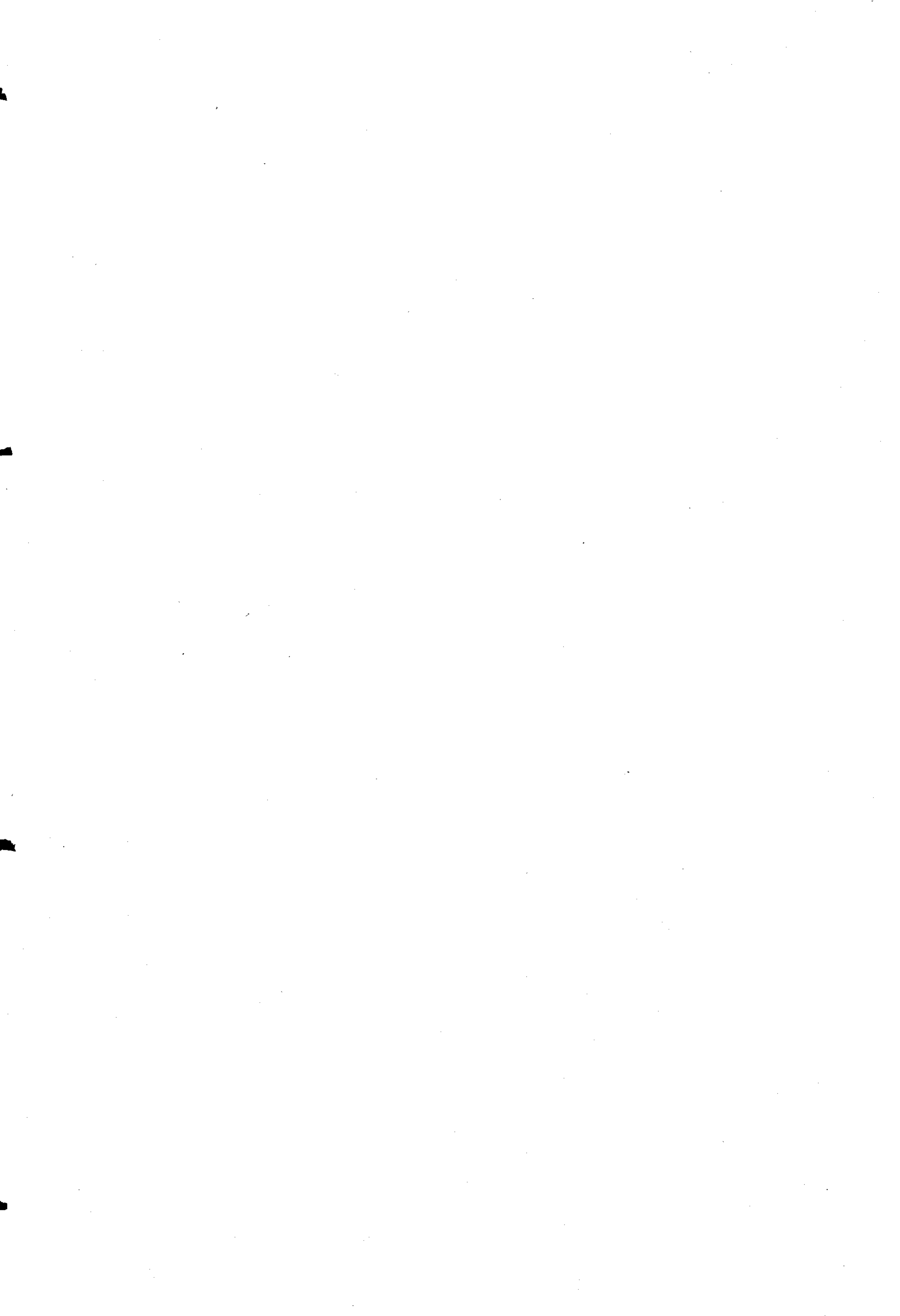
زحمة العمر : للمرحوم الشاعر ضياء الدين رجب

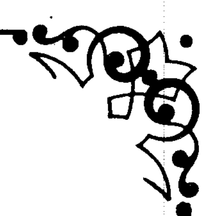
كنت أود أن أخلص من نفسى فى يوم ما ولكن ما انطوت عليه تلك النفس من آمال وآلام جعلتنى أوثر الانطواء عليها فلا ألقى بها على الناس حتى لا أشركهم فى متاعب حياتى وزحماتها لأنى أعتبر ذلك خلاصاً من النفس وتخلصاً منها ونفضاً لأوشابها وبلاويها .

من أجل هذا لم أفكر جاداً فى طبع ديوانى فى حياتى بل كنت أوثر أن يظل تحت ركام هذه الحياة ثم ينشر على الناس فيتحدثون عنه كما يشاؤون بلا مجاملة ولا محاباة فيقرأون أثراً محضاً لذاهب لا يخافونه ولا يرجونه . . ولكن إلحاح الكثير من لدات العمر ورفاق الحياة على أن أطلع الناس على آثاري هو الذي شجعنى على هذه الانتفاضة وتقديم هذه الزحمة بكل ما فيها . . والواقع أنها ليست منى ولكنها من الحياة وإليها ولم أرد وأنا أضع هذه الكلمة أن أقدم لأثر لست أنا راضياً عنه كل الرضا ـ ولهذا أحجمت حتى عن تقديم رأيى فى الشعر والأدب بوجه عام حتى لا أعبر عن نفسى ولا أدافع عنها فى قليل أو كثير .

. . .

« ضياء الدين رجب »



مقدمة: للأستاذ الشيخ محمد علي مغربي

هذا الكتاب بما حواه من قصائد ومقطوعات كثيرة هى حصيلة شعر الشاعر الشيخ ضياء الدين رجب خلال رحلته في هذه الحياة ، فلو قلت إنه حصيلة خمسين عاماً من ممارسة الشعر لما كنت مبالغاً في التقدير ، ولو قلت إنه حصيلة عمر الشاعر كله لما تغاليت في التعبير ، ذلك أن هذا الشعر لم ينشر قبل اليوم كاملا في كتاب وإنما نشرت منه قصائد قليلة في أوقات متفرقة في بعض صحف المملكة مثل صوت الحجاز ، والبلاد ، والمدينة المنورة ، ، ومجلة المنهل ، وقافلة الزيت ، وكان هذا القليل الذي نشر قد وضع الشاعر موضعه الصحيح بين أبرز شعراء المملكة في هذا العصر ولعل هذه المجموعة الضخمة حينما تطالع القاريء متكاملة تضع الشاعر بين أبرز الشعراء في بلاد العرب قاطبة وليس في وطنه فحسب .

إن صاحب هذه المجموعة قد تكاملت لديه الخصائص التي يجب توفرها في شاعر كبير فهو مرهف الحس ، متوهج العاطفة ، وقد امتلك ناصية البيان كما وهب القدرة على الصياغة الشعرية في أداء يجمع بين نصاعة الألفاظ ، وجمال المعاني ، وتوفر الصور الشعرية وكل هذا في عاطفة متدفقة وإحساس متوثب تحس فيه بهذا الوهج الذي به يكون الشعر شعراً .

إن الشيخ ضياء الدين رجب هو من هذه الفئة القليلة من شعراء هذه البلاد التي انقادت لها مقاليد اللغة فهو من الشعراء الذين جمعوا في تحصيلهم بين المدرسة والمحراب ولقد تلقى دراسته هذه على أيدي كبار علماء المدينة المنورة في عصره فهو من هؤلاء الطلبة الذين أخذوا العلم حبْواً على الركب وهم يجلسون في حلقات الدرس في رحاب المسجد النبوي الشريف بين أيدي أشياخ أجلاء تمكنوا من علوم الدين فقهاً ، وحديثاً ، وتفسيراً ومن المعلوم أن دراسة هذه العلوم مرتبطة باللغة بياناً وبديعاً ونحواً وصرفاً ، وكان هؤلاء الأشياخ ولا يزالون يعقدون حلقاتهم في أعقاب الصلوات وبين العشائين فيتنقل الطلاب بين تلك الحلقات حاملين كتبهم ودفاترهم فيجمعون بين شرف العلم ونور العبادة ، في رحاب أكرم المدارس وأعظم المحاريب ، ويكفي أن نعلم أن شاعرنا بنتائج هذا التحصيل قد رُشِّحَ ليكون قاضياً في العشرين من عمره وتولى قضاء مدينة العلا وهو

في هذه السن الباكرة بعد أن اعترف له أشياخه بالتفوق والنبوغ . ولقد أضاف الشاعر إلى هذا التحصيل الديني واللغوي اطلاعاً كبيراً على الشعر العربي في مختلف العصور فزاد هذا الاطلاع بيانه صقلا وتعبيراته ثراءاً ، وانك لتلمس أثر هذا الاطلاع فيما تقرأ من شعره الذي يذكرك بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره وأجمل صوره وأن هذا الذي تحسه وأنت تقرأ هذا الشعر لا يذكرك بأن هذا الشعر هو تقليد لقديم الشعر العربي وإنما يذكرك بأن الشاعر إنما يستمد جذوره من هذا النبع الأصيل الجميل ، ذلك أن الشاعر قد استطاع الاحتفاظ بشخصيته المستقلة وهي شخصية تتجلى خصائصها للدارس لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر في جلاء ووضوح . وسنعود إلى إيضاح ذلك حينما نتحدث عن شخصية الشاعر التي تتجلى في مختلف قصائد هذه المجموعة والتي تؤكد أن الشاعر إنما يصدر عن عواطف معينة وأحاسيس واضحة تأبى إلا أن تعبر عن نفسها حتى حين لا يتوقع المرء هذا التعبير .

الشعر : —

لقد تحدثنا عن الشاعر بقدر ما تسمح به هذه العجالة وسنتحدث الآن عن ديوانه أو دواوينه التي تجتمع بين دفتي هذا الكتاب الضخم والذي يذكرك بالدواوين الضخمة للشعراء العرب من قدامى ومحدثين قبل ظهور الدواوين الجديدة للشعراء المعاصرين والتي تضم عشر قصائد أو أقل أو أكثر يطلق عليها الشاعر إسماً معيناً فتستوي له دواوين كثيرة بدلاً من ديوان واحد يتكون من عدة أجزاء .

إن ظهور هذه المجموعة الضخمة من شعر الشاعر في كتاب واحد هو ضرورة أملاها تأخُرُ نشر هذا الشعر إلى ما بعد وفاته ليصدر في مجموعة واحدة كبيرة .

ولقد ترك الشاعر هذه المجموعة مرتبة منسوخة على الآلة الطابعة وقسمها إلى المجموعات الآتية : —

١ — الشعر الروحي ٢ — الشعر الوطني ٣ — الشعر الاجتماعي

٤ — الشعر العاطفي .

وأطلق الشاعر على هذه المجموعة الضخمة وهي تمثل الجزء الأكبر من شعره اسم — زحمة العمر — ويضمها مجلد واحد كبير حوى معظم شعره ويبدو أنه ألحق هذه المجموعة الضخمة بعد ذلك بما استجد لديه من الشعر في مجلد صغير آخر أطلق على هذه البقية اسم — سبحات — وهذه البقية في مجموعها يمكن أن تدخل في باب الشعر العاطفي فيبقى التقسيم الذي وضعه الشاعر كما هو دون تغيير ونعود الآن إلى هذا الشعر بأنواعه المختلفة لنتحدث عنه بقدر ما يسمح المقام .

هذا وكانت للشاعر مجموعة من القصائد والمقطوعات فى رثاء ابنه حمزه فى مجلد خاص وقد ألحقناها بهذه المجموعة فى باب خاص هو شعر الرثاء وسنتحدث عنه فيما بعد .

لقد قلنا إن القراءة لهذه المجموعة تذكر القارئ بهذا النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ ، وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات فلا يصدم السمع منه كلمة نابية أو جملة دخيلة ، أو معنى فج ، وإنما هناك موسيقى متناسقة الجرس ، عذبة النغمات ويتجلى هذا في كافة شعر المجموعة ليخرج منه القارئ بأن الشاعر صاحب أسلوب متميز فريد ، وللقارئ أن يتذوق هذا كله فيما نورده من نماذج هذا الشعر على اختلاف أغراضه ودون تمييز .

يقول الشاعر في قصيدة من الشعر الروحي بعنوان (دار الهدى) : —

جادك الغيث أماناً وسلاما ورضاً سمحاً ويُمْناً وابتساما
يا دياراً حلم الغيث بها يتحرّاها سحاباً وغماما
فإذا ما انطلقت أضواؤه ذاب حُبّا في مغانيها وهاما
شامها بارقة معطورة شمها جبريل من قبل وشاما
دونها الخلد بما ألبسها صانع الخلد جمالا ومقاما
الشذى يألق من لألائها والسنا ينضح عطراً وخزاما
والدنا تسبح في أفلاكها تعبر النور الذي ينسى الظلاما
إنها الأضواء في دار الهدى بهرته فرأى البرق جهاما

وأنت حين تقرأ هذا الشعر تشعر بهذه الموسيقى تنساب إلى النفس في هدوء وعذب فكأنك في روضة معطورة تشابكت أغصانها وتفتحت أزهارها ، وتغنى الطير على أمتانها بعد أن جادها الغيث بنفح السماء ، ثم يخلص الشاعر ليقول لك أن هذه الروضة الباسمة الحالية .

إنها الأضواء في دار الهدى بهرته فرأى البرق جهاما

وهذا النسق العالي من الصياغة الرائعة يتجلى في كل قصائد هذه المجموعة الضخمة فإذا انتقلنا إلى قصيدة أخرى طالعتنا هذه الأبيات : —

يا قباب الفيحاء يا بسمة الروح ويا بهجة الفؤاد الشجي
لثم الحب ذاته وتغنى الشوق في صمته الجلي الخفي
وتهادت على مشارف سلع نفحات من الشذي النبوي

وتبددت قبـاء والألـق الضاحي وشـاحٌ من عسجـد عبقـري
النبيُّ المبعـوث في خير أرض صـانها مـن منـافق ودعـي

ونمر عبر الديوان بقصيدة أخرى بعنوان عرفات : ـ

الأغـاريـد في السمـاء نـداء والـرحـاب الخضراء والأضواء
والحشود التي أطلت مع الفجـر عـلى الموقف العظـيم دعـاء
والحيارى والراقصون على السحب أظلـت أفيـاؤهـم أفيــاء
والـثراء العريض والجـاه والملك حطـام عـلى الـثرى مشــاء
والمغـاني الفيحـاء وارفة الظل وآسـاد غـابهـا والظبــاء
والمقـاصير والخيـام وقطعـان حمـــاها مـع الـرعـاة سـواء

وليس أجمل من هذا الوصف للمساواة بين الناس في عرفات ولا أجمل من هذا الأسلوب الرائع المبدع في إشراق بيانه وشرف معانيه .

فإذا انتقلنا من هذا الشعر الروحي إلى الشعر الوطني تطالعنا إحدى قصائد الديوان ـ وحدة القلوب ـ : ـ

أرأيت كيف طـوالـع الآمـال موصـولة الإقبــال بالإقبال
ترنح البسمات فـوق ثغـورها سكـرى وأنت حيـالهـا وحيالي

ومنها يقول : ـ

وتـرفقت نسمـات مصر فرفرت في الشام بين مرابـع وظـلال
فحملن عن بردي أرق نسيمــه ينسبن بـين سبـاسب وتـلال
ومها تحوم على الموارد في الحمـى وموائس في الغـوطتين حـوالي
حتى أغرن البان لسن حـواذرا وزحمنـه في موكب المختـال

وهناك قصيدة أخرى بعنوان يا مصر مطلعها : ـ

يا مصر يا مصر ما أحلاك صاحيـة وصحوك العذب وسنان الرؤى غرد

ومنها يقول :

يا مصر أنت هوى قد صيغ من ضرب الشمس تنهل منه والضحى بـرد
والظل يسحب فوق الظل أجنحـة كالروح يمرح في أنفاسها الحسـد

ومنها : —

يا رعشة حلوة في خافــق رجفــت	**أضواؤه في هــوى يدنو ويبتعــد**
ويا حنيناً تلاقى في مســاربــه	**نجري به الريح رهواً والضحى رأد**
ذاب الدجى في تلافيف الســرى	**فهفت أشعة فجرها الوسنان متئــد**

ولو ذهبنا في الاختيار لأطلنا على القارئ والمجموعة كلها من هذا النسق العالي من اللفظ الرائق والمعنى الرائع تنظمها هذه الموسيقى العذبة والأخيلة الشعرية الأصيلة .

شخصية الشاعر : —

إن القارئ لهذه المجموعة الكبيرة من الشعر يستطيع الخروج منها بصورة واضحة المعالم والملامح ، تحمل أفكاراً معينة تدل على البيئة التي ولد فيها الشاعر ونشأ والأرض التي درج عليها والمغاني التي تعلقت بخياله بل والآداب التي أشربها وربي عليها فهو من مواليد دار الهجرة ، ولد في رحاب طيبة الطيبة وأشرب الحب خالصاً لصاحب الرسالة الأعظم ، كما انطبعت مغاني هذه الرحاب الطاهرة في نفسه وخياله فهو لا يمل الحديث عن قباء وسلع ، وأحد وأريس ، والروضة والمحراب والقبة الخضراء والمآذن الفيحاء والنخيل والزهر والعقيق ومغانيه وكما تتجلى هذه الصور في شعر الشاعر تتجلى كذلك أمجاد هذه البلاد المقدسة وتاريخها العريق الذي هو تاريخ ظهور الإسلام وفتوحاته وأمجاده وامتداده في الأرض فهذا التاريخ حي أبدا في خياله وهو مقرون أبدا بالأسى على حاضر الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها فهو لا يفتأ يذكر به كلما أدلهم الخطب واشتد الكرب ، والثقافة الدينية التي تشرب بها الشاعر صغيراً تبقى هي النبراس الذي يهتدي به ويهدي إليه فهو لا يفتأ يدعو إليها ويذكر بها فهو ابن بيئته وربيب ثقافته تلمح هذا في مختلف قصائد هذه المجموعة الضخمة على اختلاف أنواع القصائد وتنوع أغراضها : —

يقول الشاعر في أفراح الجزائر : —

انظــر لأفــراح الجــزائــر	**في الثغــور وفي التخــــوم**
في الكــون في عليــا المنــــازل	**في القبــاب وفي الســـديم**
في العــالــم العلــوي تــاه اليــــوم	**في المــلأ الـعظـــيم**
في المسلمــــين وإنــه المجــــد	**المــرفــل فـــي الصمـــيم**
منحــــوه أرواح الشهـــــادة	**فـــي الصـــراط المستقـــيم**
هـــذا هـــو المجـــد الزعـــيم	**يضـــج فـــي روح الــزعــيم**

وهناك قصيدة – أغنية زمزم وأريس (وأريس هذه بئر مشهورة في المدينة) .

هل رشفت المزن رشفا ثم حليت بزمزم
صفقوها بأريسٍ وسرى البدر الملثّم
بشعاع يتلثّم
من رضابك

وقصيدته في ربوع المدينة : –

بين سلع وقبا من مجالي يثرب
قد مشينا الهيدبى سبسباً في سبسب
صفقت أيامنا
شعشعت أحلامنا
بين أحضان العقيق من شروق لغروب
كم روينا من رحيق بين كأس وحبيب
والمنى في ظلنا
نهلها من نهلنا
والغوالي في العوالي ينفح العطر شذاها
وظباها في المعالي هدهدت سحر ظباها
فسل الجزع ورامه والمصلى والغمامه
والشذى في أحد من عبير الشهداء
عبرة للأبد في مجالات الفداء

ومن قصيدة قيمة الشعب التي نظمها الشاعر في شبابه : –

ولعمري هذا الحجاز حفي ولديه كرامة في خصاله
وبنيه ان ساءلوا العنصر الحي وكنز الخلود في أعماله
جاوبتهم أصداء مجد عميق يستفز الحنين في نجواله
يتغنى بمجده السالف العهد ويبدي تلعثماً في مقاله

وفي قصيدة خلود البطل التي يهديها الشاعر إلى روح الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الريف يقول : —

المجد أشرق في لفائف مهده … فمشى خدين وفاته في لحده

وتلفت التاريخ بعد فلم يجد … إلاه في تبريحه أو سهده

ومنها : —

تنهل في الدنيا سواكب فيضه … وتهل بالرحمى سحائب رفده

وخلائق المجد الأصيل شمائل … تصل الحياة بحظه وسعده

وتشع اشعاع الهدى في موطن … غذاه من دمه الزكي بشهده

وفي قصيدة تلك الخيام : —

ولقد ذكرت النابغي وليله … وعكاظ حول قبابه البيضاء

ولمحت عن كثب خيال سكينة … وسكينة من قبلها الخنساء

ولقد نظرت البحر بين مداره … ومساره وكأنه الصحراء

خطرت حواريه الحسان حملنها … عيس تماوج تحتها البيداء

فكان اشعاع الهوادج هالة … ضفرت ذوائب حسنها القمراء

وانك لتجد أمثال هذه المعاني حتى في شعره العاطفي حيث لا يتوقع وجودها فيه .

أنظر قصيدته يا ضاحك العين حيث يقول : —

من سر عينيك ومن سحرها … تصوغ للبسمة بسامها

براءة في ظل أنفاسها … أطيابها تغسل آثامها

ناسكة تعبق أردانها … ما فارقت في الحل أحرامها

ومنها : —

وآمنت بالله في حبها … وأسرعت تعلن إسلامها

وفي قصيدة لماذا أحبته : —

أحبته في تحنانه وحنانه … وراعته في إيمانه وأمانه

وفي قصيدة حب وأشواق : ــ

أنا من طيبة وحسبك مني ... لذة نزعة الهوى لدمشق
ضمخت أرضها طيوب النبوات ... فإني حللت أشذاء عبق

وفي قصيدته صورة : ــ

حجازية الطبع والمحتد ... عراقية النبت والمولد
كأن زروداً بغزلانه ... جرى في الرصافة كالعسجد
ومازج بين عيون المها ... وكحلها بعد بالأثمد
وغار العقيق من الدجلتين ... وصفق للنبع والمورد

وفي قصيدة من هي : ــ

تخبرها قلبي فلا الحب حبكم ... ولا وصفكم وصفي ولا جهدكم جهدي
غرام سماوي والمعاني مجنح ... وألطافه شيء خصصت به وصدى

وفي قصيدة رشح العناقيد : ــ

يا سقا الله في رحاب القداسات ... طيوفاً من الهوى المستكن
يا رعا الله في الربوع الكريمات ... مصابيح من جمال وفن
وادياً أشرقت عليه النبوات ... فكانت أبهى ملائك حسن
فإذا لاح في الرؤى غير ذي زرع ... فقد عاش في ظلال وأمن
وطني إنها القلوب حواليك ... فدعني أقبل الأرض دعني

وهكذا تظهر شخصية الشاعر معبرة عن نفسها في أجمل صورة وأحلى بيان :

أغراض الشعر : ــ

لقد ذكرنا في صدر هذه المقدمة التقسيم الذي وضعه صاحب هذه المجموعة لشعره وهي تتألف من الشعر الروحي والوطني والاجتماعي والعاطفي ، وأن القاريء لهذه المجموعة الضخمة من الشعر ليجد فيها تنوعاً في الموضوعات وخاصة فيما يتعلق بتلك القصائد التي أدرجها تحت عنوان الشعر الاجتماعي فهي إلى جانب ما تضمه من قصائد المناسبات الوطنية والرثاء تضم قصائد كثيرة يضمنها الشاعر آراءه في أمور كثيرة من واقع الحياة مثل (قصة الجرم العقيم ــ وحكاية البلبل المنتحر والنادمة والبحر وضاربة الودع ودودة القز

وأغادير وغيرها وغيرها من القصائد الكثيرة التي تأتي تحت عنوان الشعر الاجتماعي والقارئ لهذه القصائد يلمس فيها نواة للشعر القصصي ان صح هذا التعبير لو تعهدها الشاعر وتفرغ لها لكان له منها الروائع والبدائع فهي تجمع وحدة الموضوع من جمال الصياغة وموسيقية التعبير واختيار الوزن المناسب للموضوع وهو أمر يدل على أن الشاعر قد دانت له كل الأسباب التي تهيئ للشاعر حسن الصياغة وجمال التعبير إلى جانب وضوح الفكرة وشمول النظرة ولو ذهبنا نستشهد بشئ من هذه المجموعة لطال بنا نفس القول وإني لأكتفي باقتباس بعض الأبيات من قصيدة ضاربة الودع ومطلعها : —

جاءت ملثمة وتنتزع ... اللثام البسمة العجب
والنظرة النجلاء قائلة ... شيئاً يخالسها فينسرب
والصوت لمح فيه أدمعها ... في نبرة من عمقها تثب

ومنها : —

جاءت ملثمة وفي يدها ... ودع توشوشه فينجذب
نثرته فوق الرمل قائلة ... زينا أبين بعض ما يجب
سر الصبايا لا أبوح به ... إلا لهن فدونه الحجب
وسرائر الفتيان ألمحها ... والعلم عند الله محتجب
فتقاطر الحضار واستبقوا ... وبياضهم يجري وينسرب
أسماعهم لهفى وأعينهم ... عطشى تحاورها وترتقب

ومنها : —

قالت لهند وهي واجمة ... لك غائب أحواله عجب
مرت به في عمره محن ... وله عدو ربعة ذرب
ووراءه أنثى لها ولد ... إن تنأ عنه فمنك يقترب
وشموع فرح وسط منزلكم ... ستضاء دون سنائها اللهب
هي نقطة أو نقطتان إذا ... ذهبت سيذهب عنكم التعب

ولن أطيل الاقتباس من هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ نحواً من خمسين بيتاً فليقرأها القارئ كاملة في الديوان كما يقرأ أخواتها الكثيرات ليدرك مدى القدرة الفنية التي وهبها الشاعر في الوصف والتعبير . وهذا الموضوع يجرنا إلى القول بأن شاعرنا وهو من أبرز الشعراء العموديين استطاع أن يثبت أن هذا الشعر يتسع لمختلف الموضوعات كما يتضمن

أدق الأحاسيس وأروع الفكر ولقد كان حرباً على هذا الغثاء الذي ينضح به العجزة والمقلدون باسم الشعر الحر أو الشعر الجديد والشعر منه براء . ولقد وصفهم شاعرنا في قصيدته واشتاق حيث يقول : —

وقالوا قريض يقرض القيد ملؤه ... فراغ عميق يحذق النشر واللفا
وما فرغت إلا عقول عوائم ... على السطح تهوى أن تخف كما خفا
وكان الذي شاءت ففاضت قرائح ... وفاض هراء زاده جهلهم سخفا

الشعر العاطفي : —

ولنا كلمة أخيرة عن الشعر العاطفي في الديوان وهو يمثل مجموعة ضخمة من القصائد والمقطوعات ولقد حفل هذا الشعر بألوان من الصور والأحاسيس أبدع الشاعر في وصفها وتجلت قدرته في التعبير عنها بهذا الشعر الإنساني الذي تشعر معه برجفات القلب ، وتموجات الحس الذي يصور هذه العواطف التي تغمر القلوب فتظهر أدق خفاياها ، وتجلي سرائرها استمع إليه في هذه القصيدة المطربة بعنوان أتحلاك : —

أتحلاك في الأهلة تنسب ضياءاً بنور عينيك يرنو
أتحلاك في الخميل وفي الروض على نفسه يرق ويحنو
أتحلاك في الأصيل الذي ودع شمس الضحى حزيناً يئن
أتحلاك في المآقي التي يزحم إشراقها حياء وفن
أتحلاك في النسائم أنداء ألطافها رفيقه منك لحن

وهي قصيدة طويلة يقول فيها : —

كنت في أربع الحجاز غريباً ... فالهوى موطن وعش وكن
والهوى معزف يغرد للكون ... فيزهو بالحب عيش وكون
فاشهدي يا سماء أن حياتي ... في يد كلها سلام وأمن

ولا أريد أن أثقل على القارئ بكثرة الاقتباس والاستشهاد ولكن الذي يلفت النظر في هذا الشعر العاطفي أنه إنما يعبر عن عاطفة بريئة وأخلاق عفة كريمة والشاعر هنا إنما يعبر عن نفسه وأخلاقه فهو كما يقول الرافعي أنه يحب ولكنما معه أخلاقه ودينه والحب هو أرق العواطف الإنسانية وأقواها والشعر هو المجال الرحب للتعبير عن هذه العواطف الكريمة الجياشة بلا مراء .

شعر الرثاء :

افتقد الشاعر ابنه الوحيد الشاب حمزه ضياء الدين رجب الذي توفى في حادث سيارة وترك بعده زوجة وطفلتين هما حنين وأهداب وقدكان لهذا الحادث صداه العميق في نفس الشاعر خاصة وأنه لم يكن له من الذكور غيره ، وإن كان له أربع كريمات وقد ترك هذا الحادث الأليم في نفس الشاعر جراحاً عميقة من الأحزان إلا أنه قابل الحادث بصبر المؤمن بقضاء الله وقدره فلله ما أعطى ولله ما وهب ، ولكن النفس البشرية هي النفس البشرية فلقدكانت ذكرى العزيز الراحل لا تفارق خيال الأب الثاكل ، وإن كان يتجمل بالصبر ويكتّم الأحزان ، ولقد احتفى الشاعر بحفيدتيه اللتين خلفهما ابنه حمزه أجمل احتفاء وفيهما يقول : —

لا تسلني عن الحنين ففي الأهداب أضحى كما تراه واسمي
فهما الحب نشوة وهما الصفو حياة والروح قلبا وفما

وفيهما أيضاً يقول : —

هما عزائي في أعقاب داهية   لم تبق غير انكساري بين أحنائي

ويهيج الحنين بالشاعر فيذكر ابنه ويقول : —

كان ملْ العيون ثم توارى   وطوته فيمن طوتهم لديها

ويقول أيضاً : —

أين تلك الخطرات   أين تلك الخطوات
أين تلك البسمات   والعيون الضاحكات
يا حبيب القلب يا حمزة   والخلد حياة
أنت في العين وفي القلب   دعاء وصلاة

ويجيْ شهر رمضان فيقول : —

وأهل شهر كنت أول فرحة فيه تطالعني فغبت على المدى

ويمر عام فيقول : —

قد أهل العام الجديد علينا   يا حبيبي وأنت تسكن لحدك

ويجيْ العيد فيقول : —

يا حمزه هذا العيد أول مرة أحياه بؤسا

ويحل يوم عرفه فيتذكر الشاعر فقيده الراحل وينشد : ـ

ضرعت لله والدنيـا تعـج بـه   يـومـا أغـر رعتـه فيك أحداقي

ويمر عامان فيقول : ـ

يا قـرة العين هـذا حجنـا الثاني   وأنـت نـاء وفي أحشائنـا داني

أنها ذكرى العزيز الغائب تجددها المواسم والمناسبات وتحييها الأعياد فهي كالنار المخبوءة في القلب تتجدد ولا تنطفيْ ، وتتقد بالذكريات والأحداث .

إن رثاء شاعرنا لابنه الفقيد هو ذوب القلب الجريح والروح الآسي الحزين فلا عجب أن يستثير عبرات القاريْ وأشجانه رحم الله الشاعر وابنه الفقيد وأسبغ عليهما من رحماته في دار الخلود .

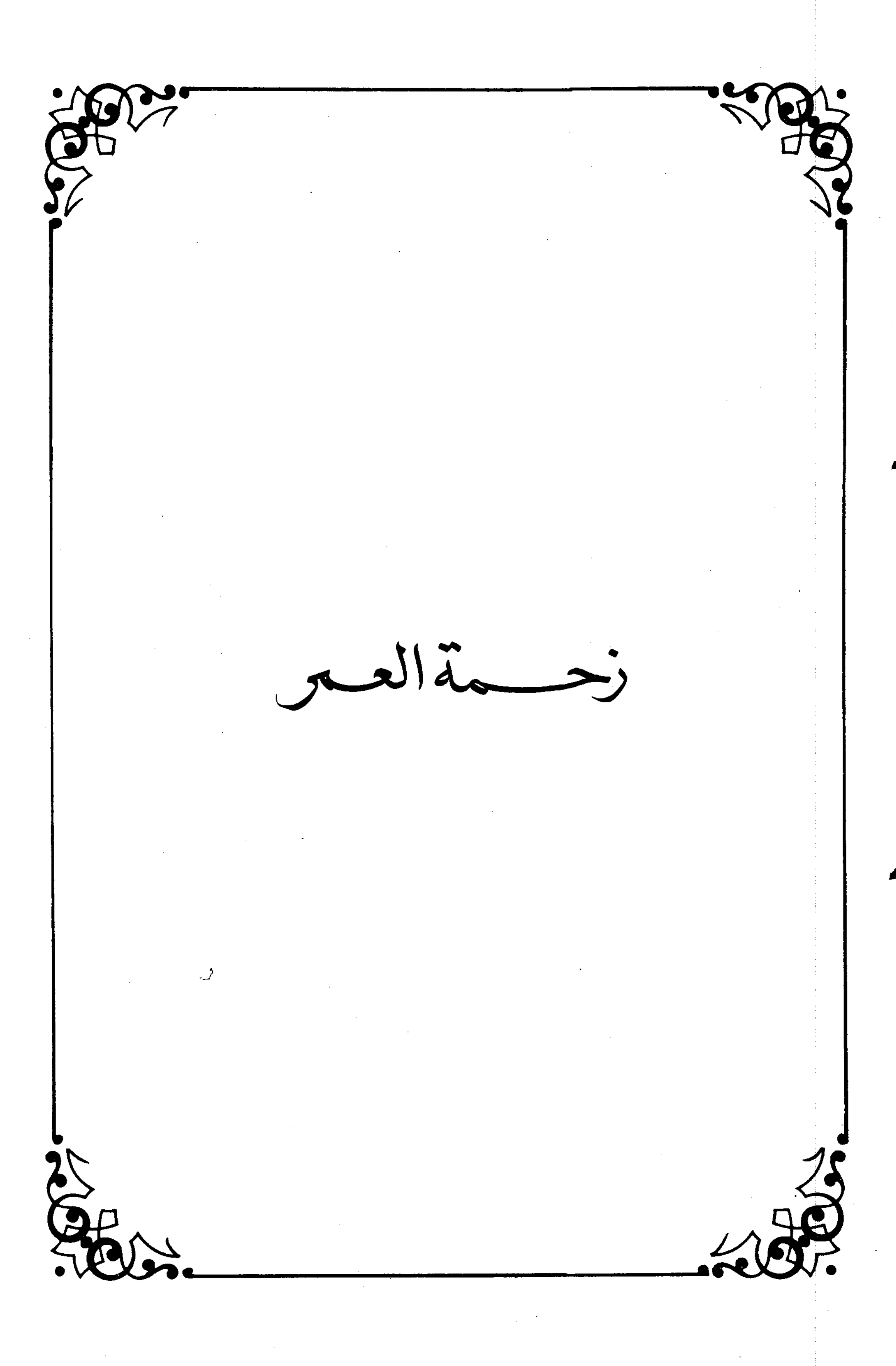
كلمة الختام : ـ

وبعد فقد طال بنا مجال القول في هذه المقدمة التي لم أكن أتصور أنها ستطول إلى هذا الحد وكلما أريد أن أختمه بها أن هذا الذي سطرته ليس دراسة لشعر هذه المجموعة وإنما هو خواطر خطرت لي أثناء قراءتي لها وأعترف أني قد استمتعت بهذه القراءة كثيراً وإني لعلى ثقة أن كثيراً من القراء سيستمتعون بها ويقدرونها قدرها كما أني آمل أن تجد هذه المجموعة الشعرية الضخمة من اهتمام الدارسين والأدباء ما تستحقه من عناية ودراسة .

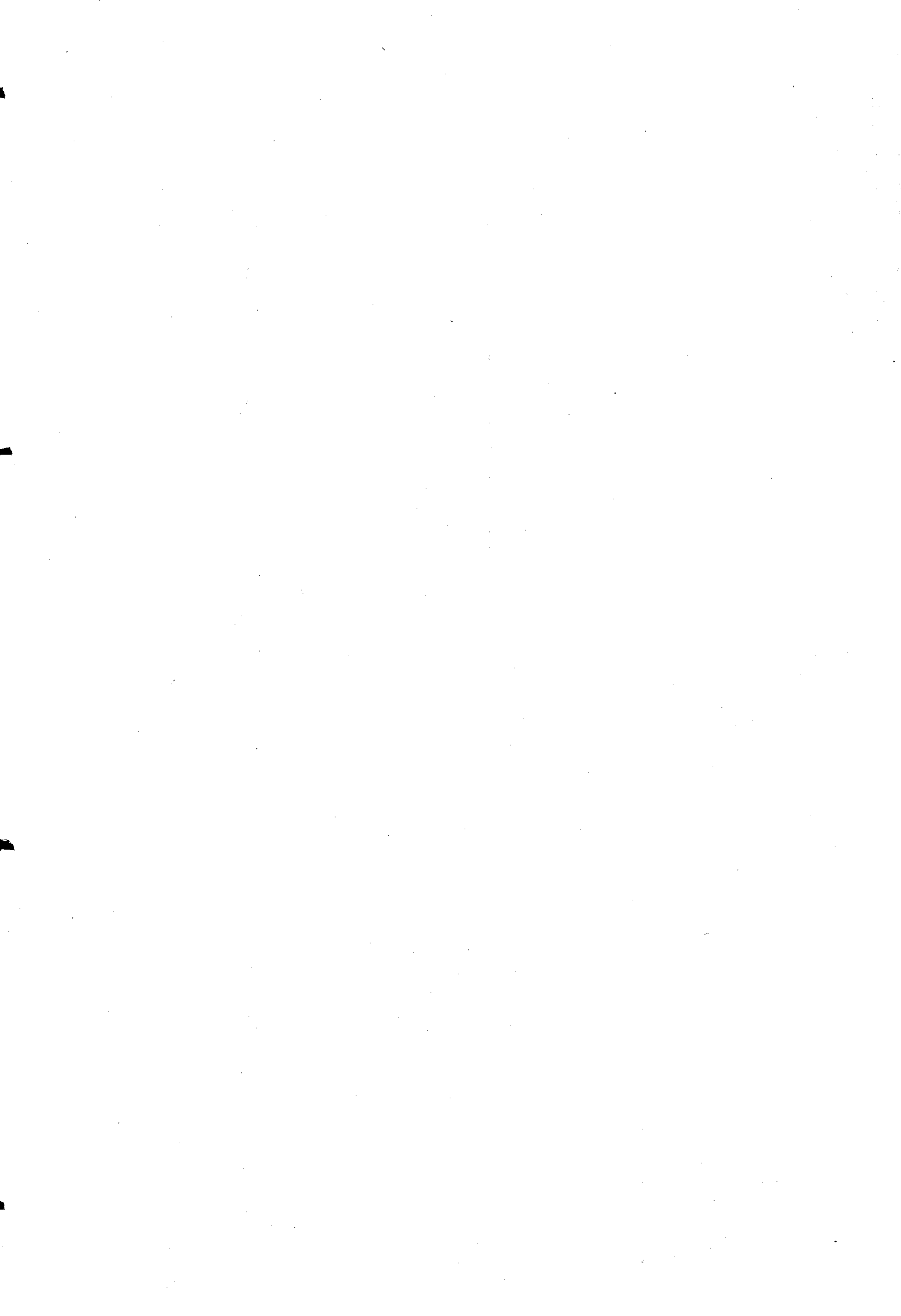
وبالله التوفيق ،،،

جدة في السادس من ربيع الثاني ١٤٠٠هـ   محمد علي مغربي





زحمة العمر



تحية العاهلين

صاحِبَ القِمَّـة فى أَرضِ الحرم | صافح القمةَ فى أَرض الهَرَمْ
والسيوفُ البِيض مِنْ تَحْت الثَّرى | لمَعت تذْكر قُربى ورحِـم
والأُباةُ الصّيـد من أَجداثهـا | زأَرَت زَأْر أُسُـود فى الأَجَم
واستحَى البَين فولَّى مِثْلما | زَحَم الصبْحُ ظَلاما فَانْزحم
ما الْتَقَى طَودٌ وطودٌ ، إنمـا | أُمم لاَقَت على الحُب أُمَـم
إنها الفرحـةُ فى إبَّانِهـا | أَخْصبتْ منها هِضَـاب وأَكم
ذا أَوان الخير فانْهَلِـّـى دِيمُ | لن نَقُولَ اليوم شُدِّي يا زِيم
وأَفيقى يا منـى وابتَسـمى | إنه فجـرٌ جَديد قَـدْ بَسَم
الكبيران إخـاءٌ وهـوَى | والهوى عَهْد به يحْلو القَسَم
فاكشِفا الكَرْب الذي غَشَّى الوَرى | واقْشَعا عَنَّا دَيَاجِير الظُّـلم
العظيمان ، وأَمجـاد العُـلَى | مَنْ بها أَحري سِوى الطَّود الأَشَم
العَمالِيـق الأُلى شَـدُّوا على | قَبضَـة الدُّنيا إباءً وشَمم
والمغاوِير الأُلى قد بدَّلـوا | صفحة الكَوْن بها لَيلٌ قُحم
مَنْ هُمو غير بُطُـولاتٍ إذا | ذُكِرت يعْرُبُ جالَت فى القِمَم

مجدهُم من مجدِها تضحيةٌ وحياة واعْتِدادٌ بالقِيَم

قَادَة الأَخــلاق هم قَادَتُهـــا الرُّعاة الحــقُّ والموفُو الذِّمِم

أُمة العُرْب هُمُــو راياتها لم تُرعَ طول مداهَا لم تُضَم

أُمةٌ قد وصَلَتْ أَبْعـــادَها لغــةٌ أُمٌّ وتاريـــــخ وَدَم

أَنتمو العهــد وميثاقُ المنى فاسأَلوا الدنيـــا تجِبكم بِنَعم

أَيها القَلبـــان فى جسم العُلَى من عُداةِ العُرب جُرْحٌ ما الْتَأَم

إِننـــا بين عِـرَاك صاخِبٍ إِننـــا بيْن حيَــاةٍ أو عَدَم

نِقَمٌ جَارت وطَالَت ، مَالها غيْر مَنْ يجْتاح بالعزْم النِّقَم

نازعونا حقَّنـــا فى أَرضِنا واستَهَانوا بالمعـــانِى والحرَم

حارَبُوا الإِيمـــان فى أَعماقِنَا فإِذا هُمْ لعنَــةٌ فى كلِّ فم

أَنتمُ اليَــوم شُعــوب كُلُّها ثورَة تزْحف زحْف الْمُنْتَقِم

لسْتُموا فيها سِــوي رُوَّادِها وهُمُـــو ليسوا بِعُبَّـــاد الصَّنَم

إِنه الحاكِم فى وُجْــدانه إِنه فِيمَن تــولَّى وَحَكَـم

مِن فِلِسْــطين نــداءٌ صارِخٌ فأَجَبْنـــاه جَــواب المُعْتَصِم

والشمال الحُـــرُّ من إفريقْيا أَقْصِموا الظالم فيــه يَنْقَصِم

هــذه الوِحـــدة هذا مجدُها فارْوِ يَا سيفُ وحــدِّثْ يا قلم

* * *

بغـــداد

نَهـر الحوادث مطْلَب ومُراد ... فَتَجمَّـلى وتَحَمَّـلى بَغْـداد
هذِي المآسى الداميـاتُ وَشَائِجٌ ... زَحَفت إليكِ بِســرِّهِنَّ الضَّاد
يتَلَمسونَك فى القلوب سرِيرَة ... وكَرَى عن الجِفن القَريحِ يُذَاد
وهَوًى يُزمجِر بالفَحيح سُعارهُ ... فَتَذوب من لَمَسَاتِه الأَكْبَـاد
مُهَجٌ تلوك بِشَـرِّها فَلَذَاتِهـا ... ومِن العُداةِ الأَهـلُ والأَوْلاد
حارَ النُّهى وهُـدَاته فى أُمَّة ... مَاذَا يُرام بأَهْلِهـا وَيُراد
الثائرون لَهَا وباسْم كِيَانها ... أَكلَتْهُم الأَهـواءُ والأَحْقاد
قد سَالَموا أَعـداءَها وتَنَكَّروا ... لرِجَالها فاندَكَّت الأَطْـواد
ومَشى الفساد إلى الفساد كأَنَّه ... رُكْن يُقِيم بنَـاءَهُ وعِمَاد
وتَأَنَّقـوا فى كيدهم وتفنَّنوا ... فتَنـدَّروا وتبجَّحُـوا وأَجَادوا
ومَشوا بِأَحرار البلاد إلى الرَّدى ... زُمُرا كما تترنَّح الآسَاد
إن سَاءَنَا عَسْفُ الطغاة وجَوْرُهم ... ومآتِم فيها لهُـم أَعْيـاد
فَلَقَد فرِحْنـا بالعَتاد عقيدة ... إن العقيدة للشعوب عَتَـاد

كَمْ من يدٍ للظُّلم فى أَطْوائها	نِعمٌ فأَيْن الظُّلْم والْجَلاد

إن المصاب لامة مفْؤُودة	فالحِسُّ أَعمى والفؤَادْ جَمَاد

لَا وَغْىَ يصرخ فى الدماءِ ولا مُنىً	تَهْفو . . ولا شَعْبُ ولا رُوَّاد

حتى الفُتُوة فى شباب بِلادِهِ	ذَهبَت وحتى جيشُه مُنقاد

طَعِموا الفُتَات من المَوائدفارْتَضُوا	والمُتْخَمون هُمُو همو الأَوْغَاد

بغدادُ ما كَتبِ الخُلودَ على المَدَى	إلَّا دمٌ وعقِيدةٌ وجِهاد

الصَّدْع تُرأَبُ بالصدُّوعِ صُدُوعُه	ومن الجِراحِ لِبَعْضهن ضِمَاد

بغدادُ أَين العُرْبُ فى آلامِهم	وعلى الرُّؤوس تُعَشِّش الأَحْقاد

سَيُقَاد كلُّ الظالمين لحَتْفِهم	ومن الدَّم المطْلُول سوف يُقَاد

العُرب قد شُغِلوا بِبَعضٍ وَيْحهم	وعدُوُّهم لِشَتَاتهم رصَّاد

أَين الزعامةُ والزعامة أَصبحت	شَهَواتُ حكْمٍ ما لهُن نَفَاد

إنَّ الزَّعامةَ مَوْثِقٌ وأَمانة	لا نَزْعَةٌ ممقوتةٌ وعِنَاد

عِزُّ العروبة أَن يَسُوَّد واحد	وتَغِيب عن آفاقِنا الآحاد

دُسْتوره القرآنُ فَهو سَبِيله	لِسِواه ليس يَلين أَو ينْقَاد

يافجرُ طَالَ دُجَاك فامْحُ ظلاَمهُ	فإذا الظلامُ وساكِنُوه رَمَاد

والركْب مُنْطلِقُ العِنَــانِ لغايةٍ كُبْري تؤلف عِقْـدَها الأمْجاد

لِيخُوضَ معركةَ المعـاركِ حُرَّةً لِلّه لا ذلٌّ ولا استِعْبَــــاد

حَرْب يبارِكها المَسيح وأحْمد ومن الملائِكِ فى الوَغىَ أجنَاد

وإذا الدَّمار على الدَّمار مُسَلّط لم يُجْدِ صاروخٌ ولا مِنْطَاد

ويعود « سَارِية » الجديد ملبِّيا ذاك النــداء وتَنْصِت الأَطْواد

وإذا العَوَالم بالعوالم تلْتَـقِى تُطْوى لها الآمادُ والأَبْعَــاد

ألق تُشَعْشعهُ الهِدايةُ ساطِعًـا لا يُتَّقى كُفْــر ولا إلْحَــاد

أمنٌ يمدُّ اللهُ وارفَ ظِلّـــه ينْمُو على أعطافِه الإسْعَــاد

لا غربَ لا استعمارَ لا أشياعَه ذَهَبوا كما ذهَبَتْ ثَمودُ وعَاد

والأرض باكَرَها الغَمام وأشْرَقَتْ وتغيَّرت فِيها رُبىً وَوِهَــاد

« صَنْعَاءُ » إن هَتَفت بها وَرْقاؤُها رَدَّت صدَي ألحانِها بغـــداد

* * *





وحدة القلوب

أَرَأيتِ كيف طَوالع الآمال ... موصولَة الإِقْبال بالإِقْبال

تَتَرنَّح البَسَمات فوق ثُغُورها ... سَكْرى وأنت خَيالها وخيالى

أَلَمحتِنى ؟ بين المواكب مِثْلَما ... أنا قَدْ لمحْتُك تخطُرين قُبالى

لِى نَشْوَتان فَنَشوةٌ قد أَشرَقت ... فى الرُّوح والأُخْرى على أوْصَالى

فى وِحدة الآلام ذُبْنَا فَتْرةً ... أفلا نَذوب بِوِحدة الآمال

الله قد جَمَع القلوبَ شَمالَها ... لِجَنوبِها وجَنوبَها لِشَمال

وتَرَفَّقت نَسَمات مصرَ فَرفْرَفت ... فى الشام بين مَرابِع وظِلال

تَحْمِلن عن (بَرَدَى) أَرقَّ نسيمه ... يَنْسَبْن بين سَبَاسِبٍ وتِلال

و (مَهًا) تحُوم على الموارِدِ فى الحِمَى ... (ومُوائِس) فى (الغُوطَتَين) حَوالى

حتى أَغرْن البَانَ لَسْن حَوَاذرا ... وزَحمْنه فى موكِب المُخْتال

يا نِيلُ «يا بَرَدَى» رُوَيْدا بالمنى ... بِطُيُوف أَحلام هناك غَوالى

يا فَرحةَ الأَلق المُشَعْشع فى الضُّحَى ... تَحْكي الثَّنايا نُضِّدَت بِلآلِي

سُقْيا لِعَهد كُما الخَصِيب وازهَرَتْ　　بِكُما مَرابعُ فرحَـةٍ ومَجَالى

يا نِيلُ هذا الحبُّ ظِـلٌّ وارِفٌ　　مَثَل يضُمُّ فَرَائِدَ الأَمْثَـــال

إن صان فى بَرَدى الوِدَاد وحَازَه　　بِاليُمْن فى اليمن السَّعِيد الغَالى

فَلسَوْف يِنْتَظم العُـرُوبة كلُّها　　عَلَمُ حَمَتْـه وشائِج وعَـوَالى

ولَسَوف تلتَمع النِّصَــال وتَلْتقى　　فى ساحةِ الأَمْجاد والأَبْطَـــال

يا نِيل فى بَرَدي وفى أَعْـراقِه　　سِرٌّ وعَتْــه شوامِخُ الأَجْيال

ما زَالَ أَمس جهــاده وجلاده　　حَيًّا حَيَــاةَ عظــائِم الأَعْمال

ولئِن أَعزَّ طرِيفَــهُ بتَلِيـــدِه　　فَلذَاك فأْل العُرب أَطْيَب فَال

فَلْتَحْى يَعْرُبُ بعد طول سُبَاتِها　　ولْتَهْنَ بَعْد قَطِيعَــة بِوِصَـــال

ويفوح من أَرَجِ (العقيق) و (رامةٍ)　　و (المُنْحَنى) و (عَذِيبها) والضَّال

أَرَجُ النبيِّ « محمدٍ » ورِحابه　　ورُبوعــه وصِحابهِ والآل

جَمْعُ الأَحِبَّة لم يكن بِمُحَرَّم　　مِثْل اتِّحاد العُرْب غيْر محــال

* * *

فَلْتَضْرعى لِله مِثْل ضَـــرَاعَتى　　عِنْد البُكور وروْعَـةِ الآصَال

أَن لَّا يُطول بِنا النَّوى فَقُلُوبنا　　لم تَحْتَمِل فى الحُب أَيَّ مطَال

رُحْمَاك يا مَنْ لا يُخَيِّب راجِيًا　　يا عالِمَ الأَســرارِ والأَحــوال

* * *



يا مصر

يا مصرُ يا مصرُ ما أَحْلاكِ صاحِيَةً — وصَحْوُك العذبُ وسْنَان الرُّؤى غَرِد
يا مصر تلمحُ فيكِ النفسُ حاجَتَها — من كلٍّ ما تَتَشَهَّى والمُنَى جَدد
كأَنَّ روحًا من الفِردَوْس حائِمَة — أَطيافُها نَغَم أَعطافُها رَغَد
لِلماءِ فيكِ تَرَانيم مُسَهَّدةٌ — تلوب واجدةٌ مِثْل الذي نَجِد
كذِكرياتٍ: لها عنْد الدُّجى ترةٌ — تَدْري النجومُ بها والموجُ والزَّبَد
فى كُل هاتِفة رجعٌ لِعَاطِفةٍ — معزوفة لَمَستْها بالحَنَان يَد
يامصر أنت هوىً قد صِيغَ من ضَرَبٍ — الشمس تَنْهَل فيه والضُّحى يرد
والظِّل يسحب فوق الظل أَجنِحَةً — كالرَّوْح يَمْرحُ فى أنفاسِها الجَسَد
حتى النَّخِيل تَلَاقت وهى ذائِبَةٌ — فَلِلذَّوائب وقدٌ فيه تَبْتَرِد
يا رَعْشَةً حُلْوة فى خافِقٍ رَجَفَت — أَحْناؤُه فى هوىً يدْنو ويبْتَعِد
ويا حنينًا تلاقَى فى مسارِبهِ — تجْرِي بِه الرِّيح رَهْوًا والضُّحى رأد
ذَابَ الدُّجى فى تلافِيفِ السُّرى — فَهَفَت أَشِعَّة فجرِها الوسْنان مُتَّئِد
أَمَّا الأَصيل فَدَعْه انه مُهَج — من أَجلِها راح يَطْوي نَفسَه الأَمَد

المُتْعَبُون استَرَاحوا فى مشارِفِه   والساهِرون على شُطْآنه رقَدُوا

والهارِبون من الصَّمت العميق إلى   بوح الهوَي للضِّفاف الخُضْر قد خَلَدوا

ورُبَّ نَشْوةِ حب لا يُطارِحُهـا   عَزْفٌ على العَتَبات الخُضْر مُنْفَرِد

نهوى الهديلَ على الأَمواج مصطفِقا   لا الهمسُ يظمأُ فى أَحشائه البَرَد

يا مصر فى كُل ركن منْك زاويةٌ   لِنَازِحٍ أنتِ فيها الأَهل والبَلَد

فَمَا يَملُّ غريب فِيكِ غُربتَـه   حتَّى الثَّري والنسيم الحُرُّ والوَلَد

الحبُّ ساقَيْته حتى ارتَوى فَبَدتْ   نوازِعُ الوِدِّ فى الأَعماق تَتَّحِد

إِنْ حاربتْنَا صُروفٌ فيك ظَالمةٌ   فلن يَصِيخ إلى غِربَانِها أَحَـد

وأَنت يا نِيلُ صافحْ زَمْزَمًا أَبدا   إنّ الهوى للهوي دينٌ ومُعْتَقَد



ليس يجدي

ليس يُجدِي اختِباؤُنا فى السِّنين منْ قَضاءٍ يَشُدُّنا للمَنُون

فالسِّنين التى نصُونُ بها العُمر هى العمر فى القضاءِ المَصُون

حسبُنا أَنه المحجَّب فى الغيب وحسْبُ الأَحْياءَ دُنْيا الفتون

حجَبَتْه الأَقدار تَمْتحن الأَقدار لا أَن تَعِيشه فى سُكُون

والقَضَاءُ المجهُول انهضُ للعَزْم التِماسًا للجوهَر المكْنُون

كالفضاءِ الممْتَد عَبْر المتاهَات أَمان تلوحُ عَبْر الظُّنون

حجَبَت نَبعَه السرِيَّ لِنَحْيا ظمأً لا هِنًا وراءَ المَعِين . . . .

حجَبَت كَنْزه الثَّمين فلا نُخْدع فى غيره بِكَنْز ثمين

لوْ بَدى سِرُّه ولوْ حُدِّد الميقاتُ عِشْنا فى قُمقُم مَشْحون

يتَحرى انْبثَاقه طافِح الغَمِّ اندِلاعًا مثل انفِجَار الأُتون

ولَعِشْنا الموْت البَطِئ معانِيه مَجَادِيفُهم بِغَيْر سَفِين . . .

إِنَّمَا رَوْعةُ الخَفاءِ جَلَاءٌ كَجَلِيٍّ يلُوح غيْر مُبين

نسَقَت فى الخِضَمِّ أَثباجُه الحُلْوة هدَّارة الصَّدى والرَّنين

فتلاقى العَزْف المُغَرد كالنجوى بِلَحْن الأَسى وَرَجْع الأَنِين

واستمد النظام من زَحْمة الفَوْضى أُصولَ البقَاءِ والتّكْوين

وتَلوى الدجى وقد سَرَق الشمْس فَضَلت فى مَعْمعانِ الدّجُون

ثم ثارتْ على الظلام بِزَحْفٍ سَمْهَري اللّظى عميق الطُّعُون

حَالَةٌ بعد حالة ونَهارٌ بَعد لَيْـل مُوَهّـج التّلـويـن

بيْن معنًى وضِدّه فى ائتِلاف واختِلافٍ وضجّـة وسُـكُون

ووكون تَؤُودُها فُرقة الطَّيرِ وتفنى الطُّيُور دُون الوُكُـون

وجَديب مع القَطِين خَصِيب وخَصِيب يَذْوي بِغَير قَطِيـن

كُلُّ ما فى الوُجُود صَفّقَهُ المجْهول خمرا تَشَعْشَعت فى العُيون

ليس فى طَيِّه ادِّكَارُ فَنَاءٍ بل صَدى للخُلُـود والتّمـكين

أُهْبَة بعْد أُهبة فى امتِدَاد لِحَيـاة على لِقَـاء حَنُـون

راق معنى وخفَّ حِمْلاً فلا زاد ولا ماء فوق رَحْـل الظَّعِين

عِنْد من يَمْنح القِرى مَنْ نَداه . . غيرَ ذِي غُصّة ولا مَمْنون

قد حيِينا « اثنتَيْن » أعمار آبائنا وأعمارنا وراء السِّنيـن

والحياة الحياة تَنْبض فِينا ثُمَّ تَجْري من بَعْدِنا فى البَنِيـن
ورثوها مواهِبًا نامِيَات وامِضَات وَمْض السَّنَا فى العُيُـون

* * *

قالَ لِى صاحِبي وقد فَاجأْتُه مِنْ حَدِيثِى خُرَافَةُ « الحَيْزَبُون »
قد رفَعْت الحياة مِنْ حيثُ شَوَّهْت رُوَّاها بِكُل خَفْض مَهِين
وسَكَبْت الجُنون أَشْهَى مِن الرَّاح عليها فى عَبْقري الفُنون
قُلْت يا صَاحِ لا تُرع كَمْ من عظيم قَدْ تَسامى بِحِكْمة المَجْنون
وحَصِيف جَثَا على رُكْبَتَيْه بيْن فَدْم مَخَبَّـطٍ مَأْفُـون
وكِعَاب كأَنَّها خوطُ بَانٍ زاحَمَتْهـا شَمْطَـاءُ فى التِّسْعِيـن
سلَبتْهـا فُتُونها وصِبـاها ورمتْهـا بِعـاهةِ التَّغْضِيـن
ذلك الوَزْن للحياة على الفِتْنَة أَدرى به غـلاةُ المُجُـون
ليسَ من شأْنِها الـكمال كَمَا نَهْوى ولا طَبْعُها الْتِئَام الشُّئُون
فَجَدِيب يلُوح بَعْد خَصِيب وسُهول موصـولة بحـزون
ويَمِينٌ قد نَازَعَتْها شِمَال وشِمَال تَريغ سَلْـب يَمِيـن
وضَنِينٌ من صلْب سمْحٍ سَخِي وسخيٌّ من عرق كَزٍّ ضَنِين
وأَمِين يجنى عليه خَؤُونٌ ثُمَّ يحْيَا على حطام الأَمِيـن

وطويل النِّجاد تُعْجزه اللُّقْمة مبْذولة بِخَفْـض الجَبِيـــن

وضَنين بِسُهْده وضَنَـاه عن خلي ينام ملْ الجُفُـــون

لو خَلاَ العمر والحَياة من الأَضداد باهَى طَلِيقُها بالسَّجِين

فلتكُن مِثْل ما تكون فلَيست غيْر ظَهْر مُحمَّل بالدُّيُـون

انهـا ذلك المحط لِعُمْر نَتَرجَّـاه بعْدها فى حنِيـــن

قَدْ نَحرنا شَيْطانها واستَرحْنا من عدُوٍّ شاكِي السِّلاح لَعِين

فلْتَهُن عِندك الحياةُ بِلا مَسْعَى جَمِيلٍ كالمَرْمر المَسْنُـون

إنها صَعبة المِرَاس حَرُون ذات حَدَّيْن من جهـام ولِيـن

تَتَحدي الأَبِيَّ لا يَقْبل الضَّيْم وتُلْقى سِلاحَهـا للـدُّون

انمـا تَصْنع الـكَرامَةَ نَفْسٌ حُرَّةٌ قد أَبَت حيَـاةَ الهُـون

فلْتَقُل للحيـاةِ ثانِية العطْفِ خُذِينى بِمَبـدئِى أَو دَعِينى



ليل وهول

وليلٍ كَجَوفِ الضغْنِ دُكن سُجُوفه　　رَمَتنى به طخياءُ غَوْر قَرارُها

مؤرَّقَــةٌ فيه الصُّقُــور كأَنها　　حَمائِم أَيْكٍ شطَّ عَنْها مَزارُها

مُعَرقة أَشطانُه وهى أَنْجُــم　　يَدُور عليها حيث دارت مَدارُها

تُعاوِدها فى صَحْوة بَعْد صَحْوةٍ　　طُيوفٌ من الذِّكْرى يَطول ادِّكارُها

ترامق هُجَّاع الحمى لاَ يُروعُهم　　سِوي لَفتَات الغِيد ومضُ نِفَارُها

وإلا ثنيَّات العَقِيق تَرَاوحتْ　　عليها هَتُون لاَ يكُف قِطَارُهــا

سَرَيْتُ به لا أَتَّقِى فى فِجاجِــه　　كَواسِر هَدَّانِى إِليها زُوارُهــا

ولا دمْدمات الهوج حمقاءَ أعولت　　يُصارِح أَطواءَ القِفار سِرارُهــا

ولا مِنْ زَفِيف الجن أَصداءُ رُكِّبت　　عليها رؤُوس مُسْتطير شِرَارُهــا

ولا عَرْبَدَاتُ الساخِرين تَرَاقَصوا　　على ابنة حَانٍ : بِرَبْري عُقارها

ولا شَمَخَات الطَّائلين على النُّهى　　بِتِلك المُدى لا تستريح شِفَارُها

ولا بِحُقود الحاقدين غوائراً　　لها نَتَنٌ أَغْفَى عليه سِعارُهــا

أَتاحَ لهم غَفْو الزمان ومَهْلُــه　　مَوَاطِئُ شرٍّ لا يهــون اغْتِفَارُها

فَصَالُوا وجَالُوا مُشْرَعاتٍ نِصَالهم　　يَرُوح ويغدو فى الرقاب دمَارُها

تُحرِّكها منهم نُفُـوس فَقِيرة   يطول على مرِّ الزمان افتِقَارُهـا

فلا السُّحْتُ ملأَءُ النفوس لُجيْنه   ولا جَوْلات الزورُ مغْن نُضارُها

ولكنها الويْلات عقم عَطَاؤُهـا   يزُول ويبْقى عارُها وشَنَارُهـا

أَجَلْ إنَّنى يا ليل مِثْلُكَ رابِـع   على النَّفْس حتى يَلْحَق الثَّارَ ثارُها

فما روَّعتْنى فيك إلاَّ غَوافِـل   يجُوز عليها تَحْت سِتْرِك جَارُها

وإلاَّ أَيَامَى مسَّهن بِكَرْبِـه   دُعاة بَلاءٍ نَمَّ عنها بُخَارُهـا

أَقاموا على تلك المآتِم بَيْننـا   مخابى أَعْراس : ظَلام نَهارُهـا

وشادُوا على أَنقاضِ مجْد مُرَفَّل   من الوهْم أَمجاداً يَرُوع انهِيَارُها

فَنَاءٌ وشِيك كالفُواق ولَيْتَـه   على غَيْر أَيْدٍ لطَّخ الكونَ عارُها

ويالَيْتها أَيدي المظاليم أَدرَكَـت   مَآرب أَعْيَا : الجابرين انكِسَارُها

سَمِعتك : فاربع والصَّدى منكَهَمسه   صُراخ وأَسْرار الثَّكَالَى جِهَارُها

سمعتك : من لحْن الأَسى منزَفيفه   من الهَدْأَةِ البَكْماء رَطْن حِوارُها

لقدضِقْت بالنجوىوضقتُ من السُّرى   كَماعَاف ركض البِيدِ فِيهاحرَارُها

فديْتُك لوْ نام الدجى نوْمة الكَرَى   لأَصحرت الدنيا وجَفَّتْ بِحارها

فدعها تنَم هذِي المعالم كلُّهـا   ويتبعْ حُطام الأَرض فِيها عَمَارُها

وتحْيا هُنَاك الروح بين عَوالِمٍ   من الحُسْن مَحْيَّاها من النورنَارُها

يُؤَرِّجُها طِيب القُلوب كأَنــه   مُنَاها وبين الجنَّتَيْن سِفارُهــا

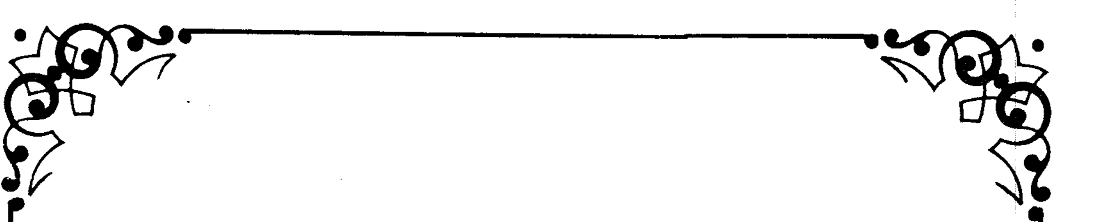
تَطُوف علينا بالكؤُوس مراشِف   معتَّقَة أَما الجَنَا فَثِمَارُهــــا

كواعِب أَتْرابًا عليها غَلاَئِــل   من النور فَضْفاضا عَلَيْها دِثَارُها

فلا لَغْوَ لا تـأْثِيم لا عنجهية   ولا جفوةٌ يُظمِي النفوس أوارُها

أَلا انه الخُلْد المقيم وحسبُنَــا ٠   رياض من الرِّضْوان يشْدو هزَارها





نهجنا

جبلٌ شامخ له ذِرْوتــان نهجنَــا هلْ تصدُّنا الذِّرْوَتانِ

أنا لا أَسْترِيح للقَصْف والحطْم فَخَيرٌ أَنْ تَثْبُت الذِّرْوتـــان

ثم نمْشِى إليهما فى دَبِيبٍ كَدَبِيبِ النِّمَال بَيْن الرِّعان

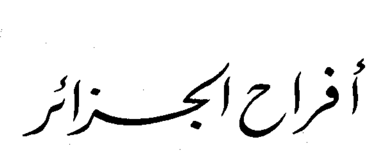
وإذا طال فى الزمان سُرَانــا وانْتَهَيْنَا إلى بلُوغ الأَمـانى

وافْتَرشْنا الذُّري وما آدنا المسعى ولاحَتْ فوق الذُّري « المَرْوَتان »

وصنَعْنا فوق الذُّري قِمَّتَيْ مَجْدٍ طريفٍ : من فوقها قِمَّتــان

فَلْنَقُلْ يا زمــان حدِّث وياتاريخ فاكْتُــب والخُلْــدُ للأَوْطان





أفراح الجزائر

لا تـأْسَ فالأَحْداث إرْهَــاصٌ بِمَا خَلْفَ الغُيُــوم

وتلُفُّ من قُدَّامِــه وَوَرائه فِــتَنٌ تَحُــوم

ومهــازِلٌ تَحْتــل فى الأَفْلاك مَنْزِلَة النُّجــوم

وعظَائِم تَغْفــو على الجُلَّى كما غَفَت الحُلوم

لا تـأْسَ فالخَير العَمِيم بَشِيرُهُ الـكرب العَمِيم

هذِي الرَّزايا السُّودِ تعبَثُ بالقلوب وبالجسُوم

وتُغِير آونةً على الأَرْواح تَفْتِك بالسمُــوم

وعَلَى المعانى الضاحياتِ تَشِــعُّ فى أَلَقِ الفُهوم

فَتُغَلِّف الآمــالَ والأَفــراح غَاشِيَةُ الهُمُــوم

والباطل المَشْؤُوم يَمْرح بَيْن أَعْطَافِ الظَّلــوم

* * *

يَلْقى الرِّعاية فى حِماه وظِله الحانِى الرؤُوم

يا قلب قُــلْ لليل مَا عِفْنــا دُجَــاك المُسْتَــديم

أبدًا ولا صمتُ الحياةِ كَصمْت سكَّان الرَّجيم

* * *

فَالليل تُطْرِب فيه آهاتُ الـكليمَة والكَليم

وتَطِيب بيْن سكونه نَجْوى النَّديم إلى النَّديم

أمَّا الصباحُ فإنه أُسْطُورةُ العهْد القـديم

* * *

أيام كان الفجرُ يقْطُر بالشذَى لا يَسْتَهِيم

كانت تَهِيم به السَّعادةُ حيثُ كان بها يَهِيم

والحب ينْضَح فى القُلُوب من الحميم إلى الحمِيم

كانت معانِيه الحِسَان كَخُوده ما إن تَـريم

المجد يعلُو فى الرِّحاب البِيضِ عدْوًا كالظَّلـيم

يرْوي السَّحابُ إلى السحابِ صَدَى المكَارِم فى الكَرِيم

يحْنو الكريم على الكريم حَنْوَ اللَّئيم على اللئيم

* * *

الحِسُّ ينطِق فى الصَّباحةِ كالدَّمامةِ فى الدَّمِيم

يا قلب فِيك الصَّولَجان بِرَغْم شَنْشَنَـةِ الرَّغيم

أنْظر لأَفراح الجزائر فى الثُّغور وفى التُّخُوم
فى الكون فى عُلْيا المنازِل فى القِباب وفى السَّديم
فى العالَم العُلْوِيِّ تَاه اليوم فى المَلَأْ العظـيم
فى المسلمين وأَنه المجد المرَفَّل فى الصَّمـــيم

* * *

مَنَحُـوه أَرواح الشهادة فى الصِّـراط المستقيم
هذا هو المجد الزعيم يَضِجُّ فى روح الزَّعِيم
عاش الدَّم الصافى ولا عاشَ المُخدِّر والنَّؤُوم

* * *

أَلق الجحيم على المعارك قَد تَلأْلَأَ فى النَّعـــيم
والقُنَّعُ الأَحْياءُ كالمَوْتَى لهم خُلْد الجحيم



عيد الثورة

وفِتْيَةٌ خَضْخضوا الأَمجاد ثائِرةً   لِلَّه ما أَضْرموا لله ما وَقَدُوا

جارَتْ عليهم عَوادي الجَوْر فانتَفَضُوا   ولن يُطَأْطِئَ فى آجامِه الأَسَدُ

مَواطن العزِّ إلاَّ مِنْهُمُ جَدَبٌ   وآصِرات العُلَا فى غَيْرهم بَدَدُ

ثَاروا ومَا كَان إلا الحِسُّ رائِدهم   وأُمةٌ نَفْسها فى نفسهم وَجَدُوا

وما يُجَمجم بالآلام فارِسُها   إلاَّ وتَلْقَفُه آمالها الجُدَد

حيًّا دَماً زمجرت فِينَا نَوابِضُه   دَمُ يُقَهقه فى شِرْيانهم غُرُد

والعسْرُ كاليُسر للأَوطان جامِعة   الله يَشْهد والتاريخُ والأَمَد

وللزَّعامة فى آفاقِ عَالَمِها   دُنْيا بِما ولَدَت دنيا بما تَلِد

والبارِق السَّمْح تَتْلوه بَوَارِقُه   ومَنْ دَنَوْا شَرعٌ فيه ومن بعدوا

لا تحسَبُوه بَعيدا إنه أَمَمٌ   فقد تَلَمْلم شَمْل العُرب واتَّحَدوا

هذِي الرؤُوس اشرأَبت فى أَماكنها   ولن يعوِّقَها عن نَهْجِها أَحد

التابِعو الفِكرةِ الشَّماء يلهبهم   شعاعها مِثْل مَنْ شَدُّوا ومَنْ عَقَدوا

قد استوى فى مَجَال الموْت مُقْتحِم   وثَائر فى مَجَال الفِكْر مضْطَهد

عليهما قامت الأَمْجَادُ واعْتَركَت هما السَّبيل لِمَنْ يمْضى ومَنْ يَفِد
ما عُدْت أَخشى على الأَكْبادنافِذَة مِنَ السموم ولا الحِقْد الذيحَقَدوا
ولست أَرهَب من أَعْمى بصائرهم عنِ الشُّعوب هوى قد عافَه الرُّشَدُ
ضَرَاوة الحكم هامُوا فى مَبَاذِلِها ولِلمطَامع فى أَرْبابِهـا عَبَـدُوا
ولم يُطِيقوا الشَّذي والكون منطَلِق حريَّة قد فَدَاها الرُّوح والجَسَد
زادَتْ جراح العُلا فيهِم ومن أَسَفٍ ما كُلُّ جُرحٍ على الأَيَّام يَنْضَمِد
ولن يَدُوم لَهُم جوٌّ ولا أُفُـقٌ يبقَى الصُّراح ويفْنَى الغَثُّ والزَّبَد
يَا لَيْتهم أَخَذُوا للأَمر عُدَّتَـه أَو للكَوا كِب فى أَفلا كها رَصَدوا



جناحان

جَنَاحَانِ يا ليلى مَهِيضٌ وعاثــرٌ … وجِفْنان يا ليلى أسِير وآسِــر

هُما الحسُّ بين القلب يخفق والنُّهى … يَلُوب وبين الظِّل والظل ساتِر

تـألَّق فى أصفادِه ثم رَفْرقت … قوادِمُه والطَّرْف غَيْمان حائــر

ولكنه القَيْدُ الحبيب تَخالُــه … مَعاصِم حُسْن طوَّقتْها الأَساور

دعِيه ولا تخشىْ عليه انطِلاقه … فإن انطلاقَ الرُّوح فى الحب قاهر

دعيه يحلِّق كالفَراشَةِ هائِما … فــكل شَذًى فى عينه مِنكِ زاهِر

دعيه يطُفْ بين الزَّنابِق فى الرُّبى … فَطَيْفُك يا ليلى مَزُور وزائــر

ولا تحرِميه مِنْك فى كلِّ نفحةٍ … تَطُل بها من ناظِرَيْك البَشَائر

فأَنتِ له الكون المجنَّحُ والرُّؤَى … مُعبِّرة والقلب كالحب طائر

يراكِ مع الفجر المغرِّد لحنَــه … وتـحْضُنُه أنفاسُه والأَزاهِــر

وتَسْبح فى أَعماقِه منكِ نَشوةٌ … وتَصْدح بالهَمْس النديِّ الخَواطِرُ

ويهتِف بالنجوى حَنين مُخَامِر … ويسْرَح بالشكوى وجِيبٌ مُسَاوِر

لكِ العتْبُ فالقلبُ الشَّجِي أَمَانُهُ … عذَابٌ ويحْمِيه الأَمانُ المُحَاذر

دعِيه فما بين الدجى وعُيُونِـه   سِوي غائب لكنه فيكِ حاضِر

وفى الشُّهْبِ لوتَدْرِين ياليلىرَوَاصِد   يُراوِحُها مِنْك الشَّذى ويُبَاكـر

تَمَاوج فيها عَسْجد مُتهدِّل   وبين حواشِيه ترف الغَدَائـر

يقولون ياليلى هوى الغِيدِ نَظْرةٌ   تَذُوب المَآقى عِنْدهـا والمحاجر

وأَوْهَام «غيرى» تَذْرَع الخَطْوإثره   دِرَا كًا فلا تَسْطُو عليه الجآزر

وَمَا الحب إلا عِصمة مَدَّ ظِلُّها   صِراع عنيف أَلْهَبته المَشَاعر

وما الحب إلا نفحة قُدْسِيَّـةٌ   رَعَتْها عُيون حُرَّة وضَمَائـر

رَوافِدها فوق السحاب ونَبْعُهـا   مصابيح ضَاءَت فى حَشَاها السَّرائر

وأَصداءُ حِسٍّ عبقري تَنَفَّست   مَعَانيه فى لَحْن حكَتْه الزَّوافر

وأَطْياف أَحلام حِسَان كأَنَّها   سحائب مُزْن واكفات مَوَاطِر

ودُنْيا مَغَانِيها حياةٌ تراقَصَتْ   أَوائِلها مسحـورة والأَوَاخر

وتعرش فى أَكْنَافِها أَو ظِلالِها   وشَائِج رجمى أَخْصَبَت وأَواصِر

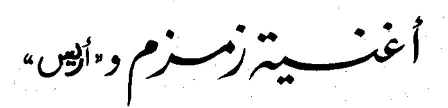
وقالوا جَحِيم قلتُ مَرْحى عَرفْتُه   فَرُبَّ نعيمٍ فى اللَّظَى يَتَقَاطـر

وقالوا ضَلال قلت والقول آفةٌ   إِذا زاغَتْ الأَبصار تُجْلَى البَصَائر

فَكَمْ من هُدًى قد غَلَّفته مساوِيءُ   وكَمْ مِن ضلال حَجَّبته مَظَاهِر

وَمَهْما يَطُل عهد بِحال وضِدِّه | فللَّه يا ليلى تَصِير المَصَائر
إذا أَنْتِ أَطْلَقْت المشاعرَ حُرَّة | صَفَا لَكِ مُرتابٌ وصفَّق غَادر
وإن أَنْتِ أَعْطَيتِ الوِدَادَ سجية | تَحاشَاك مفؤُودُ وحيَّاكِ ثائِر
فلا تحمِلي الصَّب الذي تعرفِينَه | على غير ما تَهْوى اللُيُوثُ الكَواسِر
ولا تجعَلِيه ظاهِرا غير باطِنٍ | فَكَم باطِنٍ صعْبٍ يُغطِّيه ظاهر
ورُبَّ يَرَاعٍ أَرسل الشَّدْو إنَّما | تَضِج بمكْتُوم اليَرَاعِ المَحَابر
فَهَا أَنْت يا ليلى دَعِيه محلِّقًا | يَؤُبْ وجَنَاحَاه هُدى وشَعَائِر
وقولى له آمنت أَنَّك شاعِر | وآمنْت أن لاَ يألَفُ القَيْدَ شاعر





أغنية زمزم و«أريس»

هل رَشَفْتَ المُزْن رشْفًا ثم حلَّيْتَ بِزَمزم
صفَقُوها بأَريس وسَرَى البدر المُلَثَّم
بِشُعاعٍ يتلَعثم مِن رضابِك

* * *

أنتِ يا مُزْنَة طَيْفٌ لؤلُؤِيٌّ يتَثَنَّى
أنتِ يا مزنةُ لحْنٌ عَسْجَدِيٌّ يتَغَنَّى
والسَّنَا يُومِض وَهْنًا فى شَبابِك

* * *

رقَصَ الحب ولكن رقصةَ الصبِ الجريحِ
زَحَف الليل عليه فى غبُوق وصَبُوح
فَتَلَوَّى كالطَّلَيّح فى عُبابِك

* * *

المغَـــانِى فى ظِلالِـكْ كالمعـــانى فى خَيالِك

أنا لا أَرجـــــو وِصَالًا فالْمـــــنى دونَ وِصــالك

خطـــرة تكْــفى بِبَـــالِك

من سَرَابِك

يا مَهَاةً خطَرت فى رَبْرَبِ ذَوِّبى ما شِئْت قلبى ذَوِّبى

أنا أَهْـوى لَفْتَةَ الحرِّ الأَبِى بِأَبى افْـدِي مَهَاتِى بأَبى

لا تُراعى . . لا تَخَافى فالمنىٰ

برِحابِك

* * *

أَننى أَعشِقُ وهمَ الواهِمِيــن فشُكُوك الغِيد مفتاح اليَقِين

والهوي العــذبُ شَقَاءٌ وأَنين ومنى تَرْكُض أَثر النَّافِرين

رُبَّ شدْوٍ من أَنين الوالِهِين

فى رِكابِك

* * *

أَنا أَهوي الظَّبيَ مُخْتالًا شرودًا مثْلَما يُعجبُـنى المعنى الشَّرُود

فَالْفَــلا أَوسعُ من قلب العَمِيد والهَــوى فَوْق قُيــودٍ وحُدُود

مِنْ قَـرِيــبٍ أَو بعيــــد

في سَحابِك

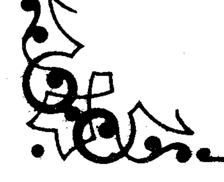
* * *

والهوي أَحلاه حدْسُ الخاطِر   حِينَمَا يبــدو كَوَهم الشاعر

في الرُّبى مثــل جنــاحي

في طِلابِك

* * *



في ربوع المدينة

بيْن سَلْـع وقبـــا من مجـــالَىْ يَثْـــربِ
قد مَشَينـــا الهَيْذَبى سَبْسَبًـــا فى سَبْســـب
صَفَّقـــت أَيامُنـــا
شَعْشـــعت أَحْلامنا

* * *

بَيْن أَحْضـــان العقيقِ من شُرُوق لغُـــروبِ
كَمْ رُوِينـــا من رحيقِ بَيْـــن كأْسٍ وحبيـــبِ
والمُـــنَى فى ظِلِّنـــا
نَهْلُهـــا من نَهْلِنـــا

* * *

والغَـــوَالى فى العَـــوالِى يَنْفـــح العِطْـــر شَـــذَاها
وظُبَـــاها فى المَعـــالى هَدْهـــدَت سحـــر ظِباها
فَسَـــل الجـــذْع وَرامة
والمُصَـــلَّى والغَمَـــامة

والشَّـــذى فى أُحُــدٍ مِنْ عَبيـــر الشُّهَـــداءْ

عِظَـــــةٌ للأَبَــــــد فى مَجَـــالات الفِـــداءْ

فَلْنُعَظِّـــم قَـــدْرها

ولْنُمَجِّـــــد ذِكــرها

وصَلَت مجــدَ حــراءِ فى رُبَى البيت العتيقِ

وجلَت نـــور السمـــاءِ فى محيـــاهُ الطَّليــقِ

أَحمــدٌ خيــر البريـــة

بالمعـــانى العبــقريَّة

* * *

الهــوى السَّمْــح هواهَا من صَبَا نجــد الشــذيّ

والحميـــا شَفَتَــاها فى بُكـــور وعَــشِيّ

إِنهـــا نَخْـــبُ اليمامة

فى عَسِيـــــر وتِهامة

* * *

رَبَّـة القِـــدْحِ المعلَّى فَسَلُـــوا قَيْسًـــا وليلى

واخضِـــرار النفس أَغْلَى مِن خَصِيب عَادَ مَحْـلا

فَلْتقـــولى يا بِلادي للعُـــلا أَهْـلا وسَهـلا

إنــه مجـــدُ بــلادي

فــوق أوهــامِ الأَعادِي

* * *

قيمة الشعب

من قصيدة كنت نظمتها بمناسبة خاصة جميلة . فأَحببت أَن أَقدمها لقراء المدينة بدلا من حديثى الأُسبوعى الذي حالت دون نشره ظروف الجريدة عام ١٣٥٣ هـ .

قِيمَة الشعب فى ارتِقاءِ رِجالِه ذِرْوة الفضْل عن طَرِيق فَعَالِه

وابتهــاجُ الحيــاةِ فيه دليلٌ إنَّ للشعب (قَادَةً) من رِجالِه

علَّمتْنــا حوَادث الدَّهر قِدَما أَن سِرَّ الحيــاةِ فى أَجْيــالِه

وغدًا يكشِف الزَّمانُ سِتَــارا عن بَنِى العصْر فى عَظيم مَجالِه

وجُهــود المغذِّ فى السَّيْر تُدْنى من بَعِيــدِ المُنى عزيزَ مَنَالِه

والمغاوِيرُ فى البِــلادِ إذا مَا حاوَلوا النَّفْع وُفِّقُوا لِنَوالِه

وذَوُو الرأْي والحَصَافة إن هُمُ حَصَّنــوا الرَّأْي وُفِّقوا لاكْتِمالِه

والحجازُ الحجازُ جِدٌّ خَلِيقٍ بِرِجال تفكيــرُهُم فى مآلِه

والحجازُ الحجازُ غايَتُــه القُصــوى رِجال تَضَــافَروا فى مَجالِه

لم يُريدوا إغفــــاءَة تَــدَع الشعْـــــبَ خِداجًا والأَمْر فى جُهَالِه

فَلَقَــد شاهَدوا الْتِواءَ أَمانيــــــه وسوءَ الكَثيرِ من أَحْوالِه

حِينما أَظْلَمت فِجـاجٌ وسُدَّت سُبُل الخير فى وجُوهِ رجالِه

وتَبَارت معاوِلُ الهــدْم تَسْعى لاجْتثَاثِ النعيم واستِئْصالِه

فَغَدا البعْض فى رِياض الأَمانى وغَدَا البعضُ سابِحًا فى خيالِه

وفَرِيق شاءَ الخُمُول وضَــحَّى بالجَسـيم العَظِيم من مآلِه

ولَعمْــري هذا الحِجاز حفىٌّ ولَدَيه كَرامــة فى خِصالِه

وبَنــوه إن ساءَلوا العُنْصر الحَــــيِّ وكَنْز الخُـلود فى أَعْمَالِه

جَاوَبتْهم أَصْدَاء مجدٍ عميــقٍ يسْتفِزُّ الحنين فى تَجْوالِه

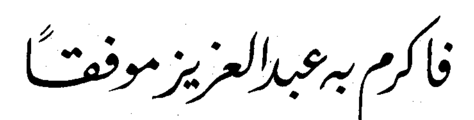
وتَرَاءَى لهــم مــلاكُ بَهــاءٍ عبْقــري فى حُسنِه وجمالِه

مِلْؤه الفضل والسماحة والنُّبْــــــلُ مقيما والسعد فى تِرْحالِه

وحفافاه شُعْـلة مِنْ رجــاء تُبْصِر النور ساطعا من حِيالِه

يتغَنَّى بمجـده السالِفِ العهْــــد ويُبْدي تلعثُمًا فى مقَالِه

ينشـد المجْد فى خِصالِ زعيمِ العُرْب فَخْرِ الزمان دُرَّةَ آلــه



فاكرم به عبد العزيز موفقًا

القصيدة القيمة التى أَلقاها الأستاذ ضياءُ الدين رجب فى حفلة تكريم (الدكتور الخاشقجى) التى أَقَامتها جريدة المدينة المنورة :

ذَرِينى أُغامِر فى مجال العَـزَائم ... ولو كُنت فيها عُرضةً للصَّوارم

فَما المرءُ إِلَّا غمرة بعد غَمْرةٍ ... يصافِحُ فيها عبقـريَّ المكَارِم

دَعتنى المعالى فاستجَبْتُ نداءَها ... بموقفِ عزٍّ حافِلٍ بالمغَـانِم

فأَقْدمْت يحْدُونى رجاءٌ مُجنَّح ... وخلَّفْت دُونى راغِمًا بعد راغِم

وما النفس إلا حيْث تَرتقِب المنى ... وما القلب إلَّا حيث ركْضُ العزَائم

تُجاوُبَ أَصدَاءٍ وتَرْديدَ هاتِفٍ ... يؤُوب بِراضٍ ثم يغـدو بِنَاقِم

وإِنَّ حياةَ العِزِّ صعْب مِراسُهـا ... إذا لم تُزَوَّد فى الحيـاة بِقائِم

وإن حياة العز صعْبٌ منَالُهـا ... إذا رام فيها نَائِمٌ نصْـرَ نائِم

وإن حياة العز جدٌّ بعيـــدةٍ ... إذا عاش فيها أَهلُها كالسَّوائم

ولكنَّ قوما جاشَ بالنفس منهمُو صَليلُ سُيوف فى الوغى والملاحِم

وهَاج بِهم عزم ثَؤُورٌ إلى العُلا وهانَت عليهم عاصِيَات الجَماجِم

أُولئك يلْقــوْنَ الحياة رضِيَّة وتُشْرق فيهم طَامِسات المعالِم

فَمرْحَى بآمالِ البـلادِ وَشَعْبِها ومَرْحى بأَبْناء البـلادِ الضَّراغِم

أَفَاءَ عليهم مُلْكه من ظِلالِه مفَاخِر تَزْهُو فى أَجلِّ العــواصِم

به قدَّروا العِلم الصَّحيح وبرْهَنوا على سعْيِهم للمكْرُمات الجسَائم

فأَكْرِم به عبد العزيز موفَّقًا جَليل المَسَاعى فى طِلَابِ العَظَائم

أَلا تَزْدهي فيها بِعَصر مُنوَّر يفيض على أَبنـــائه بالنَّعَائم

تلوح عليه ساطِعــات كأَنَّما تقلَّد حقًّا بالثُّغــور البَوَاسِم

تَبلَّج نورُ العلم وضَّاءَ بينْهم على لا حبٍ سَهْل وضِيء المعَالم

على حافَيَتْــه للنُّبــوغ مظاهِر وفى راحتَيْــه صُورة للكَرَائم

بِدَار الهدى من شُرِّفت بِرسولها إمام الهدى رمْز التُّقى فى العوالم

تُكَرِّم روحا شاقها الفضل فاغْتَذت بأَلْبَانه حتى سَمَت للعَظَــائم

تَرامَتْ مع الأَيام حتى تَقَاصرَت بِعزم شَبابٍ فائرِ العــزْم فَاحِم

أَرادَ فلم يهْزَل وجَدَّ فلم يَهُــن وجاهَدَ لمَّا ينتظِر عَطْف زاحِم

تغَرَّبَ عن أهل وفارَق موطِنًا فآبَ وقُورا غانِما أيَّ غانِـم

فأَثْنى عليه المجدُ والفَضْلُ جُهْدَه وشاد صرُوحا عالِياتِ الدَّعائِم

وإنَّ بـلادا أكْرَمتْـه لِشَأْنه وعادَت به تَشْدوا كَشَدْوِ الحمائم

وقد لَمَست منه الحيـاة ورُوحها بِفَنٍّ عزيزٍ ناله خَيْـرُ حازِم

فلم تَأْت إلا واجِبًا كان دُونه فَذلِكَ رمْز للسُّـراة الأَعاظِـم

رأتْك الأَمانِيُّ العِـذاب مُحَمَّدا فَوافَتْ تُحيِّي قادِما تِلْو قادِم

كأنَّك فيها باقَةٌ قد تَفتَّحَتْ عن الأُقْحُوان الغضِّ أجْمَل باسِم

نُريدُك تِمثالَ الفَخَـار ورمْزَه ونَرْجوك عُنْوانَ الطبيب المُسَالم

لِتَكشف عنها بالأَشعَّة داءَهَا وتُذْهبَ عنها مُغْرِيات الطَّلَاسم

فَلَيس لِشعب فى البلاد تفاخُرٌ إذا لم يُفاخِر فى طبيب وعالِم

فأَعظِمْ به حفْلًا تَسـامَى بَهاؤه بِسعْد أميرٍ قامِـعٍ للمَظَـالم

دَؤُوب على خَيْر البلاد وأَهلِها كريمٌ نبيل جامِـع للمَكَارم

يُرِينـا محيَّاهُ السمَاحَ كأَنَّما يُرِينا الغوَادي هاطِلَات الغَمائم

صَلَاةٌ من المولى لِأَكْرم خَلْقِه تَلوح كما لاحَتْ بُدور التَّمائم

* * *

نشرت هذه القصيدة بالعدد (٦٩) تاريخ ٨ رمضان سنة ١٣٥٧هـ

خلود البطل

مهداة : إلى روح سمو الأمير الصديق عبد الكريم الخطابى : رحمه الله

قد سابقَتْه إلى الرَّدَى أمجادُه ... فتألَّقَتْ آمالُه من بَعْده

وأَبىَ عليه إباؤُه أن يَفْتدي ... وهو الفِداءُ بِعُمره وبِمَجْده

شأْنُ العظيم يعيش مِلءَ حياته ... وإذا قَضى طَاب الخُلود بِخُلْده

ما عاش زَهْوًا بالبقاءِ وإنَّما ... زَهْوُ الحُسَام بِحَدِّه وفِرنْده

لم يَسْتَبِح لما أَضاف طَريفه ... لِتليدِه حتى ذُبالة جُهْده

واستَلْهم التاريخ سِرَّ بقائه ... مُتأَهِّبًا كالمشرفىِّ بِغِمْده

ما نَابَه أَسفٌ على ما فَاتَه ... بل أَوْدَع الأَيام حَسْرَةَ فَقْده

ما حاسَب الأَيام فى خَطَواتِها ... لِيَظَل فى أَسْرِ الكِفاح وقَيْده

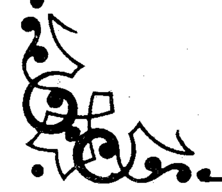
ضنَّ الكريم وما يضِن وإنَّما ... أَلْوَي به شُحُّ الزمان بِنِده

المجد أَشْرَق فى لفائِفِ مَهْدِه ... فَمشَى خَدينَ وفاتِه فى لَحْده

وتلفَّت التاريخ بعدُ فلم يَجِد ... إلَّاه فى تَبْريحِه أَو سُهْده

فى موكِب الأَحْداث كيف تَصارعت | فى فَقْده كصِراعها فى وجْده
وهَفَا لاصْداءِ الحياة مُطِلَّة | من رُوحه عَزَماتُه فى جُنْده
تَنْهلُّ فى الدنيا سواكبُ فَيْضِه | وتهِلُّ بالرُّحمى سحائب رِفْده
وخَلَائِق المجد الأَصيل شمائِلٌ | تَصل الحياةَ بِحظِّه وبِسعْده
وتَشِعُّ إشْعاع الهدي فى موطن | غَذَّاه من دمه الزَّكيِّ وشُهْده
ونماه يشرُف أَصله مِنْ فَرْعِه | شَرف الفَخُور بأَصْله وبِجده
وعلَى العظائم فى العظيم دلائِل | سطَعتْ لِتُشْرِق بعْده فى ضِدِّه
أَغْنَتْ عن التمثال ينصب بعده | مُثُلٌ تَشِيد بِشُكْره وبِحمْده
ومِنَ الرجال صُوىً على طول المدى | تَهدي لأَقْوم مَنْهج واسدِّه
تسمو على أَدْنى الهَنَات سجِيَّةً | قد صوَّرت خَطَأَ العظيمِ كَعَمْده

* * *



فجيعة الحب الحالم

في يقيني عاشت نَعيما وما زالت	وفى القمّةمن مُهْجتي ومن إيماني
حبّبت لِى الحياة من بعْد أن كانت	جحيما وأشْـرقت فى كِياني
بسْمةٌ في السماءِ صوَّرها الله	ملَاكا وشُعْـلة من أماني
ورجاءٌ في زحمة اليأْس وافَاني	وفى غَمْرة الكُرُوب أتَـاني
وأنَا الصَّابر الذي اعْتَصر العُمْر	شَقَاءاً بِكَأْسِه قـد سقَـاني
كَمْرجوت الأَمانَفي كَنَف الصَّحْب	فما فُزْت عنـدهم بالأَمـانِ
وأنا الواهِبُ الحنانَ سخِيًّا من	لِساني ومهْجتي وحنَـــاني
قلتُ مرْحى تَوأَم الرُّوح والنفس	وأهْلًا في السِّـرِّ والإعلان
مرْحبـا بالحياة أَرْسلها الله	شُعَاعًا يجْلو به أَحـزَاني
وتَفَيَّأْتُ ظِلَّها أَنشُدُ الرحمةَ	لا ابْتـغِي سِـوي الإحْسان
هُو حُبِّي وعطفُها أَملُ العُمْـر	وفى مشْـرِق المـنى نَشْوتَان
قَرَّبتْ بيْننا المعاني على البُعْد	ويا طَالَما تَجُـودُ المعَـاني
حُلمٌ عِشْتـه وفجْر جدِيد	شَعْشَعَتْـه من رُوحِها بسْمتانِي
صافَحتْها نَفْسي فَفرَّت مِنَ العين	ابْتِهـاجاً لِقُـربها دمْعَتان
وتمرَّغْت فىثَراها ومحَّضْتهَواهَا	عـِزِّي مزَجْتُـه بِهـواني

وارتضَيْت الهـوى كما تَرْتَضيه وسـواء أطاعَـنِي أو نَهانى
هى همِّى وشُغْل نَفْسى وقَلْبِي وصـلاتى فى كُلِّ حِينٍ وآن
ثُمَّ ماذا لقد فُجِعْت بأَحْـلامى على غِرَّة بما قد دَهـانى
إذْ تَبيَّنْت أنَّنى عِشْت على سُوءِ ظَنِّهـا حيـاةَ الهـوان
وأَنَا الغافل الذي عافَ حتى العقل فى حُبِّهـا على اطمِئْنـان
أَنتِ معـذُورة فما : لِملاك يتَـدنَّى لِقَـادرٍ منَّـان

* * *

غيْرأَنِّى يانور عينى على العهْد سأَحْيـا - ولو حياةَ الجبَـان
والذيوَزَّع السرائرفى الناسعَلِيم بالسِّـرِّ فى الإِنْسـان
رُبَّ سرٍّ يطِيب إعلانُ خَافيه وسـرٌّ يحْـلو مع الكِتْمان
فَسلِي النَّجْم والدُّجى والأَغارِيد وهَمْس الـوَرْقـاء فى الأَغْصَـان
كيْفَ أَغْفُو وأَنت إِغفاءة العين وأَصحو وأَنت رجْـع الأَغَانِى
واسْبَحى كيف شِئْتِ فى عالَم الشَّكِّ فإِنِّى راضٍ بِحُكم الزمان

* * *

الجرم العقيم

(١)

بعْدَ عشرين خَلَتْ من عُمْـري   حين أبْصرتُ بِعيني . . . أثَري

وتلمَّظْت رحيـــقَ القَــدَر   مثْل من يرشِف ضوءَ القَمر

وتعلَّقْتُ على الهُـدْب الذي   طالَما أرَّقَ جَفْـن السَّحر

وبَكَى قَلْـبي دعاءً صامِتـا   للحَنَـــان الغامِر المُنْهمِـر

لِلَّذي هـدَّل لى أغصَـــانه   ورَعَى مهْـدي ودارى حَذري

صُغْت من فَرْحـة نفسى أملًا   أن يرى قبـل سِواه ثَمَري

فَهـو مِنّى الأَب والأُم معًـا   يا لأُمٍّ شَقِيـت بالوَطَـر

لم أكُن فرحَتَها فى صِغَري   لم أُقَبِّل يَدَها فى كِبَري

وتحامَلْت أُوارِي ذِكـرَهَا   بالذي شَعْشـع كأْسَ العُمر

بِالذي قلبي اغْتَذَى من عطْفِـه   وفَمِـى اتْرَعــه بالــدُّرَر

بِالذي ساءَلْتُـــه عن إسْمِها   فأَضاءَتْ دمعـة فى المَحْجر

ثم فَرَّت تَتَـوارى فى دُجىً   ضَارِبٍ فى لُجِّـهِ المُعْتكِر

تتهَــدَّى ومضَــةً شارِدة تَتَحــدى غَمْغمــاتِ القَدَر

مِثْل من أَشْرق فى مَعْلومِه وضــح المجهــولِ رثٌّ أغبَر

غائم يلهَــث كالمستغْفِـر واجِـم فى حِيْـرَة المُنكَسِر

كالذي يَرْثى لِحـالى جاحِدا أن لى أُمًّـا فَيـا للنُّكُـر

قلْت : يا للنُّكْـر حقًّـا إنَّها رغْم ما تُخْفيه إحْدي الكُبر

جحْـدُها جحـد أَبى يا لَيْتنى قد طَويْت العمر تَحْتَ الحُفَر

وعَلَى رأْسى كأَنِّى غـارِق فى دَمٍ أَوْ قــادم مِنْ سَفَـر

وبَــدَا ظِـل حيـاتى كالِحًا راقصًـا فى هَيْكَل المحْتضِـر

وتصَـــوَّرْت أَبِى أَين أَبى حينَما يثْـنى عِنَـان الخَطَر

فى حَنَـان غاضِبٍ فى ثورةٍ مِثْل زَحْم الرَّعد قبل المَطَر

وتَبيَّنْت الـذي قد كَتَمتْ تِلكُمُــو الدَّمْعـة لم تَنْحدر

إنــى منــه غريب طَـارِئٌ فاقِد الرَّحمــة هَشُّ المكسر

قد تَبنَّــانى لِستْر جابِر آهِ للكَسْـر الذي لم يُجْبر

إنه الجُـرحُ الذي أَلْعقُــه كُلَّمـا امتَـدَّ لِحىٍّ بصري

واستَحال العطفُ ذَنبـا كاوِيا لوْ دَنَا من أَخْدعيه خَنْجري

لَيْتــــه خَـلَّى حيــاتى همَلًا أو (لَقــا) يعرِف سِرَّ الخَبَر

واضِعًــا نفـِسي فى موضِعِها غيْر ذِي إرْب ولا مُنْتظِـر

هِى فى حـل فلا تَردَعُهــا نِسْبـــة تزهـــو بِمعْنى نَير

إن للشيطــان نَبْتًـــا صاحِياً طَلْعُــه مثل رؤوس الغجر

فإذا الأَشجــار لم ترْض بِهِ فهــو لا يعْــدم سَمْت الشَّجَر

إنَّه الواقــع أَقــوى حُجَّــة من خَـفِىٌّ بارزٍ فى الصُّوَر

إن ذاك النَبْتَ خيــرٌ مظهَرًا من ظِــلال كاذِبات المَخْبَر

* * *

(٢)

إننى اليــوم وقَد طَال الخَنا صــورةٌ فى غَرضٍ محْتَقَر

صنَعتْــــه غَفْـــوةٌ آثِمة إنها الجُـرم العَقيم المصْدر

دنَّس المِئــزرُ فى الجانى الذي ولَد الغافل عَــفَّ المِئـــزَر

الْبس العــــار بريئًــا ومَضَى يذْرَع الليل بِوَجْــــه أصْفَر

أين سِرُّ الدَّمِ فى القلب الذي لَطَّــخ الأَعراقَ فى المُسْتَهْتر

الجَبَـــان الفدم موْبُوء الحَشَا إنَّه مِثْــلى هجيــن المَحْدر

مِثْلَما قد عافَني في خِسَّة   سوْف لا أَرضَى به في المَحْشَر
إننى أَعْدى عِداه جَهْرة   لَسْت عَمَّا قُلْت بالمعتَذِر

* * *

(٣)

فَلْندعْه . . . أين أُمّي يا ترى   كيف تَحْيا في اللَّظى المُسْتَعِر
أَين قلبٌ لَمَحْتْني عينُه   كيف لم ينْشَق أَو يَنْفطِر
أَنت يا أُمّيَ أَصْل النَّسَب   أَنا مِنْه مِثْل نَفح الزَّهر
إن يكُن قلبُ أَبى من حَجَرٍ   لن تكونى أَبدًا من حَجَر
أَنتِ ضعْف لَبِسْته قوةٌ   ليس عُهرًا غير عهر المبصر
القوي الأَيْد خَطَّاف النُّهى   صَانِع الفُحْش صَنِيع العَبْقَري
يُرسِل النَّظْرة قد وَشَّى بها   حُلْما قد صاغه مِنْ غرَر
رُبَّ زُورٍ نَسَجتْه حُلَّة   قد طَوَتْ أَقبَح معنى قَذِر
لست يا أُمَّاه شَرًّا فابرُزِي   رَصدًا للهارِب المسْتَتِر
أَنت في هَمٍّ لِذُل واحد   وهُمومى فِيكِ فوقَ الْكُثُرِ
وخيالى عاقِر مُنْسرِح   رسْمه أَنت بديع المنْظَر

واثقٌ أنَّك مثْلِي حَيْـرة وهَـوى حـرٌ الأَسَى لم يُكْدر

أَيُّنـا أَقْسى عـذابا فاشْكِلِي إن بثَّ الشَّكْوِ غيـرَ الحَصرِ

رُبَّما تدْريـن حالى ربمـا تعْرِفيـنِي بالسِّمـات الأُخر

وأَنَا وحْـدي الذي لا اجْتَلى غير مَعْنـاك بِلَحْظ الفِكَر

وعَـزَائى أَننـا فى النِّسبَة الكبرى عِيـالُ الله بيْن البَشَر

ما خَلا مِنَّـا زمان الوبَـر ما خَلا منا زمان المَـدَر

قد حملنا الوِزْر لَا فَاض على غيرنا مِنْـه نثـار الشَّـرَر

فاسْمَعى يا أمٌّ أنَّى كنتِ من قَلْبِيَ الصـاحى؟ حديثَ العِبَر

ليس للأَخْلاق وزْنٌ فى الدُّنا إنه المعروفُ مِثْل المُنْكَر

فانظُرِينى لو رَمَى المَجْد على كتفي الواهى شَفِيف الحَبَر

لرأيتِ الناس أفواجًا على عَتَبـاتِى زُمَرًا فى زُمَـر

وأَشَاعُوا أَنَّـنى نَسْل العُـلا لَوْذَعِيٌّ مُخْـوِلٌ مِنْ مُضَـر

وأذاعوا أَن لى بالمصطفى نَسَبًـا فى أُمَّهـاتِ السِّيَـر

وسَقَـونى ثم غَنُّـوا طَرَبا ثُمَّ خصُّـونى بِوِرْد الكَوْثَر

ورَأَوْنِي طائـرا فـوق السَّما وتَنَاسُـوا سَقْطَةَ المُنْحَـدَر

قـد تذكَّرتُ زيادًا فى الوَغىَ　　وهو مَنْ قَدْ جحدوا فى الصِّغَر

حِين ادْنتــه إليهم كُربة　　فَمَحت عنــه ظَلام الأَعصر

بعد أَن كان عليهــم سبة　　قد غدى مفْخرة المُفْتَخِرِ

إن حُبِّى لكِ لم تذهبْ بِـه　　رجْفَـة الإعصـار لم ينحَسِر

صَان عَقلى من شُـرور فأَنا　　لكِ أَحْيـا لست بالمُنْتَحِرِ

قد تَحَديْت قُـوى الظُّلم فَلم　　أَنْهَـزِم يا أُمُّ لم انْدَحِر

ورضِيت الله حسْـبي أَنَّـنى　　عبـده بين عِـدَاد البَشر

فإذا ما قِيل من أَنْت أَقُل　　أَنا عَبْد الله هَل مِنْ مُنْكِرِ

فابسِمى لى شجِّعيـنى واهتِفى　　إنَّه ابـنى بعِيـد النَّظَـر

بالأَغارِيد الوضيئــآتِ الصَّدا　　أَتَحرَّاك وقلْـبي وتَـرِي

واقْبَـلِي منى ضَرَاعات الهوى　　واظْهَـري يا أُمى هَيَّا فاظْهَري

* * *



أَلْقاك فى الشَّط أَمْ أَلقاك فى الماء ... على جَناح خيالٍ مائلٍ نَائِى

واستَحِمُّ من الأَضواءِ سَابِحَــةً ... فى العِطْر تَمْزِج أَشْذاءاً بـأُنداء

واستَرِيح كأَنى فى جَوَانحها ... أُعانِق البذْر بَيْن العُشب والماء

فَهَل تعودُ حياتى بعد مااخْتَلَجت ... تَرِفُّ كالطَّير فى صُبْح وإِمْسَاء

واستَضْحك البَحْر فى أعماقه عَجَبًا ... من شاعِرٍ ظَامِئٍ فى اليمِّ مَشَّاء

إذا تَراقَصَتِ الأَمواج ظنَّ بِها ... سُوءًا وما رقَصَت فيه لإِغْــراء

وخَالَها ثورةَ العذَّال مائِجــة ... تَرنُوا إليه فَتَرمى الدَّاءَ بِالداء

وما دَرَى أَنَّها الأَشواقُ هائجةً ... تَرَا كَضَت عاصِفَات بالسُّويداء

فَضَّاحة لِقُلوب طَالَما اعْتَصَرت ... آلامَها فاطْمأَنَّتْ بعد إِعيــاء

كأَنَّما الأَمَلُ النَّشْوان فى يَدِها ... يصيح . كأْسى وأَلْحانى وصهبائى

وأَنتَ يابَحْر كَمْ تغْفُو على سِنةٍ ... مكارة تقذِفُ المــرئِيَّ بالرَّائى

وما سَئِمت المدى المطوِيَّ تلمَحُه ... لَمْح الطُّيوف على وهْنٍ وإِبْطَاء

تَلَمَّسُوك هَوًى رقَّتْ مَسَــاحِبه فَوْق الرِّمال على صحوٍ وإغْفاء

وأَوْدَعوك خفيا من سَرائِرِهــم فَخَادَعوا عَيْن نَمَّامٍ ووَشَّــاء

وللأَحِبَّة فى شطَّيْك زَمزَمَــةٌ تَنَاوَحتْ عبْر إدْناءٍ وإقصَاء

وللأَغاريدِ فى الأَسْحار هَيْنَمةٌ على ثُغور النَّدَامى والأَحبَّاء

وفى شُعُور الغَوَانى لِلصِّبا عَبَث مُرَقْرِق من شُعور الحَاءِ والبَــاء

وسِعْت كلَّ شجِيٍّ ما دَرَيْن به و كُلَّ ذِي عَبَث عادٍ وهزَّاء ..

و كل صدَّاحَة فى الأَيْك رَوَّعَها غَدْر اللِّدات وتنكيل الأَلِــدَّاء

وذَات دلٍّ مَلول حطَّمْت أَملا فى مُدْنِفٍ دونه أَغْلى الأَشِقَّــاءُ

وغَادَة فى ربيع العُمْر باسِمَــة فَرَّت إليْك بآثام وأَقْــذَاء

أَلْقَت إليك ولمَّا تَجْنِ غيرَ هوى بِنَفْسها فى لظى كالحُسْن دَعَّاء

وبَائِس عَضَّه بعْد الثراء أَذًي مِن شَامِتٍ وعقوقٌ من أَخِلاَّء

وافَاك يلفظ من أَنفاسِه رَمقًا يُصافح الموت فى ذُلِّ الأَعِزَّاء

وسَائرِين على الأَثباج ماخِرَةً فِيك العُبَاب بأَمْوَاتٍ وأَحيَــاء

قد خَضَّبوا بالدَّم القَانِى ورجْفَتِه صَفَاءَك الحُلو فى هَوْل واصْمَاء

وخضْخَضوا فى مَجَال الرُّعْب ماصنعت قَسَاوةُ العِلْم فى عُنْفِ الأَلِبَّــاء

وروَّعوا فى طِباقِ البحر آمِنَـة ... مِن العوالم أَثْغَتْ ثَغْوَةَ الشاءِ

وأَنْتَ أَنتَ لَعَمْري كيف ما اخْتَلَفتْ ... عليك يا بَحْرُ أشياءٌ بأَشْيـاءِ

تُفَلسِف الرجْفَة الكبري بِقهْقهة ... تَبعْثرت بين إِزْبـادٍ وإِرْغـاءِ

وتَعْبر الزمن الغَافى إِلى زمـن ... صاحٍ ببهجةِ مِعراج وإِسْراءِ

ومَنْ يَثُرْ للمَعانى دون هَيْكَلها ... يا بحر يَشْقَ بِضَلَّالٍ وهَـدَّاءِ

* * *

وضَاق آذيُّك العاتِى فأَرسَلَها ... مَلْمومة بيْن إِخْفاءٍ وإِبْـداءِ

تَقُول قَوْلَتك الشَّعْواءَ باسِمَة ... أَنَّى تَضِيق الدُّنا فى عُمْق أَحشَائى

العَائِشون على فَيْضِي ومنْتَجَـعى ... والْهَالِكـون طعام للأَجِنَّاءِ

فما أَسِفْت لِروَّاح على ثِقةٍ ... ولا فَرِحْتُ من الدنيا بِغَدَّاءِ

الهابِطون على مَائى وأَجْنَحَتى ... والصاعِدُون على أُفْقِى وإِمْدائى

إِن يصْخَبُوا بيْن آفاق السماءِ ضُحًى ... قلت السماءُ عليها طعم أَنْـوائى

ولَسْت أَحمل عنهم عبئَهم أَبَدا ... ولو هُمُو حَمَلوا بِالوهم أَعْبائِى

تَذُوب فى اللُّج أَطْواد وأَلْوِيَة ... على الحروب وفَوْق الدهر إِفْنَائى

* * *

غَالطْتَ يا بحر هذا الكون فاسْتَبَقوا إلى صِفاتِك من دانٍ ومن نَائى

قَالوا عظِيم كَعُمْق البحر مُنْبسِط كَوجْهِه بين إشْعاع ولألَاء

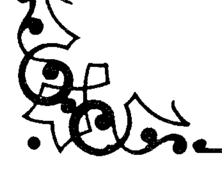
فَتَاهَ كُلٌّ عظيم فى مَطَارِفه والْتفَّ فى ثوب ذَكَّارٍ ونَسَّاء

و كلّ ما انفرجتْ دنياه واتَّسعَت قال الدُّنا طَوْع آرابِى وأَهوائى

وإن تَشَاجرت الآراءُ وارْتَطمَت لَدَيه حَطَّم آراً بـــآراء

مادُمتُ قدجُزْتُ آفاق المدى قُدُماً لا فَرْق بين أَحبَّائِى وأَعدَائِى

* * *



الفرحة الكبرى

هي الفرحة الكُبْرى وفَتْنا وُعُودُها ... فأَجْمِل بها أن يَبْدُوَ اليومَ عِيدُهَا

وأجمِل بِها أُمنيَــة عبقـــريَّة ... تَدَانَى على رغْم الزمانِ بعِيدُها

تَعَالَى هُتافُ العُرْب بالدين داويا ... ورَجْع الصَّدي أَعماقُها وكبودُها

تُمثِّلهم فيها المَعَـانى كَريمَةً ... وتَخْفِق بالبُشْري عليهم بِنُودُهَا

ومَا هِي إلا أُمة وحَّدَ الهـــوي ... هَوَاهَا وصاحَتْ في ثَرَاها جُدُودُها

ولفَّتْ عُروق المجد عِرْقا لِصِنْوه ... فَعَزَّت ولم يُعْجِم لَحَاها وُعُودها

فإن أَبْرَقَت باليُمْن وطْفَاء ثَرَّةٌ ... وإن نورتْ بَطْحاءُهَا ونُجــودُها

وإنْ سرَّها عِيد الجُلوس لِضَيغَمٍ ... فَبالوِحدَةِ الكبري يَتِم سُعُودها

أَجَلْ بَانَ ذَاكَ الفحْلِ أَصلًا ومحْتِدًا ... إليك الأَمانى مُثْقلاتٍ نُقُودُها

فَخُذْها فَمَا كان العَظيم لِغَيْرها ... وقُلْها تَثُر تَحْت العُجَاج أُسُودُها

بَلوْنا من العُربِ الكِرام شَمائِلًا ... إذا انْطَلَقَتْ أَوْفى على الجُودجُودُها

تُخَضْخضها الجُلَّى فيعْلو صراحها ... وبَغْضاؤُها تَبْلى وتَفْنى حُقُودُها

تطلَّعَت الدُّنْيــا إليكَ مُطِلَّة ... قُلوبًا ومن خَلْف القُلوب جُنُودُها

تُحَيِّيك بِاسْم الدين أَعْليْتَ شَأْنَه ... وبِاسْم الغَوادِي مِثلَها بَل تَزِيدُها

أغـــادير

بَلَغتْ مَدَاها الحادِثاتُ حِيالَها | وجَلالَها الرَّزْءُ المُريعُ جَلالَهَا

أَلحاظُه دارَت على لَحَظَـاته | عَجْلى تُذيب بِطاءَها وعِجَالَها

وتصامَمَتْ عن رَيْثِـه وأَنَاتِـه | كَىْ لا تُزَعْزِع بالمُحَال مُحَالَها

صَالَت مَصَالا دُون شَمْخَته الذُّرَى | فاستنزَلَت عُصْمَ الفَلَا وجِبَالَها

جالَت مجال اللَّمْح فى خطَراته | فاستعْجَلت أَعمَـارُها آجَالَهَا

حتَّى ذُكَاءُ مَحَا البلاءُ شُعَاعَها | ومَحَتْ بُكورُ حَيَاتها آصَالَهَا

لم تَبْق آمال تُهدْهِد حَالها | لم تبق أَفكار تَجُول مَجَالَهَا

لُطْف أَغَار على المُغِير فلم يَدَع | نُعْمى تَجُر وراءَه أَذْيَالهـا

غالَ النساءَ مَعَ الرجال فَلَا ترى | ثَكْلى تُشيِّع بِالبكَاء رِجَالَهـا

كلاَّ ولا أُمٌّ تَقَطَّـع قلبُها | حُزنًا يُلاحِق دَمْعُها أَطْفَالَهَا

الذاهِبُون مَضَوْا ضَحِيَّة نَقْمَة | قد حَمَّلوا مَنْ دُونهم أَحْمَـالَها

والسَّالِمُون من الخَلَائق إِنَّهـم | «أَطْلالُها»[1] فلْيَنْـدُبُوا أَطْلالَهَا

كم تخبَّئُ الأَقـدارُ من أَهْوَالها | حتَّى تَلَمْلم جُهْـدها أَهْـوالها

أَمدٌ يَطُـول فيستريح لِطُوله | شَرَهُ النفوس فَلَا يَحُلّ عِقَالَهَا

(١) أى بقاياها .

ويزِيدها الأَمَل الطوِيل ضَرَاوَةً وقَسَاوة قد أَحْكَمَتْ إِقْفالَها

حتى استرَابَتْ فى السماءِ وأَيْقَنَت عَجْز السَّماء فَمَنْ يُغَيِّر حالَها

الشَّر للأَشْرَار مَدَّ حِبالَه كالفاجِعَات لهم تَمُد حِبَالَها

والطيِّبون المُبْتلون حَصادُهم فِتَن تَزَلْزَلَ فوقَهم زِلْزالها

يَمْضى الكِرام لَها خِفَافا مِثْلَمَا يُبْقى الرَّدي أَثْقالَها وعِقَالَها

وتَسُوخ أَقدامُ الشَّقاءِ بِخَيْلها وبِرَجْلِها فى زَحْمة تَسْعى لَها

تَهْوي لتقْتَلع الجُذُور رواسِخًا عبرًا تُناشِدُ بعدها أَجيالها

ذهبَتْ « أَغادير » الجميلةُ ضَحْوَةً غَال الرَّدى شُطَّآنها ورِمَالها

والسابِحَات الفاتِنَات تجَاذَبت أَحلامُها واستَنْفرت آمالَها

تطفُو وترسُب تستمِدُّ فُتُونَها عَزماً يناهِض سِحْرَها ودَلَالها

عشن الحياة غَضَارة ونَضَارة يَنْسِجْن من ظلِّ الجُفُون ظِلالَها

ويْلاهُ تِلْك فَجِيعة موْصولَةٌ تَبْكى صَوَاحِبَها وتَحْرِق آلها

ولِدَاتها عَبْر الشواطِئِ فى الدُّنا يرقُبْن فى خَطْو الزمان مآلها

والثائرون على الخَليقَة كُلِّها والغَاصِبون عراضَها وطِوالَها

والقاطعون رَحَامهة والآكِلون حَرامَها والعائِفون حَلالَها

هل يأْمنون الشَّرَّ فى أوطَانِهم هل يأْمُنون زَوَالهم وَزَوالَها

يا ربِّ أَنْت لَها و كُل عظِيمة فَاقْهَر عِدَاك فَلا تَنال مَنَالها

خــاطرة الولاء

في عرض مساجلة شعرية مع أديب مصري من وفود بيت الله الحرام المملوئين ولاءاً صادقاً لإصلاحات الدولة في الحجاز عام ٥٦ .

خُذْ تَحَايَا الحِجاز يا صِنْو مِصر　　مِنْ مُعَنًّى بادي الضَّنَا والسَّقام

خذ حَنيناً قد فاض شِعْراً وحُباً　　هَاجَ في النفس ذِكْرِيات الغَرام

أنا كَالطَّير لا يُرَفْــرف إلا　　عَنْ حنين لِسَالِف الأَيَّــام

أنا كالطير لا يُريد سِوَى الرَّو　　ضِ بهيجاً ومرْتَــع الآرام

أنا كالطير يَرْتجي المَرْتَع الخ　　صْب لِتَرديد طَيِّب الأَنْغَام

أنا كالطير مِلؤُه ذِكْريــات　　بَيْن يقَظاتِه وبين المنــام

حين يَبْدو السِّرْب المُجِدُّ طلِيقًا　　واسعَ الخَطْو نَافِذًا كالسِّهــام

لا قُيُود لا أَسْر ثَمَّة تَصْفــو　　لِي حياتي وتَمَّحِــي آلامي

أنا كالطير في انْطِلاق لِسَاني　　عن شُعور مُمَثِّل لِمَــرامــي

ما ابْتِسامُ الحياة غيرَ سُـرورٍ مِثْل فجْرٍ يغْزُو جُيوش ظَلام

وهنَائى كلُّ الهَنَاءِ بِـلادي إِذْ أَراها جدِيرَة باحْتِـرام

فَبِلادي رُوحى وروحى بِلادي ليس بِدْعاً إذا انْتَضيْت حُسامى

فى هَواها عِشْت عِشت سعيدا أو تَفَانَيت فالحياة أَمَـامِى

هِيَ لى بَسْمة على الثَّغْر تَبْـدو أَي ثَغْر يحلو بِغيْر ابتِسَام

لَهَب الشَّوْق أَذْهبته سُـوَيْعا تُ حسان مرورُها كالسِّهـام

قد تَراءت لها الأَمَانِى سِراعا باسِمَـات فصدَّقَتْ أَحْـلامى

فَتَقبَّل أَنفاس قُطْـر مجيد هِي رَمْز المُنَى ورمز السلام

وتَذكَّر بِدار « طه » صديقًـا وافِر الشَّـوْق عن شباب ظامى

* * *





في مجلس الشورى . بالمجلس على ظهر جدول الأَعمال ــ بين شاعرين . شاعرنا والشيخ إبراهيم الغزاوي .

قال الشاعر ضياءُ الدين :

الطيِّب الساسِى يُناغى الرئيسْ   ونحن فى الجَلسة رُحْنَا فِطِيسْ

لم يشْعُروا بِوُقوف الهَوى   مِن دُون تَكِييفٍ ودون الفُلُوس

* * *

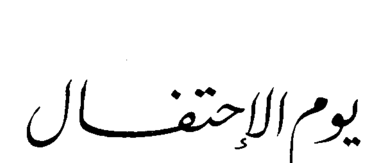
ورد الشاعر الغزاوي :

رُوَيْدك لا بِدْع أَن يُذْهلا   وقرْعُ الأَدِلَّة حامِى الوَطِيسْ

فَأَمَّا الهواءُ وأَمَّا اللُهى   فمَوْعِد ذلك يومُ الخَمِيس

* * *





يوم الاحتفال

تكريم مؤسسي جريدة المدينة المنورة
الأديبين السيد علي والسيد عثمان حافظ عام ١٣٥٦هـ

ياصَفْوة الشَّعْب بَلْ ياصفوةَ الأُمَم	في بقعة هِي مَثْوى الجُود والكَرم
ويا أَميرًا غدَا إِكْليل نَهْضتها	يَحْكِي نَضَارتها في الأَعصُر القُدم
وَاسَيْتَها وعطَفْت اليوم فابْتَهَجت	وهلَّلَت بيْننا خفَّاقة العَلم
عاش المَليك فَمِن أَبْهى صَنائِعِه	هذا الأَمير مِثال الفَضْل والنِّعم
عاش المليك الذي عزَّت به مُضَرُ	من بَعْد رقْدتِها في «هُوَّة» العَدَم
رأَتْه قائدَها في كل مكرُمــة	فتابَعتْــه وجَازَت نَهْضة الأُمَم
وبعدُ : فهذا فَتًى يُزْجي عَواطِفه	فَرائِد انْتَظَمت عِقْدًا من الكَلِم
قال الصِّحاب تَقَدَّمْ خيْر آوِنَةٍ	وَافَتْك فاضْربْ على نَهْج من النَّغَم
وشنِّف السمعَ وأَرسِلْها مؤجِّجَة	إن الشَّباب إلى هذا المقام ظَمِي
فقُلْتُ مَرْحَى بأَبْنــاءٍ غَطارِفَة	وقُلت مَرْحى بأُسْد الغَابِ والأَجَم

وكيف أعصى لكم أمرًا وفى خَلَدى	عَواصِفٌ بين مُهْتَــاجٍ ومضْطَرم
ونحن إن لم نكُن أبْطالَ معْركَةٍ	وأُسْدَ غابٍ إذا وَقْد الوطِيس حَمِي
فكيف يجمعنا شَمْل وَيَنْظِمُنَا	عِقد ونَفْخَر بالقُرْبَى وبالرَّحِم
وما التَّوانى سِوَي جُبْن ومنْقَصَة	وما ذَوُوه سِوى ضرّب من البَهَم
وصاحِب المجد دأب لِمَطْلَبِــه	وأُمَّة المجد لم تَهدأْ ولَم تَنَم
هذِي حياةٌ نُحَيِّيها على أملٍ	فى أَن نُودِّع عَهدَ النَّوم والسَّأَم
وذَا مَجَالٌ رحِيبٌ قام يَنْشُدُنا	تَضامُنًا لِنَفي بالعَهْد والذِّمَم
فإن تَضافر فِتْيانُ البِلاد على	ما يرْتجون بحد الصَّارِم الخذِم
وباركُوا نهضاتِ العلم واقتبسوا	من نهضة الشَّعب فى الديْجور والظُّلم
وحبِّذُوا ساعياً من أَجْل نُصرتِه	وآزَرُوا مُخْلِصاً للدِّينِ والحرم
وكرِّمُوا نابِهاً من أَجْل ما صنَعَت	يَمِينُه فَهُمُوا العُنْــوان لِلشِّيم
وفى غدٍ أَثَر يَبْــدُو لِصاحِبِــه	يرنُّ منه الصَّدي فى الهَضْب والأَكم
وفى غَدٍ «صفحةٌ» يزْهو بِطَلْعتها	سُكَّان «وادِي النَّقا» والضَّال والسَّلَم
نُريدُها أَدبًا نضْــرا يَعِــزُّ بِه	أَبناءُ (يَعْربَ) والفَيْحَاء والحَرم
ونَرْتَجِيها رسولا للثَّقَافة فى	بَنِى العُروبة منْ بَغداد للهَرم
نريدُها مِنبرا يَعْلُوه كُلُّ فَــتَى	يَقظُ المَدَارِك شَهْمٌ غَيْر مُنْهَزِم
نُريدُها صورةً للشعب صادِقةً	تُقاسِم الشعب فى نُعْمى وَفى أَلَم
ولا نُريد غُثَاءَ القوْل تَقْــذِفه	على البلاد وَلَا لَحْمًا على وَضَم

ونحن لا شَكَّ فى أُولَى مراحِلِنا ... لا تُثْمِر اليومَ فينا نهضةُ القَلَم

إنلم تُؤَسَّس علىأَسْمىالمَبادِىءِفى ... هذِي البلاد أَتَتْ بالوَيْل والنِّقَم

وتستَمِدُّ مِنَ الدين الحَنيف سَنًا ... يُضىءُ نَهْج الهُدى للخَلْق والأُمَم

وتستقىمن مَعِينالفضْلِ فى (مَلِك) ... فَاقَ المَمَالِك فى حِلْم وفى كَرَم

وتستَفِيد من الأَخْلَاق « احسَنَها» ... وتَستَنِير بِخَير الآي والنُّظُم

وإنَّنا فى بلاد لا يُوائِمُهـــا ... هَتْك الفضيلةِ والأَخلَاقِ والحُرم

ونحن فى بَلَد فيه الرَّسول ثَوَى ... أَكرِمْ به مِنْ رسول صَفْوةالأُمَم

* * *

يا فيصـــلًا

يا « فَيْصلًا » للحق يَجْلو غَيْبَها ... « بالرأْي » آونة « وبالقِرضَاب »

هتَفَتْ بذكْراك الشعوبوكلُّها ... أَمَلٌ يغيض بِفَائقِ الإِعْجَـاب

أَما الحجاز فَقدْ كَسَوْت رُبوعَه ... بِفَضيلةٍ تزهو مَدَى الأَحْقَاب

وأَثَرْتَ للنَّشْء الحدِيثِ طَرِيقَة ... بِمَوارِدٍ تَحْكى الزلاَل عِــذَاب

وغَدوْت رائدَهُم فَشَعْشع بينهم ... قَبَسُ الرَّجَاء يُضىءُ للأَعْقَــاب

مَثَّلْتَ فى البلد الأَمين شَمَائِلًا ... فَوَّاحَــةً بِالفَضْــل والآداب

بَرْهَنْت أَنَّ لِذِي الجزِيرة مرتَعًا ... خِصْبا يجُود بصَالِح الأَنجَاب

هذا لِسان « صحيفةٍ » عَرَبِيَّة ... بَرَزتْ بِفضْل العاهِل الغَـلَّاب

فلسطين

عام ١٣٥٧ هجرية

فِلَسطينُ إن الخطْبَ يَبْدُو مُجسَّما ولكنـه بِالصبر والعزْم يَصْغُر

فلسطينُ إن الدين خصْب وإنَّما بَنُوه بِسَقْى الغرْسِ أَولى وأَجْدَر

وأَنْ مَادَهانا اليـوم رُزْءٌ مُروِّع أَصَاب الأَمَانى وهىَ بيضاءُتَزْخر

وجرَّد فِينا السَّيف صَلْتًا مُخَضَّبًا عِصابةُ بغْىٍ بالحَقيقَة تَكْفـر

ورَامُوا بِناكيدًا لِتَوْهِين أُمَّـةٍ تَقَدَّس فيها الله يُدْعى ويُذْكَر

فإنَّا لِنَصْر الله راجُون خُشَّعًـا ومَنْ رَام نصْر الله لا شَكَّ يُنْصَر

وإن دِماءً أُهرِقَتْ فى سبِيـلِه دِماءٌ بِها الإِسلام يَزْهو ويفْخَر

فِلسطين إن الدين جِسْم إذا اشتَكَى لـه عُضْوٌ يشْكُو الجَمِيـع ويضْجَر

وذِي لُغَةُ القلب الحزِين تصعَّدت تُتَرْجم عمَّا بالحَشَـا وتُعَبِّـر

فِلسطينإن الشرْقَ ريعت حُدُوده وجَلْجل صوت للجِهاد يُزَمْجِر

لِيُسْمِعَ أن الدين حىٌّ ولم تَزَل دِماء بنِيـه إِثْرَهُ تَتَحـدَّر

وأنَّ تماثِيل السِّيــاسة خُلَّــب   لَعَمْرِيَ أَوْهَى ما يُراد وأحْقَــر

وليس لنا من بعدِ حَيْفٍ وذِلَّة   وتجزِئَةٍ فيها العُقــول تُحَيَّر

سِوَى موقِفٍ صعْب جَسُور مُشرِّف   فإن مُصَاب الشَّر بِالشر يُبْتَــر

وما ذَلَّ من يرجُو المَمَات لِعِزَّة   تُظَلِّله فيها عَجــاجُ وَعِثْيَر

وهذا نَشيد بين « قَبْر ورَوْضَةٍ »   نَشِيد يُزَجِّيــه خَطِيب ومِنْبَر

فلسطين لسْتِ اليوم مَرْمىً وغاية   تُهَدِّدك الأَحداثُ والويْل يُنذِر

ودُونَ حِمَى «عبد العزيز» قَسَاوِرٌ   إذا الحرب عن أنيابِها اليوم تَكْشِر

ونحن لَعَمْري قِبْلة الدين كلِّه   إلى شعبِنَا الأَقطار ترْنُو وتنْظُر

لقَدْ جاهد الأَسْلافُ قِدمًا بِدِينهم   ولا بُدَّ من يوم ٍ بِه الحقُّ يظْهَر

فَلَابُدَّ من سَحْق اليهود وَوعدِهم   «لبلْفور» والأَيام تَسْطو وتَقْهر

* * *



ذكريات

يا صَديقى لك الثَّناءُ الجميل ... مِنْ صدِيق عَنْ عهــده لا يَحُول

قد تقبَّلْتُ باقةَ الزَّهْــر حبًّــا ... فى قَصِيدٍ كأَنَّــه السَّلسَبِيــل

ودعاء من قلبك الحر حُرٌّ ... وعلى الله ياصديقى القبول

جمَع الله شمْلَنــا « بِدِمشــق » ... والمُنى ظِلُّها علينــا ظَلِيل

والمَعانى فى « دُمَّر » ورُبَاها ... حَالِيات يحْلو لَدَيها المَقِيل

حانِيــاتٍ لِحُسنِها عاطفــاتٍ ... والصَّبا كالصِّبا رقِيــق عَلِيل

والسَّنَا يغْمُر الوُجــود حيــاةً ... هَامَ فى حُسنِها وذَابَ الأَصِيل

وهوىً يملأُ الجــوارِحَ عِطْرا ... وحَنِينًا كأَنَّــه التَّقْبِيــل

والعزيز العزيز نــورٌ ونـــورٌ ... وشذًى عابِقٌ وغيثٌ هَطُــول

إنَّها مُهْجتى ونفسى وحُبِّى ... مَالَها فى الوُجودِ عنـدي مَثِيل

جمــعَ الله شملنا « بِدِمَشْــق » ... والهَنَاءَاتُ حــوْلَنــا لَا تَحُول

فنَعُب السُّــرور علاًّ ونَهْلًا ... لا فِراق لا كربَةٌ لا فُضُــول

حاربتْنِى من الزمــان صرُوفٌ أَنْت أَدْرى بِهــا وعبْءٌ ثَقيل
كَمْ قريبٍ منِّى وليس حبِيبًا وحبيب وَمَا إِلَيْـــه سَبِيل

(٢)

ولِلدَّاءِ إذ يَسْرِي على حِينِ غفْلةٍ من الفَتْك وَيْلاتٌ أَمسُّ وأَخْطر
ومَا نَحن بيْن « الأَمْر » إلا مُرَوَّع تَقاذَفَهُ غِيلٌ بِه الأُسْدُ تَزْار
فإِنْ رَامَها عَطْفا رَمَتْه بِكارث وإن رَامَ عهدًا فهى أَنْكَى وأَغْدر
وليس بِنَاجٍ دونَ خَوضِ غِمارها فإِنَّ نجاة النفس إذْ هِىَ تَثْأَر
فيا أُمة الإِسلام والدَّاءُ مُحْــدِق لَقَد آنَ أَنْ يَبْدو لَنَا الدِّين مَظْهر
هو «القُدس» أُولَى القِبلتَين وثالِث المساجد يغْزُوه العــدوُّ المُدمَّـــر
فَكَيف نُقِرُّ الضَّيْمَ فى حـق وَكَيْفَ نقِر الخَسْف والحَقُّ أَظْهر
وإِخوانُنَا فى الدين يَسْطو عَلَيْهِمُ غَشُوم مَرَامِيه تُذِيب وتُصْهــر
وإِنَّا علَى الأَحداثِ صعْب مِراسُنا فَحتَّام هذا الذُّل والعزُّ أَجْدرُ
أَتَضْحى دِيَار الدِّين مَثْوى «أَذِلَّةٍ» مَعالِم دينِ الله فِيها تُغَيَّـــــر
ومِنْ بَعْد أَنْ كانت مَنار هَدَايَة تَدُق نَواقِيس ويَعْزِف مِزْهر
وفِينَا دِماءُ تَسْتَجيب لِربِّها وتَرْجو لِقَاءَ الله والمــوت أَعْذر
فَيَا ملِك الإِسلام يا خَيْر عَاهِلٍ تُلَبِّيه أَصْوات وتَحْمِيه أَظْهُر

لأنتَ بِدِين الله أَوَّلُ ناهِـــضُ وأَنْت عليه اليَـوْمَ أرْعى وأَغْيَر

وأَنت لَدَى الهيْجاءِ مُوقِدُ نَارِها وأَنْت على دَفْع المُلِمَّات أَقْـدر

ومِنْ حَوْل هذا «العرش» شعب وأُمَّـــةٌ تَعُجُّ بِتَهْليل وأُخْـرى تُكَبِّر

تُلَبِّى نِداءَ الله والموت غايَـةٌ إِذا صال فى الهَيْجا حُسامٌ وأَسْمَر

فخُذْها تُؤَدِّ الحقَّ للحق نَفْسَه فأَنْت بِهذا اليومِ أَدْري وأَخْبر

(٣)

غُرْبَةٌ . لَوْعة : وحِيرَة قَلْبٍ واضطِرابٌ وحُرْقةٌ وذُهـــول

آهِ لَو أَبْصَر الصَّـديق حَيَاتى رَاعَه الصَّمْت والأَسَى والنُّحول

هِىَ مَهْمُـومةٌ بِهَمِّى على البُعْد وقَلْبِي بِهَمِّـها مَشْغُـــــول

وكلَانا يَراك بالعـينِ والقلبِ وبُشْـراك فالنَّـوى لا يَطُول

نلتقى ، نَلْتقى ويغمُرُنا الصَّفْو ويدْنُــو الرَّجَـاءُ والمَأْمُول

ولأَوْطَانِنَـا نَعِيـش ونَحْيَا فَهْىَ حُبٌّ بِحُبِّنَـــا مَوْصُـول

* * *

«أمشاج» من جعبة المستعمرين

شَغَلونا بالرِّضَا والغَضَبِ فشُغِلْنا : بِلئيم : وغَبِي

ذَبْذبتْ أَخْلاقُهم : أَخلاقَنَا فَشقِينا : بالنُّهى المضْطَرب

ونَسِينا : أَنَّ فى إرْضائِهم غَضَبُ الله : وسُوءُ الأَدَب

ونسينا : أَن فى إغْضابِهم فَرْحة الله : وإرْضاءُ النَّبي

قالت الذكري

قالت الذِّكري : تَصوَّر أَنَّنِي ذَاتُها « تِلك » الـتى تَذْكُرها

أَننى السِّر الذي أَطْوي به صُوَر الحب : كَما أَنْشُرها

أَنَّـنى رُوحُ الهَوى مُنْسَابة فى طُيوفٍ حُلْوة . . تَغْمـرها

وذُكاءُ الحبِّ قد(١) يلمَحُها و « ذُكاء » الحبِّ قد تَعْبرها

رُبَّ وهْمٍ بارِق يكْسِرها وابتِسَامٍ عارِض يَجْبُرها

* * *

إن تَمثَّلت المنى ضَاحِكَة فى لِحَاظٍ فتكُها : أَيْسَرها

أَو ترشَّفْت رُضَاباً مِن فَم يَنْظم الدُّنيا : كما يَنْثُرها

(١) الشمس .

أَو تحسَّسْت الشَّذى فى زَهْرة   تَكْبرُ : البُرعُمَ : أَو يُكْبِرُهــا
لا تَقُل ذِكري : ولكن رُوحُها   ذاتُها تِلك التى تَذْكُــرهــا

* * *

قلتُ يا نفسِى أَفيقِى انَّها   خُدع الوهْم : ونَسْج العَنْعَنات

لا تغضب

قال : لا تغْضَب فكمْ من جَفْوة   هِىَ للمجفُوِّ والجافِى دَوَاءْ
يَنْفُضُ الوهْمَ الذي أَشْعَله   « ناقل » يَضْرِب فى طِينٍ وَمَاءْ
قلت لا يَجْهلُ حُبِّى لَيْتَــــه   جَهِل الحبَّ . فإِن الحُبَّ دَاءْ
عِزَّةُ المحبُوب مِنْظــار يَري   فى معانِى الحُبّ عَجْزَ الضُّعَفَاءْ
فإِذا اسْطَعْت سَبِيل الأَقْوِياءِ   كنْتَ والمحبوبَ فى الأَمْرِ سَوَاءْ

* * *

قلتُ حَسْبى قُوَّة الضعف على   « حُبِّه » أَحْيا حَيَاةَ الشُّعَــراءْ

* * *

تحية مصنع الجبس في الرياض

تفضَّل الدكتور محمد خاشقجي صيف العام الماضي عندما كنتُ بالرياض ودعاني إلى زيارة مصنع الجبس الذي بذل فيه من جهده وتفننه ما جعله خليقاً بأن يسهم في مشروع النهضة السعودية الكبرى في عاصمة المملكة وعروسها الفاتنة التي جاوزت سمت الطليعة من العواصم العالمية بأروع بهاء وأحسن تصميم ولقد كان المصنع بحق فتحاً قوياً في حركة التصنيع وأمجاداً للدعم الاقتصادي الرائع ولقد برز بأضخم معداته وأحدث آلاته التي يزمجر دويها كما يزمجر المجد الزاحف فينتزع الإعجاب ويملأ الأسماع والشعاب وكأنما أراد الدكتور خاشقجي أن يترك الدوي الذي تمناه المتنبي حين قال :

وترْكُكَ في الدنيا دَوِيًّا كأَنّما   تداول سمْعَ المرءِ أَنمُلُه العشر

وما انتهينا من الزيارة والتطواف في كل فرع من فروع المصنع ورحابه في جولة ممتعة تبعث في النفس النشوة والحياة والاعتزاز بكل جهد وطني لحما ودما حتى قلت للدكتور أتمنى لو تسعف القريحة بوصف هذا المشهد الرائع وإذا به يقول هيا لأُعيد معك أنت ذكرى

خالك المرحوم الشيخ عمر كردي شاعر المدينة الأول وقاضيها ومفتيها يوم أن فاجأنا مفاجأة سارة وليدة الساعة واللحظة فارتجل لى رحمه الله مقطوعة شعرية وأنشدنى الدكتور أبياتها فإذا بها من غرر الشعر وعيونه وتركت تلك الذكرى الحلوة بين خالى والدكتور أثرها الطيب فى نفسى وضاق الوقت آنذاك فسافرت إلى مصر وما أن عدت إلى المملكة هذا الأسبوع وسمعت بأثر هذا المصنع ونتاجه الذي غمر الأسواق حتى بدأت بهذه الكلمة وثنيت بهذه المقطوعة تحية وذكرى لمجهود دكتورنا الخاشقجى الذي جمع الله له بين موهبة الطبيب الناجح وحيوية الناهض الكادح .

بِالجِبس كُنتَ تُداوي الكسْر فانطَلَقت
يَداك تصنع منه اليَوْم عُمْرانا

تُقيم بين المُروج الخضْر شاهِقَة
من الصُّروح تعَالى شأْنُها شَانا

تعدو الرياض إلى جَارَاتها قُدما
وترفع المجد بُنْيَانًا فبُنْيَانا

حارِبْ بِمجد الغنى إرْجاف طاغِية
باسْم الفقير تَحَدَّى الله بُهْتانا

خَلِّ القُصور رُمُوزاً حيَّة وأَشِعْ

إسكان مَنْ لم يَجِد في الناس إسْكانا

مِن عِزَّة الدين عِزُّ المال تَبْسُطه

بَسْط الجَنَاحين إسْرارا وإعْلانا

فالحرب للمَبْدإِ الهدَّام لو نَفذَتْ

حَقِيقة الدِّين في أعماق دُنْيَانا

حتى نَسُدُّ عليهم كُلَّ نافِذَة

من السُّموم تبُثُّ الدَّاءَ أَلْوانا

لَا خيْر في القول تُزجيه وتُرْسله

أَسِنَّة لُطِّخَت عاراً وكُفْرانا

هِيَ المصانع فلتَصنعْ بها أملا

ضَخْما فكَمْ صانَت الأَيْمَانُ إيمانا

إن فاتنا الأَمْس لَا يَلْوِي على ثِقَةٍ

فلْنَنْس إهمالَنا ولْنَعْمل الآنا

نَمْضى على شُعْلة الأَهداف صادقَة

فالخيْر يُنْبِت أَنْصاراً وأَعْوانا

أسمح الرجال

قالوا دَعَا الناسَ إلى أدبِه　　فقلتُ هذا الفضلُ من دأبِه

قالوا أشَاع الأُنْس مجْلُوَّةً　　سماؤه الحُلُوة فى شُهْبِه

ورغْرَع الآمال فى ظِلِّه　　فانتعشت تمرح فى حَدْبه

فقلتُ لَوزَارَ الحياحَيَّهُ　　غِبًّا لَعَاف القَطْر فى غِبِّه

قد شَعْشع الفَرْحة لا تَنْتهى　　مِنْ عينه حِينًا ومِنْ قَلبه

يفْرط فى البهجَة موصُولة　　ويفرط اللؤلؤ من سَيْبه

والمزْنُ هذا المزن ما شَأْنُه　　يدْنُو فَيبْدو البُعد فى قُربِه

يسْأَل لا يَدْري أَمِنْ صَيْبه　　رَذَاذُه الْمُنْهَلُّ أم سُحْبِه

وقلت أسخى الناس أَعْلاهُمُو　　قَدْرًا وأدْنَاهُم إلى ربِّه

قالوا أَفَاض الخيْر فى أهلِه　　وأغْدَقَ الرحْمَة فى شَعْبِه

مكرِّمٌ فى ذاتِه صحْبَه　　وأنه المكْرَم فى صحْبِه

فقلتُ من رشَّ دُروب الوَرَى　　بالعِطْر غاب الشرُّ عن دَرْبِه

من صَان سِرَّ الله فى سِرِّه رَعَتْه عين الله فِى عَقْبه

وانْحَـدرت أمجادُه رحْمَـةً تزخَرُ بالأَمْجـاد فى صُلْبه

قالوا سَقَى الناس وأرْوَاهُمُو مُسَلْسَلا يَقْطُـر من عَذْبِه

فسَامِرٌ يَجْنِى الجَنَى صاحِيًا مِن يَنْعِه الغضِّ ومِنْ رَطْبِه

والكُلُّ قد عبَّ عَبِيبَ المُـنَى وكلُّهُـم يَرضُب مِن رَضْبِه

العِلم فى الإِشْراقِ مِثْـل الضُّحى يأْلِقُ بالتِّيجـان فِى رَكْبِه

والشِّعر إذْ تهْتَزُّ أَطْيَـــافُه تَحكِى اهْتِزاز القلب فِى وَثْبِه

مَثَّلْن ما مَثَّلْن إلاَّ ألْمها تَنْسـاب فى الربْرب مِنْ سِرْبه

رُؤىً وأحلامٌ على يقْظَـــةٍ ينشُدْن داءَ القَلْب فى طِبِّه

فَياحُبُـورَ الكوْن يا رُوحَـه يا شَرْقه الساطِع فى غَرْبه

حُيِّيت فاقْبَلها تَحَـايا النقا ولَعْلعٍ والجِزْع مِن صوبِه

« ورامةٍ » والناسُ مِنْ حَـولِها وهاشِمٌ يَخْطـر فى شِعْبِـه

تُواكِب الفرْحَةَ فى مَهْـدِها وتَحْمِـل المِشْعـل فِى رَكْبِه

وتبـلغُ الآفـاق أصـداءَها يَعنُو لها الكَـوْن علَى رَحْبِـه

مَرْهوبَةَ يزْحـم أعدَاءَهـا ما يَزْحَـم المكروبَ فى كَرْبِه

والرَّاية البيضاءُ في أَهْلِها تَخفِق خَفْق القلب فِي حُبِّه

فاشْدُدْ عليها شَدَّ حامي الحِمَى قَدْ نال فوْق الأَرْبِ في إرْبِه

الله صَان العَضْب في غِمْده للقَدَر المَخْبوء فِي حُجُبه

لا ثورةٌ تجْدي ولا ثَائِرٌ فالبَيْت لا أرحَمُ من رَبِّه

كَمْ نَفْحَةٍ في طَيِّها لَفْحة أَنْكَى علَى المحْرُوب من حَرْبِه

ومَنْ تحدَّى الله في مَكْرِه يذُوب مطوِيًّا على خِبِّه

* * *

صدحة المجد

أيُّهذا المرَجَّى المُحبَّب فى النفس · مِثَالا مُحبَّبا فى القُلوب

والسَّنا صاغه السنا فَتَجلَّى · عبقرِيا فى سِمْطِه المرْهُوب

والهُتاف الحبِيب يهْتِف بالنفس · فَتَهْفو إلى اللِّقاءِ الحَبِيب

والمُنى والهَنَاءُ والطَّالِع المُشْرق · ما إنْ لِنُوره مِنْ مَغِيب

إن نُكَرِّمْك والأَمَانى سِرَاعٌ · دانيات ما بيَنْ صُبْح قَرِيب

أَوْ نُحَيِّ فيك البُطولة رَمْزا · صَقَلَتْه مواهِب المَوْهوب

أَو نُباهى وفى الرِّغَاب رغاب · مَسَّها الوَقْد فازْدَهت باللَّهِيب

إنما نُكْبِر الشُّعور ونعليه · فَصَوْت الشُّعور صوت الشعوب

واحتِفَاءُ القلوب بالمأْمَل الحُلْو · احْتفاءٌ بِعِزَّة المرْغُوب

وبِعَزْم الدَّءُوب يُثْأَر للمجد · وما إن يَخِيب عَزْمُ الدَّءُوب

والحياةُ الحياةُ مَجَلى غِلاب · وعِرَاكٍ . والويْلُ للمَغْلوب

إنه السَّعد فى الحياة شُكُول · بيْن مَجْلَى شُروقها والغُروب

وَطُيوف تحجَّبَت مِنْ بَعِيـد قَدْ يُعِدْن الذِّكري لِعَهْد خَصِيب

وأَجَلُّ الإِسْعاد ما سَايَر المبْدأ حُـرًّا للمـأْمل المَرقُـوب

وانْتَحى مذهَب المجَـادَةِ طَلْقًا فى مَجَالٍ سامٍ وأُفقٍ رَحِيب

للبِلاد البلادِ للوطَن الغَـالِى طـلابٌ لحفظهـا لِلْـوُثُوب

تحْت ظِلٍّ من الحصافَة والنُّبْل ظَلِيـل من فَيضِها المَسْكُوب

إنَّما تُلْبِس العظـيمَ سجـاياهُ رِدَاءً فوْق الرداء القَشِيـب

ويظلُّ السَّليب من خُلِق المجد سَلِيبا ياويْحَـه من سَلِيب

فالعظيمُ العظيمُ من أَثَّلَ المَجْد بِعَـزم مُضْـرم مَشْبـوب

تَتَسامى فى رُوحه صرخة المجد ولِلمَجد صرخـة فى القُلوب

ثم يَبْدو بِنُوره الساطِعِ المُشْرق فى صوْلَةِ الحُسَـام الرَّهِيب

والدُّنا والحظُوظ تسْتبق الخطْو إليه فى سِلْمِها والحُـرُوب

يا صديقى وللصَّداقة مَعْـنى يَتَجـلَّى فى سِرِّها المحْجُوب

لم أُرِدْ موقفـا يُترْجِم عنـه رُبَّ سِرٍّ يُجلى وراءَ الغُيـوب

إن حَفْلا يُقِيمـه أَملُ الصَّحْب بَهِيجًا فى شَكْله المَحْبُـوب

سبَقَتْهم إليه مَفْخَرة الحُب   بِلَحْن من الوَلَاء طَــرُوب

لِعَروس من الأَمانيٍّ زُفَّت   فَتَهادت نَجِيبــة للنَّجِيــب

نازعتْنِى للموقِف اليــومَ نفْسٌ   تُكْبِر الفَضْل فى الأَدِيب الأَرِيب

قد هَجَرت القَريضَ مُذْ نازعْتنِيه   صُرُوف من القَضاءِ العَجِيب

واستَحالَ الشَّبــاب يَبْسا فَأَنَّى   لِى أُرجِّيه بين يَبْسٍ جَــدِيب

فتقبل ما يشْفــع الحبُّ فِيــه   إِنَّه الحب سَاتِر للْعُيــوب

* * *

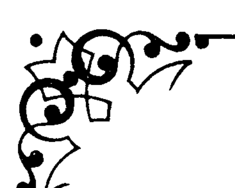


تحية

لشاعر آل البيت الأستاذ محمود جبر بمناسبة صدور ديوانه

أَيُّها الشاعر الَّذِي سَكَب الرُّوح حَنِينا ولَوْعَــة لا تَكِفُّ
فتلقَّتْــه بالنَّســائِم اسْحَارٌ ووُرقٌ سَوَاكِبُ اللَّحْن هُتْف
شَاقَها البارِقُ المُشَعْشِع بالمُـ زْن عليه سحَائِب اليُمْن وُطُف
فتَغــنَّى به العَقيــقُ « وسَلْعٌ » والمعَانى الحِسَان صُورٌ تُزَفُّ
والمُنَى الحالِمُ المصفِّقُ سِــرٌّ والحَبِيبُ الحبِيب مَعْنًى وَوصْفُ
والهَوَى الكَأْسُ والقلوبُ نَدَاماهُ وقرْعُ الشِّفاه نَهْل وَرَشْــف
وقُبَــاءٌ ومَنْ لَنــا بقُبــاءٍ أَلهَبَتْــه حَناجِرٌ وأَكُــف
وبَنَات النَّجَّار إِذْ طَـلَع البدْر هُتافٌ يحــلو ونَايٌ ودُفّ
صُوَر قد بَسَمْنَ فى شِعْرِك الحُلْوِ عليها مِنَ البَشَاشَة لُطْــف
نضَّــرتْها أَمجَــادُنا فتَهادَت والمعَانى من قَبْلُ كَادَتْ تَخِف
أيُّ حُبٍ لا يَنْتَشِى بِحِمياه وقَلْبٍ بِذِكْــره لا يَــرِف
أَنت غُصْنٌ من دَوْحَةِ الحبِّ «ياجبر» وفرْعُ الحبِيب لَيْس يَجِف

* * *



عظيم

تَلُوب فى ذاتِه الأَصْداءُ سارِيةً — مَسْري الحَيَاة على الأَنْفَاس تَنْطَلِق

وتسْتَبِدُّ به الآمالُ قاهِرة — إن خَانَه جَلَدٌ لم يُعْيِه رَمَق

يعيشُها هدفًا يَحْيى له فإذا — تَسَامَقَتْ صانَها الإشْعاع والأَلَق

الرَّوْحُ من روْحِها تَجلو عَرائِسها — والرِّيُّ من رِيِّها نَشْوان يَصْطَفِق

فلاغِراسَ المنى تذوى مَغَارِسُها — ولا مراميه يَدْري سِرَّها أُفُق

حَشْدٌ تُواكِبُه الدنْيا بِما وَسِعَت — يَشْكولَها الأَيْنَ وخْدُ العزْم والعُنُقُ

عَظَائِمُ تَتَلاقى فى عَزَائِمه — وزَحْمة لِلعِراك الحَيِّ تَسْتَبِق

شمائِل راضَها للمجد فائْتَلَفتْ — كأَنَّها الفَجْرُ فى دُنْياه يَنْبَثِق

ونَبْضَة يَتَحرّى فى مسَارِبها — حِسٌّ خَفِيٌّ تُدَاري سِرَّه الحَدَق

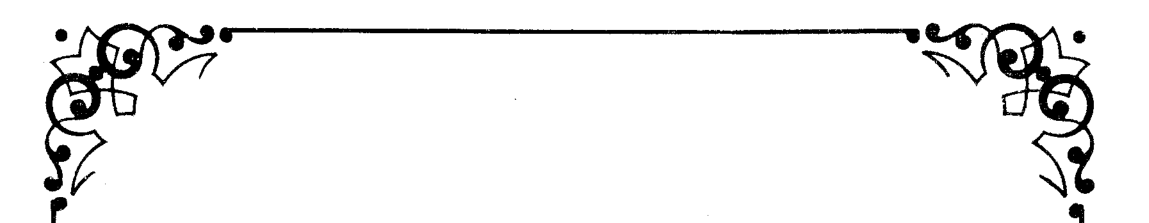
يَطْوي المعانى آمالًا مُجَنَّحة — يَحْنو عليها كما تَحْنو وتَرْتَفِق

ويصْطَفِيها فَيُغْليها المُهُورولا — يُهَدْهِد الشَّوْقَ إلا الجُهْد والأَرَق

ولَن يُكفكِف دمعًا عَزَّ راحِمُهُ — حَتَّى يَسيل الدَّم المخْضُوب لا الْعَرق

آلَى أَلِيَّتَهُ الكُبري فلا سِنَة — تُداعِب الْجَفْنَ أَو يستأْذِن القَلَق

لم تَبْق فى ذَاتِه ذاتٌ تُنازِعها — فَذَاتُه الحق والإيمان والخُلُق



ثلاثية من قصيدة مفقودة

دُنْيا خبرْتُكِ فى نفسى وإن خُدِعَتْ بِكِ النفوس وحَيَّتْكِ الأَغارِيدُ

ما أَنت مِنِّى ولا مِنك انْتَشَى أَملي لكنَّ نفْسى هِىَ الدُّنيا هِىَ العِيد

كأَنَّما كُرَبُ الأَيّامِ مُطْلقَــةٌ وصَفْوها مُوثَقُ الأَطْرافِ مَشْدُود

* * *



حقيقة في خيال

دَوْحة تَهْزأُ بالقَصْفِ المُريـع وتُنَاجِي الكونَ بالصَّمْت الوَدِيع

ظِلُّها ظِلٌّ لِآسٍ وفَجِيـع وذُرَاها لِغِنَــــاءٍ وحَنِيـن

مَشْرِقٌ يَجْحـد نُورَ الفَلَق ويَغِيم الكَوْنُ إنْ لَمْ يُشْرِق

فى سُكون اليَمِّ تحْت الشَّفَقِ هَلْ تَرى قد ضَلَّ مَسْري المَطْلع

أَمْ رجَاءٌ عَافَ دُنْيـا الأَربُع فَتَوارى عن قُلوبٍ وعُيُون

* * *



ذكريات ماجدة

مهداة إلى السابق بالفضل وحسن الافتكار الأُستاذ الأَديب الشيخ محمد سعيد دفتردار وهذه سجعة بدون اختيار :

راجَعْتُ أَيَّامى وصحْـوَ شَبابِى ... وهَوًى وقَفْتُ بِه على الأَعْتَاب

ومنازِلًا رُويت بيْن بِقاعِهـــا ... أَملًا تضَرمَّ باللَّظى المُنْسَاب

وصِبًا تَمُد له الصَّبابةُ ظِلَّها ... فَيَموج فى آذيها الصخَّاب

وكواكِبا بين المَوَاكِب فى الدُّجَى ... وكواعِبًا محــروسةً بِكِعَاب

وصدًى يُغَمْغِمُ بالحنين فَآمِلٌ ... وَصْلا ومفْجُـوعٌ على أَحْبَــاب

وسنًا يُغازِل بُرْعمًا مِنْ زَهْـرةٍ ... مخْضلة تزْهُو بِغَيْـر خضَاب

وشذًى لأَطْيابِ النُّبوة والهُدَى ... فى رَوْضَةٍ مجْـلوَّة الأَطْيَــاب

لوْلَا مباهِج فى الشباب وعهده ... ما عُدْت أَذكُر فى المَشِيب شَبابِى

ولما هتفت بكل أَبيض وامضٍ كالفجرِ يملأُ مهجتى واهابي

أَبقى عليَّ الذكريات كأَنها فلَقٌ تلفَّع في زحام خباب

ولقد تلفَّت خافقي وتلفَّتتْ مهجٌ يخادُعها بريقُ سراب

أَيَّامَ يقترب السحاب من الذُّرى والطير أَسْراب إلى أَسْراب

والشمس تسكُب في النخيل شعاعَها كالراح بين صواحبٍ وصحاب

(٢)

وجَنَا الرَّعابِيب الحِســان كأَنَّه كأْسٌ مُصَفَّقة بِحُلْو رِضَــاب

والشامِخ التَّيَّــاه فى أَمجــاده « أُحُدٌ » يُمثِّل شَمْخَة الأَحْقَاب

ومدارِج الصَّبْوات حين تـأَلَّقت فى « سَلْع » بين أَبَاطِح وهِضَاب

والشعرُ يَسْبح فى العَقيق ويَنْثَنِى نَشْوان من مَرَحٍ ومن تَطْــراب

والظامِئون الوَالِهــون تَقَاطَــروا يَتَلَمَّسُــون الله فى المِحْراب

ومِنَ الرسولِ على الرِّحاب ظلالةٌ سرَحَتْ بكل عجِيبة وعُجَاب

نَسَجَت سحائِبُها الوطافُ مسَاربا من رحْمَة مَمْدودَةِ الأَطْنَــاب

ومشَى بها الكَوْن المُنَغَّم رَجْعه يَخْتَــال بين سَبَاسِب ورَوَابى

والفَرْحَة الكُبْري مَشاعِرُ صَاغَها سِرٌّ يُهدهد حَيْرَةَ الأَلْبَــابِ

مَجْد الخَلِيقة من رِحَاب مُحمد   مجْد السَّلام ورحمة الوهَّاب

يا مَنْ يُناشِدُنا وقد جَار النَّوى   جُهْدَ البعيدِ وحُرْقة الأَغْراب

ومُنى الدَّءُوب على هُمامَةِ طامِحٍ   سِر الحياة ومعْقِل الآرَاب

إنَّا تَذَوَّقنا الهَـوَى وهَـوانَـه   فى شَهْدِ غَانِية ونَهْـد كِعَـاب

وتَراقَصَتْ بين العُيُون مفَاتِنٌ   من ناعِس ساج ومنْ وثّـاب

ومن الشَّآم إلى الجَنُـوب نَوافذُ   للفَتْك أَتْـرَابا إلى أَتْـرَاب

كالنَّصْل إن تحبسـه يفرِ قرابَه   وَيجُلْ مَجَال السِّحر فى الأَهْداب

ما حققت سلوى ولا روَّت صَدى   لكنَّها خُدَع وفَرْط كِـذاب

يا صاح وُقِّيت النَّـوى وشُجونَه   إلاَّ نَوًى فى عِزَّة وغـلاب

إلاَّ انتجَاعَ مَرَابِع مأْهُولة   بالعـلم والعـرفَان والآداب

إلاَّ لكَشفِ حقيقـة مخْبوءَةٍ   قد اجْفَلت فَتَنَقَّبَـت بنقَـاب

إلاَّ عِراكًا للحيـاةِ كرِيمَة   عزَّتْ بِغَيـر أَسِنَّـةٍ وحِرَاب

فالمَوطِنُ الأَسْمى هَوىً ومقاصد   موْصُولةُ الأَسْبـاب بالأَسباب

* * *



ومضات

إلى من لا أُسمِّيه تَجِلَّةً وحُبًّا :

يا مَنْ أَراد الظنَّ فاستَنْكَـرَتْ   عليه حتى الظَّـنَّ أَخْـلاقُـه

وصَارَع الإِنسانَ فى ذَاتِـــه   إنسانُهُ الصَّـــافى وأَعْمَاقُه

ورَقْرق الجـوْهرَ فى حِسِّه   جُفُـونه الحَيْـرَى وآماقُـه

إن حارب الحبَّ بأَوْهَـامه   فالحُبُّ لا يَخْضَـعُ عِمْلاقُه

أَوْ خانَه النَّبْـض ودقَّاتُه   أَو حَنّ لِلسَّلْسلِ دَفَّاقُـه

فَلَن يرى فى ذاتــه غَيْرَها   ذاتًا هِى القلبُ وإشْـــراقُه

يا مَنْ رأيت الوَهْم فى عَيْنِـه   والوهْمُ قد يَبْرُق بَرَّاقُـــه

أَمَّا الهوى الحيُّ وإحســاسُه   فلن تَضُمّ الدَّهر أَحْـــداقُه

كَمْ مشهَدٍ مستغْـرِقٍ هَوْلُهُ   يجْـلو غُيُـوم الهَوْل إطْراقُه

والسُّحب مُذْ جَمْجـم مَزْحومها   زَحْزَحها المُـزْنُ ورقْـرَاقه

والدَّمْع فى الحَيْرة لا يأْتَلى يُخَضْخِض القُوَّة مُهْراقُه

والعجْز عن صدِّ النُّهى عِزَّةٌ فالحُبُّ لا يُحمد سَبَّاقُه

ومنْ يَجُل فيه إلى غايةٍ فإنَّما الغاية إخْفاقُه

الحب كالطَّيْر بآماله أَجْواؤه الدنْيَا وآفاقُه

* * *

الله فى الحُب . . وفى سِرِّه فالله رَاعِيه وخَلَّاقه

الرَّحمة الكُبْري وإظْلالُها والدينُ والعهد ومِيثاقُه

ومنْ يَفِقْ من نَشوَاتِ الهوي تَطُلْ بَلاوِيه وإشْفَاقُه

ولن يذُوقَ الصَّفْو إلاَّ فتًى جَفَّت علَى البأْسَاءِ اعْراقُه

على المعانى البِيضِ فى حِسِّها أمراسُه شُدَّت وأَوْثَاقُهُ

كرائمُ الدُّنْيا وخَمْرُ المُنى نَفائِسُ الصَّفْو وأَعْلَاقُه

أَوطانُه الأَغْصان مخْضَلَة أودية يقْوى بها ساقُه

والرَّوضُ كل الروضِ فى مأْمَنٍ تَسُد فيه العُمْرَ أَرماقُه

لَا مَاؤها رنقٌ ولا سَيْرُها خوف يُفيضُ العَيْش ارهاقُه

قد سالمتْ حتى وحُوشَ الفَلَا   والوحْشُ قد تَحْسُن أَذْوَاقُه

والوحْشُ فى الإِنْسان يا هَوْلَه   لذاعةٌ يَكْوي وحرَّاقُه

وَإِنَّ ظُلْم الحَيٍّ فى حَيِّه   شَرٌّ يَهُدُّ الحَيلَ إِطباقُه

* * *



ما أَخْطأَ المُتنبِّى فِيك ياعِيدُ   فَكَمْ تَحرَّاك محْظوظٌ ومنْكُود

وكَمْ توغَّل فى دُنْياك مُنْطَلق   مِهادُه بِظُهور الناس مَمْدُود

شَرَابُه من نَجيعٍ مثْخنٍ قَلِق   وزادُهُ مُدنِفٌ عانٍ ومفْؤُود

وَراحةُ الأَكْبد الحرَّيِ التي اعْتَصَروا   حياتَها . دُونها كَرْمٌ وعُنقُود

إذا تَلَامح فى آفاقه شَبَحٌ   ضاوٍ أَطاح به كالهَول جُلْمُود

وإن تَلَمَّس ريًّا فى سَراب مُنى   عَدَتْ عليه طُيوفٌ عُقَّرٌ سُود

كأَنَّما كُرَب الأَيامِ مُطْلَقةٌ   وصفوُها مُوثَقُ الأَطْراف مَشْدُود

وأَنت ياعِيد أَنْت العِيد مااخْتلفت   إلَّا عليك الأَمانيُّ الخُرَّدُ الغِيد

تَناحَرَت واشْرَأَبَّت دُون غايتِها   وخَانَها فى مَرَاقى العزم تَصْعِيد

وصدَّها المَوْجُ زَخَّار العُبَابِ لَه   عَلى المَسَالك إرْغَاءٌ وتَزْبِيد

وما تَغضَّنَ يُمْنٌ فِيك مؤتَلِق   وَلَا تَصوَّح غُصْنٌ مِنك أملود

ولا ترنَّق صفوٌ أنت رافِـدُه ولا تَجَهَّم فَوْق الأَيْكِ غِرِّيـد

ولا صَحَا الفجْرُ إلَّا فى غلَائِله نَدًى تُرَقْرِقه مِنْك الأَناشِيـد

ولااسْتَوي فى الرِّحاب الفَيح رجْع صَدَى تَحْيابه البِيد أوتُشفى بِه البِيد

ولااستوي فىالعِراكِ الحرذُولِبد ضَارٍ ومنْتَفِخُ الأَوْدَاج رِعْدِيد

ولااستَوَي فىمَجَال الفِكرمُنْجَرِد وغَارِقٌ فىالهوى والهُونِ عِرْبِيدْ

ياعِيدُقل لِبَنى الدُّنْيا وعتْرَتِها أَنتم معانىَّ أنتم أَهليَ الصيِّدُ

لا تحمِلوا فوْق ظَهْري كُل شَائِنة فانتُمُوا بالمعانى الحُلْوة العِيـد

بالمُتَقَى السَمْحِ بالأَطْيابِ عابِقَةً بالمكْرُمات تَنَاهى عِندها الجُود

بالمُتقى من أفاوِيقِ النُّهى سَطَعَت عليه أَشْذاءُ مَجْد نَفْحُها العُود

بالحب تَصْدحُ فى آفاقه مُهَجٌ غَنَّى لها فى ربيع الحُبِّ دَاوُد

فى هدْأَة اللَّيل فى أَطْيافِ سَامِرِه فى اللَّحن يُطْرِب فيه النَّايُ والعُود

فىبَسْمَة الفَجْر فىأَعطَافِسُنْدُسِه مَوَائس تَتَمنَّى حُسْنَها الخُـود

فى آصِرات الهَوى الغَالى موشجة عَزَّت فلا حاسِد فيها ومَحْسُود

بالزَّحف بار كه وحى مَجَنَّحة فيه المُنى رَائد والعزْم تَجْدِيد

على السَّري ومَضَات مِنْ معاقِلِهم فالمجد مُنْطَلَق والعزْم تأْكِيـد

سَمُوا على كلٍّ وهْمٍ فى عقائِدِهم فالحقُّ أَبلجُ والأَخْلاق تَـأْيِيـد

والعبْقَرِيَّاتُ شُغْل شاغِل أَبـدًا يَنُصُّها أَمل يَزْهو بِـه الجِيـد

فلا فَراغَ يَقُود الناس فى سَفَه إلى الدَّنَايَا إذا هُم ضِلَّةً بِيدوا

* * *

ما ذنبُ سارِية يا عِيد مثقلة بالخير سخرها للشَّرِّ مَوْعُـود

ما ذنْب ثَكْلى عَدَتْها رحمةٌ دَلَفَت إلى بغيٍّ لها رَجْعٌ وتَرْدِيـد

وأَيّم ساقَها المقدُور فاقْتَـربَت من النِّهاية لا بُشْرى ولا عِيـدُ

وطفلة طِفلة كالزَّهْر يانِعـة إذا بِها والحَنَان الحُلْوُ مَفقُود

يا عيد كَمْ حِكْمةٍ للدهرِ قَائِلة فى العطف أَسر وفى الإِحْسان تَقْيِيد

يا عيد كَمْ كُرَب جارَتْ ومارَحِمت آثارها مَشْهد فى البُؤس مَشْهود

عاشت على كُلِّ شلوٍ فى الدُّنى فَبكى آمالَه والدُّنَا شاك ومَوْلـود

وفى المخاضِ مآسٍ لم تزل نُطفًا لها الرَّدَى قَدرٌ كالموتِ مَحْدُود

ما عافَت الشَّرق عَاشَتْ فى مَرابِعه ومَهدُها بالدم المهْراقِ مَمْهُـود

يا عيد نَاشِد بُطولات لنا سَلَفت فَقَد وَهَى ناشدٌ منا ومَنْشُـودُ

وغيَّمتْ فى سماءِ الحقِّ غائِمةٌ فَجاحِدٌ غادِرٌ فينا ومجْحُود

وفى الضَّمائر من وخْزِ الهوى أَسَنٌ وفى المشَارِب تَعْكير وتَصْريد

كأننا فى جحيم من مَصَائِرِنا حتّى الظِّلال لها ومض وتصهيد

حتى القلوب استَحالت قَسْوة أَبَدًا والنَّصل رغْم اقتِحَام الهَول مَغْمود

حتَّام تَصْهَل فِينا كلُّ صاهِلة كالشَّاة يركُض فى أعقابِها السيد

قدغَالَنا الوهْم فىنَفْس وفىوطَنٍ وللعواصِفِ إنْذار وتَهْديد

* * *



تحية وذكرى

أُجِلُّك لا يَحْمى التَّجِلَّة غيرُهَا ... ولايَتَملَّى العقلُ غيرُ هَوى العقل

وأَحْبوك لا أحبوك إلا مـلاوَةً ... تَعهَّدها حِسِّى وأَنْضَرهَا سُؤْلى

فَما ضَوَّعَت إلا رجاها وما نَمَت ... على غيْرروض وارِفِ الظِّل مُخْضَل

فأَثْمرها غَرسُ النُّهى بين مربَعٍ ... زكىٍّ يَتيِه الأَصْل فيه على الأَصْل

وبَاكرَهَا حَب الغَمام وَجادَها ... مِن الغَيْث مُنْهل بأَبْيض مُنْهَلِّ

فمَا أَطْلَعتْ إلا فُؤَدًا بِحُبِّــــه ... بِمعْنَاه لا جَدْب ولا باخِل ضَحْل

حِبَاءَ امريءٍ ما كان لَوْلَاك حَبْوُه ... خُطًى تَتَحاماهاخُطَى اللَّيْل فى الليل

حِباءَ امريءٍ أَكرمْتَه وهْوَ هيِّن ... عليك فَزِنْت الحبَّ بالنَّبْل والفَضْل

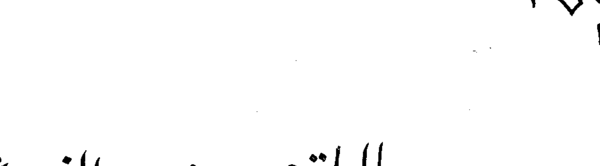
وأَشرَقْت فى قلب فما كُنْت غيرَهُ ... وما كَانَ إلَّا أَنت كالمِثْل للمِثْل

على أَنَّك الأَسْنَى حِبَاءً ومِنّــةً ... وما أَنا إلا الغِمْد يَفْخر بالنَّصْل

أَجَلْ إنه قَلْبِي رَعَتْك عُيونُــه | فَراعَيْتَه والزَّهر يَبْسُم للطَّل
وعاطَفْتَه لا عطْفَة الهُونِ والأَسَى | ولكِنَّها الرُّحْمى وُقِيت هَوى الذُّل
وقد صوَّر الوهْمُ المُحِسُّ معانِيًا | خَطَرْن بِبَالى خَطْرَة الوهْم مِنْ قبل
وأَنكَرْت فى وجْهى المعانِى طليقةً | أمامك لا كَانَت خَيالات ذِي النُّبْل
وما هى إلا لَمْحَةُ القَلْب مِثْله | فأَشْرَقْتَ بالنَّيْل المُدِل على النُّبْل
وأَنضَرْتَ ماقد صَوَّح الوهْم عادِيا | وأَرْوَيْت رَيَّ الغيث للمُقْفِر المَحْل
فيَاقَلب هل غَيْر الوِدَاد تَصُونَه | جَزَاءً وقد ضَاقَتْ بِمَطْلَبِه سُبْلى
فياسَيِّدي والقَلْب للقلب مَنْطِق | حَفِيل إذا أَعيتْ مناطِقَة الرُّسل
أَجِبْنى فما أَحْلى معانِيك حُــرة | تَرُوح على رِسْلٍ وتغدو على مَهْلِ

* * *





يا ليلة حوت النبوغ

ألقيت هذه القصيدة في ـ تكريم فضيلتي الأستاذين : السيد محمد شطا والسيد أحمد العربي (بنادي جماعة المحاضرات) عام ١٣٥٦هـ

أملا نُحيِّ أم طَلائع نَهْضةٍ ... أَكْرِمْ بهم في محتِد ونِجار

إن جَلَّ مركزهم وقصَّر دُونه ... رُوح البيان ومُعْجِز الآثار

فالقلْبُ مِلك يَمينهم لَوْ ساءلُوا ... كَشْف السِّتار لَبَاح بالأَسرار

والشُّكْر أبلغُ ما يكون إذا وَنَى ... عَنْه المَقَالُ وفائِقُ الأَشْعار

مَرْحى دَعائِم مَجْدِنا في أُمَّة ... تِمثال مَكْرُمة ورَمْز فَخَار

إن البلاد سَعِيدة بِشَبابِها ... إن شَعَّ مؤتَلِقًا كَضَوْءِ السَّاري

ما كُنت أَعتَزِم الوقُوف وإنَّما ... هي نَشْوة الإِعجَاب والإِكْبَار

ما كُنْت غير مقدِّم لمُحاضر ... لكنَّ تقْدير النُّبوغِ شِعاري

يا لَيْلة حَوَت النُّبوغ مُجَسَّمًا ... في نُخْبة هُم صفْوة الأَخيار

أسعَى إليك كَمَنْ يفوز بِوَاجب | لبِلاده في حَلْبة المِضْمار
إن كرَّم النادِي المبادِيءَ حُرَّة | في السَّيديْن سَلائِل الأَحرار
فَخْر الشَّباب (شَطَا) وضوءُ كَمَاله | أَعظِمْ به من عَسْجَد زَخَّار
والسيد العَربُّي (أحمد) مَنْ بَدى | في النابِغين مُوشَّحا بِوَقار
لا بِدْعَ فالأَملُ الرَّحيب مُتَوَّج | بِجُهودهم كالحُسْن في (آذار)
مَرْحى بِجامِعة الإِخَاءَ فإِنَّها | أُسُّ النَّجاح ومَبْلغ الأَوْطَار
إن رَاحَ يَجْمَعنا الوفاءُ لأُمَّة | سَادَت بِعِزَّتها مَدَى الأَعْصَار
فَلَنِعْم ما جَمع الوفَاءُ وإِنَّه | قَبَس الشُّعوب ورائِد الأَقْطَار
مَهْلا أخي زَيْدَان إن جُزْت المَدَى | في خِلْسَة فالعَفْو مِنك مُدَاري
ولَسوف تَظْفَر بالمنى إن قُورِنَت | منَّا الجُهُود بِعَزْمة الأَبْرار
وتضافَرت منا القوى وتَسَانَدت | في غَيْر مَا نَزَقٍ ولا اسْتِئْثَار
هذِي معَارِف طيبة ما بالُها | تَرجُو الكمال بِنَظْرة المخْتَار
وإذا الشَّباب وقَدْ توسَّد أمرَها | تَمْشي الوَرَاءَ فَيَاله مِنْ عَار

• • •





مساجلة بين شاعرين

بين الشيخ القاضى ضياء الدين رجب وشاعر آل البيت محمود جبر
مرفوعة إلى أب الشعراءِ معالى الشيخ محمد سرور الصبان
قال شاعر آل البيت :

وأَشْتاقُ أن أَلْقىَ السماحَةَ لاالنَّدى ... فَقَدْ عمَّنِي مِنك الندى وأَفَاضا
وأَمْسَى ضِياءُ الدين من بعدها جِري ... ومن عجب أَنِّى أَراه تَغَـاضَى
وما نَصَر القلْبَ الجَمُوح بِحُبِّه ... ولا سَاسَ من هذا الجِماح ورَاضَا
رفعْت إِلى الشيخ الوزير قَضِيَّتى ... فَهَل جئت يوماً قَاضياً ويقَاضى

* * *

وأَجاب القاضى الشاعر ضياءُ الدين :

وقَاضَيْتنى يا جَبْرُ فى ظِل دولة ... أَدَار بها السَّاقى المنى وأَفَاضَـا
رُوِينا وأَرْوَينا، ولِلكأْسِ صَبْوَةٌ ... مُصفَّقَة تَجْلو النفوس رِيَاضَـا
تَنَفَّست الأَسْحارُ بين ظِـلالها ... فَجَاسَت رُبًى مُخْضَلة وغِياضَـا

* * *

وأَلْبَسَت الدنيا حُلَّى عزٍّ وشْيُها أَيَادِيَ كالفجر المُشعِ بيَاضَا

رَعَى الطيرُ فى أَفْيائها وارِف الجَنى فَرَاح قَرِيراً بالحَياة وآضا

وأَخْجَل فيهاالنَّرجِسُ الغضُّ مِثْله عُيُونًا صِحَاحًا فاسْتَحَلْن مِرَاضا

أَجلْ إِنَّه القاضىِ الذي رَقْرق النُّهى بِفَضْلٍ حَسِبْناه الشِّفا وعِيَاضَا

سرورٌ ، تحدَّي كلَّ مجد بِمَجْدِه فَقد جَال فى أَسْمى المَجَال وخَاضَا

حَبِيب إلى المَشْكوِّ بَيْن رِحَابه شَكَاوَى لَعَمْري كَمْ مَلأْن وِفاضَا

تَمَالأَ والشَّاكِي عليها فَلم تَزَل طِوالًا على مرِّ الزمان عِرَاضَا

فيا أَيُّهذا المُرسِل الشَّكْو باعِثًا به الشَّدْو مَنْ قاضَيت لَيس يقَاضى

فَتًى ظمِئَت بالرَّي منه حُشَاشَةٌ ولَمْ يَحْم أَرْبَاضًا لَها وحِيَاضَا

نُفوس وآثام زَحَمْن حيَاتَــــه وعَاشَت به الدنْيا فَجفَّ وغَاضَا

ولكِنَّه مِن جِيرَة عَزَّ قُرْبُهـــا غَذَاها بالندى من رَاحتَيْه وفَاضَا

فيَا شَاعر البيت الـكَريم وآلِه حَنَانَيك هل جَار النَّبى يقَاضى ؟

فرد شاعر آل البيت على ذلك الإبداع . . . قال : ـ

بُروقُ أَمَانٍ أَوْمَضت إِيمَـاضَهـا فَسحَّ هَتُون الرَّاوِيات وَفَاضَـا

وأَفْلَحْت فى أَنِّى أَهَجْت شُجُونَها … فأَتْــرعَ هذا أَبْحُرًا وحِيَاضَــا

وكنتَ كَمَنْ يشكو إِلى القَلْبِ مابه … فَفجَّر نَبْعاً كان جَفَّ وغَاضَــا

ولوْلا شَكاة الطِّفْلِ ما اهْتَزَّ خَافِقٌ … بِعَطف ولا قلبُ الصَّغير تَرَاضى

شكوْت وما نَصت شَكَاتى لِحَاذِق … أَدَان المعانى بالبَدِيع وقَاضَـى

بعثْت له عُجْفًا تَرَدَّت سَمِينة … وَزَاد وأَرْبى لا أَقول وعَاضَا

وأَيْن المعانى البِكْر فى شِعْر شَاعِر … ويا سَعْد من يَجِد النُّهى فَضَّاضَا

وزير النَّدى والنُّبْل والفَضْل والحِجَا … وهاتِيك أَدْوَاح زَحَمْن رِيَاضَــا

سلامٌ على قَاضِى القَرِيضِ وعاذِرٌ … بَسَطْت له عُذري فَهَل يَتَغَاضى

* * *



سحر الكراسي

يشُدُّ إلى سِحْر الكَراسِي حَيَاتَه ... ويَرجعُ بعد الفَوْت ينْشُد ذَاتَه

فَلَا ذاتُه أَبْقى ولا مَجْد واهِم ... بِأَنَّ حياة الوهم تُبقى حَياتَه

تَلمَّس فى تلْك الأَرائك نَشْوةً ... تَخيَّلَها صَحْوًا فَكانت سُبَاته

وأَغْرق حتى لَا يَرَي غَيْر نَفْسه ... سِواهَا وإلَّا ، لَاتَهُ «ومُنَاتَهُ»

وفاقَ على سِرٍّ الحقيقة صَارِخًا ... فأَجْهَش اثْر الرَّكْب والركب فَاتَه

وهَزْهزةُ الكُرسىِّ هزة عابِثٍ ... فأَقْصاه واسْتَعْدى عليه رُفاتَه

وقَهْقَه يَسْتَدْنى إليه لِدَاتَهُ ... وأَعْول يَسْتَعْدي عليه عُداتَه

وقال له أَهْوى الدَّمى ويَلذُّ لِي ... هَزِيل المعانى لا أُدَارِي شَمَاته

تعبَّد بِى فى صَوْمه وصلاته ... فَضَيَّع حتى صومَهُ وصَلاتَه

وَيَا طَالمَا هزَّ النديَّ مُغَرِّدٌ ... بِحَمْدي فما أَبقيت حتى لهَاته

لَقدْ مَات فى المَوْتى وزَاد عليهمو ... وأَحْلِف أَنِّى قد نَسيت وفَاتَه



التاريخ الشامت

وتَمطَّى التاريخ شَمْتَان واسْتَرْخى فأَحسَسْت فى المفَاصل ضَغْطَه
صَارِخاً نَاعِقاً كَعُبٍّ حَقُود شَالَه فوق رأْسه ثم حَطَّه
كان ربُّ اليَراع سِبْطى فَهَل يَخْدع ربُّ اليَرَاع فى الكوْن سِبْطَه
أَنَا أَلْبَسْتُه القَلَائد مِن حُرِّجُمانٍ فَمزَّق اليوم سِمْطَه

* * *

قد وطأْتُم أَمجَادَكم وعُلاكم شرُوط من لَم يَرْع إلَّا وَمَهْ
أَنْتُمُوا أَنتموا الذي شَرب الكَأْس المُصفَّى على رَوَاسِب رِمَّه

* * *

كِلْتُموا المدْح والثَّناءَ لِمنْ شَوَّه أَزمانكم بِظُلم وظُلْمَه
ما اسْتَحيتم وقلتُمُوا صانع المَجْد تَبنَّاه قِمَّة فوق قِمَّه

* * *

ويْحَكُم تخْتَفُون إذَا ما حَصْحص الحقُّ واسْتَدار الزَّمان
واسْتَفَاق أَشَدُّ واسْتيقظ الوسْنَان وأَنْقَد فى السِّباق البَنَان

سَوْف تَنْصَبُّ فَوْقَكم لَعْنَة العصْر بأَبْعـادِه ويَفْنَى الأَوَان

وتَمنَّون لوْ تَذُوبون فى اللعْنة لـكِن لم يُسْعِف الذَّوَبَـان

* * *

وتَضاحكْت ثم قلت له رِفْقًا فقيل الوجود حُمَّ القَضَـاء

ليس فى الكون غيْرَ ماضَمَّت الأَرْض وماأَنْزَلتْ علينا السَّمَاءُ

ما لِهَذِي الحياة ماضٍ ولا آتٍ ولا حاضِرٍ لَـه أَمْـدَاءُ

هِى تاريخه الحيُّ أَنفاسٌ وظرفٌ كما يَشَـاءُ الفَنَـاءُ

ثم يَجْري القَضاءُ بالبعثِ والبعثُ امتِدَاد ولا يعتَريه فَنَاءُ

• • •

فدَع النَّوْح والعَويل ولا تَرْجُف فَطبْع الأَشياء ضِدّ السُّكون

فإذا كُنت من مِداد وطِرْس والمعانى من جَوْهر مَكْنُـون

فَتَحمَّل وزْرَ الوعاءِ الذي مزَّق أَحْشَاءه صِراعُ السِّنيـن

ذَاك شأْن الغُرْبال يُلقى الذي فِيه بحُسْبان مُطمَئن ضَنين

وإذا كُنْتَ من تَجَاديف طِين فالذي فِيك أَصْلُه من طِين

مِنك يا صَاح طِينَة الأَمْس أما اليوم فَالطِّين صَائر كالعَجين

كُلُّنا كلنا شَجٍ فَتَرفَّق لا تُحَرِّك نَوازِعى وشُجُـونـى

وتَلَمْلم واستَبق فى القَاع إن شِئْت ظِلالًا من طَيْفِك المَسْجُون



بيني وبين الدينار

وأومأَ بالفِتْنــة الصَّـارِخة على قِمَّــةٍ صَعْبة شـامِخَة
بِتِلك الأَنامــل غَلاَّبُهـا حَكى الزَّهْو فى الرَّوعَة الباذِخَة
يقول هَلُمَّ فَهذي الحيـاةُ بِدُونــى كالِحَــة ماسِــخَةُ

* * *

وما طَابَ لى غَيْر حَطْم العَيُوف وأَخْلاقُه السـاهِيَات الأَبِيَّة
أرامِقُ حاجَـاتِه الـكارِبَات يَلح صَبىٌّ بهــا أَو صبْية
فانفُذ كالسَّهم من بَيْنِها وازْهُو بِمَصْرع تِلك الضَّحِية

* * *

وحمْلَقت فى خادِع ماكِـرٍ يُقــامِر بالشَّـرَف الغـامِر
ويمْتَصُّ فى نَشْوة السَّاخِـر إبَاءَ الكَـرَامة فى الصَّابِر
وأَشْقَى البَلاءِ هوانُ الكريمِ بِبَابِ لَئيمِ الخُــطى هَادِر

بما فيه مِنْ ذُلِّه يُرتَجَى مذَلَّة عَفِّ اليَدِ الطَّاهِر
وحِين يَشِيم بَرِيق النُّضَار إذا هُو كَالرَّاكِع الصَّاغِر

* * *

شحِيح النُّهى مِثْل شُحِّ الفُؤَاد ثَقِيل على البرِّ والفَاجِر
ويهْربُ مثل هُروبِ الجَبَان من الأَسَد الزَّائر الكَاسِر
ويخْشَى على المالِ هَبَّ النسيم وتُرْعِبُه نَظْرة الناظِر

* * *

فَمَا الصَّحْب فى ظِلِّ تقْدِيره سِوَي طُغْمة عشِقوا مَا لَه
تَنَاسى على الخصْب أَحوالهم وأنكر فى الجَدْب أَخْوالَه
كَذلِك عُبَّاد دينَارِهم حَقِيرُون . والله . أَمثالُه

* * *

فَيَا ابنَ الكرامةِ خُضْ للعلوم بِحَارًا من الفَيْض لا تَنْفَذُ
وطأْطِىءْ لها الرأْس حتى تَغُوص فَكَمْ غائِص دُونه الفَرْقَد
ومَنْ ذَلَّ للعلم ذَلَّتْ له رُؤُوسٌ ودَان لَه السُّؤْدَد

* * *

مجد الأدب

أَدَبُ المجدِ ومجدُ الأَدَبِ　　خيرُ أَثْوابِ الخُلود القَشِب

فَالْمَعالى فى ذُرَاهـا شُهُبٌ　　والإِطَـارَاتُ رِدَاء الشُّهُـب

والمعانى البِيض يعْرُوها البِلى　　حِينَما تأْوِي لِجُحْـرٍ خَرِب

رُبَّ سِرٍّ غامِضٍ قد صانه　　فى الجَمَال الحُرِّ نَسُج الذَّهَب

وثِمَار منْ جَنَا الفِكْر ذَوَتْ　　فى أَكُفٍّ بَادِياتِ العَطَب

مِثْل ما تَهْوي صُرُوح رَفعِتْ　　فى بِنَاء عائم مضْطَـرِب

دوْحَةُ العِرْفانِ مجْدٌ باذِخٌ　　ضوْؤُها الحَرْف كَظِل الكَوْكَب

والبُطُـولاتُ وأَمْجادُ النُّهى　　والخَيَالاتُ ورَاءَ السُّحُـب

والثِّقافَاتُ وسَاحَـاتُ الوَغـى　　وهَوى الفَنِّ ودُنْيا الطَّـرب

والسِّيَـاسَات ومـا تقـاسُ　　من شُجُون وشُئُون عَجَـب

كلُّها من مُزْنَةِ الحرف ارْتَـوت　　فَتَـلاقتْ كلِقَـاء النَّسَـب

فى دَم حـرٍّ كما تَهْوى العُلا　　طيِّبَ العِرْق وشِيجَ القُرَب

الثلاثيات

يَا صديقى الذي تألَّق فى اليُسْر حَفِيًّا يَري بِقَلْبِي وَعينى
كَيْف أَصْبَحْتَ كيف حالُك يا حُلْوَ التَّغَني وياجَمِيلَ التَّثَنى
أَيْن مِنِّى هواك فى ساعة العسرَةِ قُلْها عَساي يَكْذِبُ ظَنى

* * *

وتَعَالى الصَّدى يُقَهْقِه يا وَيْحُ غَبِيٌّ يَرَي السَّرابَ كَمُزْن
كان لى يَوْمَ كان غَضَّ الأَسَارِير فَذَاك الهَوى الذي كُنْتُ أَعْنى
كلُّ ما بَيْنَنا عَواطِفُ لا تُسْمِنُ يوما ولا مِنَ الجوعِ تُغْنى

* * *

الوِدَادُ الرَّسْمي صِدْق المَعَايِير إِذا قِسْتَها بِكَيْل وَوَزْنِ
وابتِسَاماتُنَا الغَنية كالحِلْيَة والسِّرُّ فى الجُيوبِ يُغْنيٌّ
نَتَبارى فى الأُمْنيات لِبَعْضٍ ثمَّ لا شَيءَ غَيْرُ ذَاك التَّمَنِّى





الناقد والمنقود

الناقِد الحُرُّ مَشَّاءٌ على سَنَن ... أهدافُه البِيض قَدْ شَدَّتْ مَبادِئَه

حتَّى يَرى نفسَه فى النَّقْد ماثِلَة ... ولو رَأى ذَلك المنْقُود شَائِنَه

يَجْلو المِحَاسنَ فى قَصْد وفى أَدَبٍ ... كما يُعالِجُ فى رِفْق مَساوِئَه

فالنَّقْدتَصْفِيَة كُبرى وتَنْقِيَة ... لا جَمْر يَحرِق بِالنِّيران واطِئَه

فَلَنْ يُجامِل منْقودًا بِمَحْض هَوَى ... ولن يَثُور عليه أَوْ يُنَاوِئه

كِلاهُما فى كُؤُوس الفنِّ غَمْغمةٌ ... وطَالَما قد تَحدَّى الكأْس مالِئه

ورُبَّ مُستَهْدِف يَلْوي به هَدَف ... وربَّما مَزَّق المْكلُوءَ كالِئه

والنقد إنْ جَلَّ عن هدْمٍ ومنْقَصَة ... بَحْر منائره تحيي موانِئه

وليس سَهْلًا فَحُرُّ النَّقْد هَنْدَسَة ... تُقِيم مُعْوجَّه : تُقْصى نَواتِئَه

صوتُ الضَّمير وسِرُّ الذَّوْقِ جَوْهره ... كمَنْ يُراقِب : فى نَجْواه بارِئَه

* * *



الصديقان

عَرفْتُهما قبل أن يُعـرُفَا مُضيئين فى الوِدِّ كالمَقْتَلَين

لقد رَضَعا من لِبَان الصَّفَا كأَنَّهمـا صاحِبَـا الرقْمتَين

واسْعى لِداريْهمـا طَائِعًـا كَمَنْ خَفَّ للسَّـعْيِ فى المَرْوتَين

وعَاشا على الحُبِّ ما أَخْلَفَا له مَوْعدا يُبْعِد الخَطْـوَتَين

فَغَار الصُّدودُ وغَار الجَفَا وهَمًّا بما يُوغِـر المُهْجَتَين

فَقَد سَاوَمَا الجَاه أَن يعْـزِفَا على وَتَرٍ واحِـدٍ نَغْمَتَـين

فَواحـدة تَشْطُـر الأَحْـرُفَا كَما انْشَطرتْ نَجْمةٌ نَجمَتَين

تُريك التَّنَافُسَ كَيْف اصْطَفا وشَاحَ المعاركِ فى الجَبْهتين

وزحْمَتـه تُلهِب الموْقِفَـا فَتَجْعـل عَزْفَتـه عَزْفَتين

وثانِيـة النَّغْمتَيـن الـوفَا تُصَـوِّره ثَانى الْخُدْعَتَـين

ودَارَتْ حُمَيَّاهُمـا قَرقَفَـا لَها أَلق الصَّحْـو فى الجَمرْتَين

وعبَّ طَرِيفٌ فلما اختَـفَى عن الحِسِّ يَسْبح فى الضَّفَّتَين

تَخَيَّل أن السّماكَ احْتَفى بِمقْدمِه حامِلًا شَمْعَتَين

وبدْر السماءِ له قَدْ وَفَا وحَيَّاه مبْتَسِما بَسْمَتَين

وفَوْق الذُّرى الشُّم قد رَفْرَفَا يُواكِبُ فى الجو شَحْرُورتَين

رَأى الوِدّ بينهما عَازِفًا صَدَي فَرْحَة أَشْرَقَتْ مَرَّتَين

ومَهْما قَسَا الدَّهرُ أو أَنْصَفَا لَصِيقَيْن شَبَّا على الحَالَتَين

ومِنْ عَجَبٍ أَنَّه خلَّفا صَديقَ الطُّفولة فى كربَتَيْن

ولم يَتَذكَّرْ بِه الموقِفَا فَقَدْ عظُمَ الخُلْفُ فى النظْرَتَين

ولكنَّ تَوْأَمَه المُنْصِفا « وليدًا » تألَّق فى دمْعَتَين

وشَقَّ الطَّريقَ كَما أَسْرَفَا إلى وِجْهةٍ لَا إلى وِجْهَتَين

فَثَبَّتَ أقدامه واكْتَفَى بِعَذْبِ النسيم من الشُّرْفتَيْن

ومَن أَحْكم الهدفَ الهادِفَا إلى اللَّيثِ لَم يَنْتَظِر قُبْلَتَين

ومنْ جَاوَر الشادِن الأَهْيَفَا فَلَيس كَمن يَمَّمَ القِبْلَتَين

وطَارا إلى الجدِّ هذَا وفَا لهُ حقُّه فى « رُبى » المكَّتَين (١)

---

(١) يشير الى من فرق بين مكة وبكة فى المدلول

* * *

ويحْلو خِصام العُلا عَاصِفـا   فليس سِوي وَهَج الحِقْبَتَيْن

وموتُ العُلا كالهوي إن شَفَا   عَلِيلا نَمُوت بـه مَرَّتين

وَأَرَّقَنى سامِقٌ قَدْ عَفَـا   وذَابَتْ معانيه فى لَحْظَتَيْن

وفى نَشْوةِ الجِد لمَّا غَفَـا   تَقَطَّع محْتَرِقا قِطْعَتَيْـن

وقَدْ وخط الشِّيبُ عهْد الصَّفَـا   وعَهْدَ شَبَابِ المُنَى وخْطَتَين

وما رَاعَنى بَعْد ذَاك الجَفَـا   وبَعْد القَطِيعة فى الذُّرْوَتَيْن

سِوَي نَغَمٍ حَرَّك المَعْـزِفَـا   وبحتّـه مِنْ صَـدَا البحتيْن

وفى الجِدِّ معنًى غريبُ الصِّفَات   على الدَّرب لا يقْبَل الزَّحْمَتَيْن

فإن أَخْصَبَتْ فَتَرات الجَفَاف   اطمئنًّا إلى شامِخِ القِمَّتَين

فَضَمَّهُما ضَمَّة اعْنَفا   من ٱلحب رَقَّتْ بِهِ برقتين

* * *

عندما يبكي العقل

أهدي هذه القصيدة إلى نوعين : من الناس الذين عرفتهم وجهلوني والذين عرفوني وجهلتهم .

تُسَائِلنى كيف الْتقَينا على هَوًى ... شَحِيحِ المعانى كُلُّ أرباضِه مَحْل

فما آنسَتْنَا فى فَيافِيه نَسمةٌ ... ولا طَلَّنا فى جَوْفِه أَبدًا طَل

ولا ظلَّلَتْنَا فى سُراه سَحَابَة ... ولا بارِقٌ حَتَّى ولو خلبٌ ضَحْل

رَضِينا بأَشْواكِ القَتَاد وماارتَضَتْ ... فَيَاويْح سَارٍ عَافه الصَّعْبُ والسَّهْل

ودُرْنا ودَارَتْ حولنا البِيدُ هَلْ تَرى ... جُنِنَّا أَم البَيْداءُ قَدْ مَسَّها خَبْلُ

وما أَنَا فى شكٍّ من الحب إنما ... تَعجَّبْتُ هل للنار من جَمْرِها ظل

أَجَلْ فى اللَّظى عِشْنا وفى القلب جَنَّةٌ ... لَها شَفَقٌ يَزْهو بِحُمْرته النَّخْلُ

وفى عُنفوَان الجَدْب تُخْصِبُ لَوْبَدتْ ... بَوادٍ من النعمى يَلِجُّ بِنا الْوَبْلُ

أَجَلْ فى حَواشينا تَرِفُّ خَمِيلةٌ ... رَبِيعيةُ الأَنداءِ تَزْكو وتَخْضَل

لَها أَلقٌ أَمَّا إذا الشَّمس زَاوَرتْ ... فيَصْحو وبالمُزْن العَقِيقيِّ يَنْهل

ونَصْحو على هَمْسِ الكرَى مثلَ ما صَحَت ... على النَّرجِس الغَفْوَان أَعْيُنُه النُّجْل

ضَحِكْنا فَعَبَّ النجمُ نَخْبَ شعاعِه ... ورقَّتْ عُرُوق الأَيك تَغْفُو وتَنْحَل

وغَرَّدَ لحْنٌ عبْقَرِيٌّ كأَنَّما ... تَعجَّل ضوْءَ الفجرِ طَال بِه الليل

فقلت لها يا ميُّ للحب مَنْطِقٌ ... فَرِيدٌ فَلَا زَمْرَ لَدَيه ولا طَبْـــل

مَطَالِعُه فَوْق السَّحابِ فإن دَنَتْ ... مَنَازلُه فالحُبُّ مِنْ دُونها يَعلو

وأَجْواؤُه حُمْر المَطا لَا قَشَاعِمٌ ... تُزَاحِم عُقبانا هُنَاك ولا جُـدْل

ولا نَهْجُه نهجَ القَطا وهْوَ سَابِح ... ولا لِمَرامى شَأْوِه أَبدا سُبْـــل

إذا حَارب الهَادُون جَهْلا بعلمهم ... فَعِلمُ المُحبين الغَبَاوَةُ والجهل

وَإِنْ ضَحِك القلب الشَّجيُّ وَرَاقَصتْ ... مَعَانيه أَطيافَ الحياةِ بكى العقل

• • •



عندما يضحك الدم

وغَرَّدَ فى «مىٍّ» نَحيبٌ مُهَدْهَدٍ ... وَوَمْضٌ تَوارى بَيْن أعطافِه سُؤْل

أَتَعْرِض للحُب المُوشَّج سَلْوَةٌ ... أَيَسْطُو على أَعْراقِه : العِزُّ والذُّل

أَيَعْروه ما يَعْرو الربيعَ أَظَلَّـــــه ... خَرِيفٌ فَيذْوي فى الغصونويَنْسَل

وهَلْهو مِثْل الكون يرجفُ إن عَدَتْ ... زلازلُ أَم تعدو رواسيَه البُسْلُ

وهل لِسُمُوم الشكِّ والغدْرِ جوْلة ... تُحَاوِره حتى يرثَّ له . حَبْل

وكيفَ يجُور الحبُّ والسِّرُّ واحدٌ ... أَمَا كَان مِثلًا حين قال هُو المِثْل

فَقُلت خَلَاك الذَّم قد يحْجُب السَّنَا ... دَبِيبٌ : كما دَبَّت على رِزْقِها النمْل

خَفَاءٌ بِلا ذَنْب لِجَانِيه لَوْ دَرى ... لَكَان لَدَيه الموتُ أَسهلَ والقَتْلُ

وما هُو لُؤْمٌ فَالهَوى حُلّ أَمْرُه ... وكَمْ فى سبيل الحب يَمْتَنِع الْحلُّ

رَقيقٌ كَحدِّ السيف أَما صَفَاؤُه ... فَبِالعَيْن مِنْ إشعاعه النَّهْلُ والْعَلُّ

وكَمْ مِن دم فى العِرْق يَجْري وَرَاءَه ... دَمٌ ليس مِنْه قد يَمُرّ وقد يَحْلو

ويا وَيْلَنا من ضِحْكَة الدم لِيَتَنا ... ضَحِكْنا عليه قبل أَن يَضْحَك العَقْل

* * *

دودة القز

حَسِبوا أَنَّها إذا نَسَجَتْ نسْجًا جميلا يمْتَصُّها فتَــذُوب

وهْيَ فى جُهدِها المحجَّبِ تَحْيا فى جَدِيدٍ هو البَقاءُ العجِيب

لِمَهذا وكيف ؟ ذَلك سرٌّ فى مَدَارَاتِه الحياة تَلـــوب

هو حِينًا يَبْدو على النَّسَقِ العالِى وحِينًا بيْن الضَّبابِ يَغِيب

* * *

كَتَمْت أنها تُمَزِّق ذاك النّورَ من جُهْدها كما تَشِعُّ الكُروب

ثُمَّ تغْدو فَراشة فى انطِلاق تَنْفُث « البَيْض » بالحياة يَؤُوب

إنه بَعْثُها الجديد ولَوْلا ذَلِك النَّسْجُ لاحْتَوَاهــا المَغِيــب

كم غُروبٍ يَلُوح منْه شُرُوق وشُروق يُطِلُّ مِنْه الغُرُوب

فالذي يَسْرِق الحياةَ من الموت يُوفيَّ له كَما يشاءُ النَّصِيب

إنه البَاذِلُ الحَياةَ لأَسْمى ما يُرجِّيه فى الحياةِ دَؤُوب

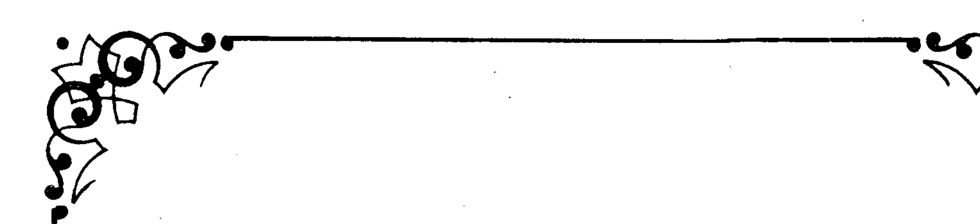
للبَقَاءِ الجميلِ فى الأَثَرِ الأَبْقَى وبالمجد لا تَضِيق الدُّرُوب

* * *

لم يكنْ بذْله لأَجل مُرَادِ النَّفْس فالعَاشِقُ المُرادُ سَلِيب
وخَصِيبُ المنى على شهْوة الذَّات وإنْ فَاض فَيْضُه لَجَدِيب
جَوْهَر المَجْد فى معانِيه فَرْدٌ لَا يطِيق العَذُول بَلْ يَسْتَرِيب
شَرَفٌ واحدٌ إذا مَزَجُوه بِهَوى غَيرِه عَرَاه الشُّحُـــوب
شَرف سِرُّه الجمالُ المصفى ضَوْءُه فى شُعَاعِه مَسْكـــوب
ذَائعُ الدِّفْءِ شَائعُ الحُبِّ لا تَرْقصُ إلَّا على سَنَاه القُلوب
مَا لَه من جَدَاه أَدنى نَصيبٍ مَا لَه فى ارتِفَاعِـه مَنْسُـوب
اللَّذَاذَاتُ عِنده فى الوَغَى الحُرَّةِ يُدعى لِخَوْضِها فَيُجِيب
وأَمَانيه أَن تُزف الأَمانى فإذا طَابَتْ الحياة يَطِيـب
وتَلُفَّ الحياة آصرة الرّحْمى سواءٌ بَعيدُهــا والقَرِيب
انّما تضحاك الكُرُوبُ وتَمْتَدُّ إذا ضَاق بالحياة غَرِيب
حيثُ لا غُربةٌ إذا صَدَق الحِسُّ فَما فِى الوجُود إلَّا نَسِيب
وعَطَاءُ القُلوبِ أَسمى عَطاءٍ واهبُ الحب نَفْسُهُ الموهوب
كُلَّما صَفَّق المُدَامةَ ذواقٌ شذاها يَبْقَى السَّنا وتَذُوب
وتَعِيش الظِّلالُ حَرَّكها الوقْدُ وَحلى أَطْيافَهُنَّ اللَّهِيب
واسْتَراح الكَمالُ فوق مَدَاه وتَسَاوى المُحِبُّ والمَحْبُوب

• • •





إلى تهـــاني

دخلت غرفة ابنتى « تهانى » فى البيت وهى فى المستشفى تعملُ
عملية الزائدة : فنظرت إلى صورتها و كتبت تحتها هذه الأَبيات :

لَا خَلا : منكِ زمانٌ لا خَلَا : مِنك مــكـــانٌ

يا ابْنَتِى قد غِبت أَياماً لها شَانٌ : وشَــان

فَصِغــارُ البيتِ غَذَتْهــم وإِيَّــاكِ لِبَـــان

فى دُعــاءٍ : عنــه لم يَفْتــرْ جَنَــان : ولِسان

يــا تهــانى كُلُّــكـم عِنــديَ أَمْــنٌ وأَمــان

فَــرْحــة تَمْشــى وأَكْبــاد حواشِيهــا حنـــان

وعُقُــود حَالِيــات أَنْتُمــو : فيهــا الجُمـــان

وأَزَاهِيـــر ربيـــع غَـــارَ مِنهـــا الأُقْحـــوان

سَتَعُــودين كَمَـــا عـــاد بِنَعمــاه الزَّمَـــان

إن تَـكُن « زائـدة » عِندك تُقْصَى وتُبَـان

فَلَقَـد تـكمُل بالنَّقْص كِعَـاب : وحِسَـان

وعـلى الإيجـاز كَـمْ يَحْلو حديث وبَيَـان

والـذي زَاد عـلى زَيْـفٍ طِـلاءٌ ودِهَـان

إنَّهـا سَبْعـة أَيَّـام وإن زَادتْ ثَمـان

وتَعـوديـن كَمَـا عـاد بِنَعْمـاه الزَّمـان

قـد حَمِـدنا الله والنّعمـى بِشُكْرانٍ تُصَـان

* * *

فَلَـكمْ : مـرَّ على الخاطِر مَعْـلولٌ مُهَـان

مـا لَه ضِلْع ولا رِيش وفى الـرِّيش الـكِيَـان

كَـمْ كـريم قـد تَخَطَّـاه لئيمٌ أُلْعُبَـان

ليس فى الوُجْدان رُحْمى ليس فى الـكَفِ لسان

يا ابْنَتِي : الصِّدْقَ فإنَّ الصِّدْقَ نِعْم التَّرْجُمـان

مثْـل ما نَعْمـل نَلْقى وبِمَـا دِنَّـا نُـدان

والذي يَسْعى لِهـوْن الناسِ : لا شَكَّ يُهـان

حسْبُنــا الصحــة والعفْو فَذَاك : الصَّوْلَجَــان

وهمــا السِّــر المُرْجى حِين يَشْتــدُّ الزَّمَــان

وهُمَــا الخَمْــر المصَفَّى ليس ما تَسْقى الدنَان

وهمــا النَّعْمــاءُ لا يَهْــرم فيهــا العُنْفــوان

فارْقُبِى السَّعْد كما تَهْوين قد آن . . . الأَوان

إنَّ مــن يطــرُقُ بــابَ الله محْفُوظ مُعَــان

مِثْلَمــا يَقْهَــرُ حُــرَّ النفس رِعْدِيــدٌ جَبــان

أَوْ يَصِــد فــى عَــكِــر المــاءِ دَعِــىٌّ بَهْلَوان

* * *



شاعر الأمس

يا شاعِرَ الأَمسِ كان الأَمسُ رابِيةً | مِنَ العقيق عَليها تَنْطفُ السُّحب
تَهْتز أَعْطافُها فى مَحْمَلٍ عَجَب | الفرْحَة البِكْرُ من أَرجَائه تَثِبُ
ولِلْمَها العِينِ خَطْوٌ فى مَدارجه | والبدرُ يُسْفِرُ أَحْيَانًا ويَنْتَقِب
نَشْوانَ فى عَبَق هَيْمان فى أَلَق | الْعَيْنُ فى ضَوئه تَنأَى وتَقْتَرِب
وللثُّريَّا حفيفٌ حوْل هَالَتِه | كَما يَئِن بِجُنْح اللَّيل مُغْتَرب
كأَنها فى رِحاب الخُلْد غَانِيةٌ | أَثْري بِها الحُسْنُ حتَّى شَعْرُهاذهب

* * *

ياشاعِرَ الأَمْسِ روَّتْك الحياةُ هَوًى | غَضًّا تمنى شَذَاه الكَرْمُ والعِنَب
تموج فى سُبَحات مِنْ عوالِمِها | كمَا تَمَاوج ليلٌ فِيكَ مضْطَرِب
سوادُه كسَوَاد العين مأْتَلِقٌ | بِنُور إِنْسانها والمُلْتَقى عَجَب
الحِسُّ رافِدُه الأَسْمى ورائِده | والحسنُ مُنْطلق شُقَّت له الحُجُب
طِباعُه كطِبَاع الليل رَفْرَفَةٌ | فَوْق المَدى ورِحَاب مَا لَها طَنَب
تَمُدُّ للحب أَسْبَابًا مُغَرَّبة | أَحلامُها نَغَمٌ أَسْرارُها قُرَب
لا تأْلَف القيدُ يُمْليه النُهى قَدْرا | يجري على سَنَن تَعْيا بِه الحِقَب

فللنُّهَى شِقْوة من عَجْزِها نَصَبت شِرًا كها تَتَحدى وهى تَنْتَحِب

ياشاعرَ الأَمس كان الأَمْسُ أَجْنِحَة كأَنها من خِضَاب الحُور تَخْتَضِب

ظِلَالُها كَرِياض الخُلد ضَاحِكَةٌ وسِحْرُها من حُميًّا الخُلْد مُنْسَكب

شَبَابُها من شباب الرُّوح مُصْطَفِقٌ والأَنْجم الزُّهْر فى أَقْداحه حَبَبُ

فَلَيس تَهْرمُ فى أَعْماق نَشْوته إلا السِنين عَليها تَضْحك الشُّهب

فإنْ نأَتْ بِصُروف الدهر بَهْجَته هَبَّت لِتُرجِعه الذِّكري فَيَقْترب

وإنها من لُهَابِ الروح جَذْوَتُه وكَم شَبَابٌ خبَا فى شَرْخِه اللَّهَب

ياشاعر الأَمسِ عادَ الأَمسُ اصبغةً وأَفؤساً فى بُطون الغَاب تَحْتَطِب

ومُدخِنات لَظًى قدْ راح يَنْسِجها من القتَام هَدِيرٌ لَحْنُه صَخِب

حتى المظَلَّة كانت فَيْءً حَانيـة يَحْنو على صَبّها من ظِلِّها سبب

عَادَت وسيلة فَتْك نَسْجُها حُمَم يَجُرها عَسْكرٌ مُسْتَهْتِر لَجِـب

فَاعْجب لِمُنْتَحِر يرْمى فَريسَته وربَّما مسه منْ دُونها العَطَـب

ياشاعر الأَمس هل نَمْضى علىسَنَن تَشَعَّبت فى مَلاوِي خَطِّه الشُّعَب

وأَيُّ ظِلِّ خَيالٍ لم يَلِدْ نَسَقا من الحَقَائق حتى اللَّهْو واللَّعِب

ياشاعر الأَمس دعْهُم تِلْك تَجْرُبة تَمُر والأَصْلَحُ الأَبقى له الغَلَب

* * *



أدوا الأمانات

أَدُّوا الأَمانَاتِ إلى أَهْلِهــا   تَعِبْتَ: من « بُكْرا » ومن ظِلِّها

مَمْطوطة تَسْبح فى عَرْضِهَا   ورُبَّما تسبــح فى طُولِها

فى سَبْحَــةٍ زعمــوا أنهــا   خَمائلُ الأُنُسِ على مَحْلِها

لا أَشْرقَت شمسٌ على أَرْضها   لا رَفَّ قِمْـرِيٌّ على نَخْلِهـا

أَتْعَبَــنِى هذا الصَّديقُ الذي   أَودَعْتُــه أَلْفَيْن مَع مِثْلِها

وطالَت الغُــرْبةُ مَشْــدودة   لِكَربــة أَخْبط فى لَيْلــها

خَابَرْتُــه قلت له أَدِّهَــا   بِبَعْضِها إن شِئْت أَو كُلِّها

إلى وكِيلى حَامـدٍ إنَّــه   أَسْلَفَــنى أَكْثر من جُلِّــها

فَردَّنى يطلب أَنْ أَحْضُــرا   بالذَّات أَو أُحْرَم من نَيْلِها

وقلتُ للنفس على غُصَّــةٍ   هَيَّا إلى المُودَعِ مِنْ أَجْلها

لعَــلَّه خَيِّرٌ ولَوْ مَــرَّةً   واحِــدة : أَنْعَم فى سَهْلِـها

ولم أُكَذِّب خَبَرا مُبْهَــما   حَمَّلْت نَفْسى فَوْق مَا حِمْلِها

وجئت للصَّـــاحب فى فرحة ... اقْبِض قَبْضَـــاتى على أَصْلِها

فَهَشَّ فى الوجه على خَشْبةٍ ... كقاصِــدِ الحَسْـناء فى أَهْلِها

ومَنْ غدا لبُعْـــدها : : بُعْده ... أَلْمحَ لى بِاليَأْسِ فى وَصْلِها

وقال لى فى جَفْـوَةٍ ساخِـرًا ... أَيْن بَقَايَاكَ على كُلِّـــــها

فَقُلتُ ماذا تَبْتَـــغى مِنْهُمـو ... أَمانَتِى وحْـدي ومن : حِلِّها

قال اشْكِنى إن شِئْت لكنَّـــها ... دارُ ابنِ لقْمَــان على حَالِهــا

فقلتُ أَشْكو حَالـتى كلَّـــها ... لله يَا ويْلَك مِن وَيْلِـــها

* * *



تهنئة وشكر

جاءتنى من الصديق الأديب الكبير الأُستاذ السيد على عامر قصيدة يهنئنى فيها بزفاف إبنتى مرام ويدعونى باسم الصحافة السعودية إلى مغادرة مصر والعودة إلى المملكة فأَجبت بهذه القصيدة.

شكرا

شكراً فقَدْ عوَّدْتنى — حُلْوَ المعَانى الخُرَّد
بَهِيجةً كالعَسْجَد — شَريفَة كالمَقْصد
ما ضَرَّها طولُ النَّوى — أَوفَدْتَ أَوْ لم تَفِدِ
فى أَلَقٍ مُعَطَّرٍ — مِثْل الشَّذى المُنَضَّد
مسْجُوعة كأَنها — تَرْجِيع شَادٍ غَرِدِ
محبُوكَةٌ مِن زرَدٍ.. — فى حُلِّه مِنْ بَرد
صَافِية مِنْ كَدَرِ — نَقِيَّةٌ مِنْ حَرَد
تَحْكى المُنَى رَقَّافةً — مِنْ خلدٍ لِخَلد
صَار المَرام نَسْجُها — مِنْ مُهَجٍ وأَكْبُد
فإِن نَأَتْ فَرْحَتُنا — فإِنَّنا لَم نَبْعُد

بالــروح بالمَعْــنى الوضِـ ـيء هالَةٌ فى الجَسَــــد

فَخُــذْ حَديثَ القَلْب منْ نَخْبِ هَــوَانا السَّــرْمَدي

مَعْصَــــورَةً خَمْــرَتُه مِنْ خَافِق لَمْ يَبْــــرد

مفتــــونةً بالــدَّرْدَبِيـ ـسِ فى دِنَــان الأَبَـــد

مختــومةً مَا مَسَّـــها ثَغْـــرٌ ولَا ظِـــلٌّ يَــد

أثَــارة المـاضِى الــذي عِشْـــنا وبُقِيـــا مجْهَد

مَخْبــوءَةً مذخُـــورَة لمـــا نُرَجَّى فِى غَـــد

فَلَيْتَـــها ياصَـــاحِبي رهِينَــــة بالمَـــوْعِد

يــومَ العُلا يَوْمَ الــذُّرَى في مَوْطِـنى فِى بَلَــدي

ونَلْتَــقِى فى فَرْحَـــةٍ غَامِرة لم تَهجَــــــد

مــوَّارة صَخَّــــابَةً فــوْق السُّهَى والفَــرْقَد

بادِئَــة بَرِيئَـــــةً مِنْ عَبــثٍ ومِــنْ رَد

هِى الوُجـــود قَبْلَها كأَنَّنـــــا لمْ نُولَــد

ونَعــــد كَيْف الحال يا أَخَا الْهَــوى المُتَّقِد

وهل تَــرَدد الشَّـــط فى غَفْـــلةِ عَـــيْن الرَّصَد

وتكْحـل المُقْـلة أَمْ . .   عُـوِّدَت ما لَم تَعْتَد
طَارِئٌ أَو عَـــارِضٌ   أَو خَلل فِى المِــرْوَد
وكَيْف نَقْضى الوقْتَ فـ   ـى الرَّوْشَن أَوْ فِى المَقْعَد
وكيْف زَيْـدانُ وياسِيـ   ـن وأَهْـل المُـدُد . .
والجَهْبَـذُ الأَشى من   زَكَا بِعِـطْر المَحْتِد
أَبْلِغهُـمُوا الـوكـة   مِن ظَـامِئٍ لَم يَـرِد
فى غُرْبَـة قَاسِيَــة   يا صَـاح أَوْهَتْ جَلَـدي
وكل ما يَشْفَـع لى   فِى تَعَــبى لكبِدي
إِنى هنـا مِن أَجْـلِه   فَلْـذة كَبِـديْ ولَدي
أَطْعمـك الله ولَــو   بُرْعُمَـــة كالشَّــهْد
ترى الشَّــباب منْ جَـ   ـديدٍ بالمعــانِى الجُدد
وتَـزْرع النُّـور على   نَهْـجٍ خَلا مِنْ عُقَـد
فـربَّمَا طَـاب الثَّـرَى   فِى خَطْــوة المُتَّــئِد
وربَّمَــا وربمــا . .   حَمـدت ما لم تحمـد
ولا تَهَـب مِنَ أَحَـد   فأَنْت مِثْـل « أُحُـد »
فاقْنُص لَها يا دَلْعَدِي   «جِيـدَانُة» فى غَيَــدِ
« مَوْلُــودَةٌ» مَـولُـودَة . .   فى بُـرْجِ ثَـوْرِ أَوْجَدي

* * *

البراءة الحالمة

أيُّ حُب مَهْما سَمَا وتَعَالى   بالِــغٌ فى سَمائِكَ الآمالا
فَجَّرت مَجْدَهُ العَرِيق مِنَ النَّفْس يَنابِيــع صَفَّقَتْــه زُلَالا
سَكَبتْــه رُوحى فَطَابَت بِمــرْآهُ وضَمَّت حَقيقةً وخَيَالا
وَرَوتْه من الشُّعاع المُصفَّى   عَسْجديا مُعــطَّراً سَلْسَالا
بَعْضُ نفْسٍ وسرٌّ مَعْنى عَميــق   كَان لَوْلا الوُجودُ أمْرًا مُحَالا
إنَّه غُصْنُ دَوْحَــة قد تَغنّتْ   لَوْ شآها فى قِمَّــة لَنْ تُطَالا

* * *

سَأَلَ العَقْلُ : خاشِعا هلْ لِعَاطفة الحب من السِّحْر ما يَفُكُّ الحِبَالَا
هذه البرعمُ النَّدِيَّة تَحْيَــاها لِتَرْعى طُفُولةً : أَمْ جَمالا
والأماني قد حَوَّلَتْك عن النفس إلى ظِلِّها لِتَنْعَــم حَالا
وتَغَافلْتَ عن سنَا البَــدْر وضَّاءً بِهَذا الذي تَظُن هِــلَالا

المَجالات كلُّـها فِى النُّهى الواصِل لا فِى طُفولة تتَلالا . .

وتصدّتْ من الطُّيوفِ الغَوالى لَمحاتٌ على النُّهى تَتَغالى

تَتَحدّى الأَطْواد : لُحْنَ ثِقالًا بِرُؤىً أَرسَلَت سَحَابا ثِقَالًا . .

إنّما هذه الطُّفـولةُ أَسْرابٌ شِفَافٌ لا تَعْرِفُ الأَوْحَالا

إنّها الرُّوحُ فى طبِيعَتِها الحُـرّة وَحىً لَمْ يأْلَفِ الأَغْلالا

إنها الوجْهُ للخَليقـة مذْ فَطَـر الله عليها نَسَائما وظِلَالا . .

لمْ يُدَنِّس جبينَهـا وضرُ الـذّات أنانِيـةً ونَفْعًـا مُذَالا

هِى أَنفاسُها اللِّطافُ هِى المُثُل العُلْيـا لَعمْري بَراءَةً وَجَلالا

إن فِيها خُلودا لأسْمَى . . الرِّسَالات عَطاءً مِن السَّماءِ تَوالى

إن فيها مِن الجَمَـال المُسَجَّى بِمَعانيـه ما يَدِقُّ مِثـالا . .

إنَّ فِيها حَلَاوة البشَر الواغِل فى عُمُق جِيفَة تَتَعـالى

قَـذَرُ عَاشَه ويحمِـلُه الناسُ غُثَـاءً وكُـدْرَة وضَـلَالا . .

ما أَحَسُّوا بِثِقْله عِنـدما كَانوا نِطَافًا أَو هُـذِّبُوا أطفـالا

ولَقَد جاوزُوا الطُّفـولَة فارْتَاعُوا وذَاقُـوا السِّنين عُجفا مِحالا

ودّعُوها فَودَّعُوا الخيرَ . والحُسْنَ وعَافُوا المِيَـاه والأَظْـلَالا

واسْتَرَاحــوا للشَّر يكْمُن فى الأَطْــواءِ خَالُوا رُؤوسَه أَبْطَالا

واستَبدُّوا وقاوَمُوا السِّلْم . . بالحَــرْب فَــزَادَتْهــم الحُرُوبُ وبَالا

واستَطَابوا مَراعِىَ السُّـوءِ ظَنُّــوها ذكَاءاً وأَرقَلــوا أَرْقَالا . .

زَعَموا طِيبَةَ النُّفــوسِ غَبَاءً واسْتَغَــلوا الضَّمائِرَ اسْتِغْلالا

وَرَمُوا بالعَفافِ فى لُجَّة القَــا عِ وَرَاموا الحَيــاةَ جَاهًا ومَالا

والمــنى عِنْدهم طَرَائِقُ أَنَّى وجَّهَتْــهم خَديعــةً واحْتِيَالا

وعجِيبٌ أَمْرُ الحياة وأَمْر . الخَلْق فِيها قَــذَارَة وسِفَــالا

بالدنَايَا انْطَوتْ عليها يَراها الإِنْسَانُ حَالا ويَرْتَجِيها مِثَالا

فى مُنى حُبِّــه وفى شَهْــوة النَّفْسِ إلى وصْلِها يَمُد الحِبَالا

فَلَكٌ دائِرٌ يُغَلِّفــه . . الشَّكْلُ جَمَــالا مُنَمَّــقًا خَتَّــالا

كَىْ يَدُورَ الإِنســان فى الفَلَك الواغِل فى الرِّجْس ضَلَّةً وَخبَــالا

ومن الحُسْنِ ما يَرِينُ على . . الآمال يَغْتَــال حسنَهُــن اغْتِيَــالا

ومن القُبْح والدَّمامَة . . ما يَغْمــرُ دُنْيــا الوجــود سِحْرا حَلَالا

رُبَّ طِفْلٍ أَهْــدى إلى الخير من شَيْخٍ عُتُلٍّ يُضَلِّل الأَجْيَالا

رُبَّ طفلٍ « بغايةٍ » يُبْهِــج النفسَ لأَجْدى مِمَّن حَسِبْت رِجَالا

كَمْ مُهُودٍ تسمو عليها نُهَى الأَطْفال تَدْعو أَكابِرًا أَطْفَالا

كلُّ مَنْ فى الحياة يَنْسِج مِنْــوالا ويـأْتى مَنْ يَنْسخُ المِنْوالا

صُوَرٌ كُرِّرَت على نَسَقٍ فرْدٍ حـلَاها وغَـيَّروا الأَشْكَالا . .

فالأُبُــوَّات والأُمُومات . . تَلْقَــاك لِتَلْــقى مِنْهُــن عَمًّا وخَالا . .

فإِذَا ما افْتَقَدْت قُرْبَاك . . لا تَيْأَس فَقَــد تُبْصِر الأَباعِدَ آلا

سُنَنُ الْعَيْشِ لا تَــدوم لِكَى نَذْكرَ ربًّا يُبَــدِّل الأَحْــوالا

* * *

حلم غادة

ليس لى إلا فضل الرواية فقد قصت على غادة ابنة صديقى الفيلسوف رحمه الله حلمها اللذيذ فآثرت أن أقدمه للقراءُ منظوما فعسى أن يروقهم كما راقنى :

يَا أَبى كيف أَنْت كيف تُرَوض الوقْت فى العَالَم الكَبِير الكبير

كنتَ لا تَسْتريح فى هَدْأَة الليل ولا ضَحْوة النهار الهَجير

لم يَكُن للفَراغ عِندك . مِيقَات فَقَد ذُبْت بين نَارٍ ونُور

وتَأَلقت فى العشِيَّات بالفِكْر المُجَلِّى غَياهِب الدَيْجُور

يا أَبى الفَيْلسوف بِالله هل تَذْكر أَشْيَاءنَا بِوَعْى ذَكُور

والأَماسِى حَالِمات المَعَانى صَاحِيات صَحْو النُّهى فى البُكور

تَنْضح الليل فى النجوم كما تَنْضح أَشْطَانَها صبَايا الغَدِير

هَلْ لَقِيت الصِّحاب فى النَّدْوَة الكُبْرى : أَرِسْطو والجَهْبَذ ابن نَظِير

والأَساطِين فى القَرِيض الأُلى كنْتَ تُناجِيهُمُوا بِذَوْبِ الشُّعور

ابْنِ هانِى وأَحْمد المُتَنَبِّى والنَّدَامى فَرزْدَقٍ وجَرِير

كُلهم كيف حَالَهم هل تَلاَقَت   بعْدَ لأْيٍ أفكارهُمُ فى المَصِير

كيف ذَابَ الخِلاف أيْن تَولَّت   إحَنٌ أوْغَلت بِهم فى الصُّــدور

هل بِدَار القَرَار تُشْفى صُدُورٌ بَيْن نُعمى وبَــيْن عَيْش قَــرِير

ما لِقاءُ الأَرواح ما هَيْنَمَات . . الكون ما السِّرُّ فى خَفَايَا الأُمُور

كيف تَحْيا النُّفوس حِين يَسُود الصَّمْت مُسْتَلْهِما حَيَــاة القُبور

والنسِيمُ العَلِيل من نَكْهَة الفِردوس هل نَفْحُه كَنَفْح العَبِير

وسُؤَال ألْقَيْته أنَا من قَبْل على عِلْمِك الوَفِير الغَــزِير

ذلك الدُّود هل يَلُوك صَغِير القَــوْم تحت التُّراب، لوْكَ الكَبِير

أمْ يَهَاب الكبير شأْنَ بَنِى الدنيــا ولا يَسْتطيب غيْر الصَّغير

والإِهَاب النَّضِير بالحُسْن والروْنَق هل طَعْمُــه كطَعْم النَّضِــير

وعُيــون المَهَا واهْدَابها الوُطْف تَنَاهلْن من شُعَــاع البُدور

سَلمت : مِن بَرَاثِن الدود فى الظُّلْمــة أقْــوى مِنْ مِخْلب مَسْعــور

* * *

وتَجَلَّى أبى كَعَهْــدي بِسِيمَاهُ   مُحَيا مُشَعْشعاً فى حُبُــور

وهو يُمْلى سُطورَه فى ابتِسَــام   كابتســام مقطَّر فى سُطور

إيه يا غَادَتى ويا نَـفْسِيَ خُـذِينى فى جَـوْهَري فى ضَمِيري

كل من قد ذَكَرتِ فى كنَف الله رِفاق على بِسَـــاط السُّـرور

مِثْل رَشْف الرِّضَاب من رحمة الله نَظِيمٍ إن شِئْــته أو نَثِـير

والمعــانى كُؤُوسُهم والمغـانِى حَانيـات بيْن الرُّبَى والزُّهُــور

نَحْن للصَّفْو يا حَبيبة فِى الجَنَّة كالزُّغب هُجَّعًا فى الوُكُور

السَّيَّاج الكبير يا زَهْرة . . العُمر حَيَـاةٌ لم تَدْر معنى الفُتُـور

وإذا الوِدُّ عندكم أرْسَل . . اللَّوْم عِتَابا عَبِيره كالزَّفِـير

فَهُنا عَالَمٌ من الرَّحْمة الكُبْرى مِنَ الحب والفِـدَاءِ الأَثِــير

أَبْعَـدُ الخاطِرات فى عَالَم الخُـلْد رِثَاءٌ لِعـابِدٍ مغْـرُور

أو مَهِيض الجَنَــاح فى زَحْمـة النُّــور بِجُـرح دَامٍ وقَلْبٍ كَسِير

والْتِماس الغُفْران للأَمَل الرَّاجى سَمَاحٌ من العَفُــو الغَفُــور

وعَن الدُّود فاسْمعِى مَنْطـق الـدُّود بِصـوت جَمٍّ البَيان جَهِير

إنَّهُ قال لَسْت كالنَّاس فى الدُّنْيــا ولا مِثْلهـم بِشَرَوي نَقِــير

لا أَمَسُّ الضَّعيفَ لكِنَّما . أَقْـوى على كُلِّ فاتِـكٍ جَسُورٍ

إنَّمَا الدُّود عِندنَا ثاقِب النَّظْرة مَهْما خَطَى كَخطْـو الضَّرِير

وإذا ما سَمِعت عن أَقْرع . . اللّحْـدِ وثُعْبَانه العَتِيّ المَرِير

فهو والدُّود تَوْأَمان وكم نَابَا جِهَارا عن مُنـكَرٍ ونَـكِير

لَا تُرَاعِي يا غَادَتِى انَّما نَحْن وأَنْتُنَّ على شَفَـا أَو شَفِيـر

نَتَرجَّى المِيعاد فى يَوْمه الأَكـبَرِ فى ظِلّه الخَفِىّ الوَثِير

نحن يَا غَادَتِى وأَنْتُنَّ على الْمَفْرَقِ والسِّر فى الهُدى المُسْتَنِير

مَالنا شافع سِوَى صَالِح الأَعْمَال مَنْ لِى بالوَاصِل المَبْرُور

وبَنِينا فى دعْوة تَنْقل . . السِّر إِلَيْنَا على جَنَاح الأَثِيـر

وعلى فِكْرةٍ فأُمُّك . . . . تُقْرِيكِ سلاما كالعِقْد فَوْق النُّحُور

وَوصَاةٌ مِنها إِليْك على البُعْد خُذِيها كَبُشْرَيات البَشِيـر

أَنْ تُقِيمى على العَفَاف على الصَّوْن بِمَنْجى مِن عَالَم مَسْحُور

بَهَرَتْه الأَضْواءُ بالخلَّبِ البَارق لا مَاطِرٍ ولا مَمْطُـور

فَتَبدَّى وقـد تَسَرْبَل بالعُرْي وعِزُّ الجمال فى المَسْتُـور

واستَراح الأَوْغَاد إِذْ وجَدُوا العَلْياء مبذُولة بِغَير مُهُـور

ثُم ماذا لَقَد صَحَوْت من الحُلْم بِقَلب مُرَوَّعٍ مَذْعُـور

وتَحَريْتِ أَن أَقُصَّك . . . روءْياك فإِنّى ظَمْأَى إِلى التَّعْبِير

المريض الجانى

أقعدَه الـدَّاءُ ولـم يَقْعُـد　　بِهِمَّـة المَشْـلول والمُقْعَـد

الخائِفُ الجَانى على نفسـه　　لم يَرْقُد الليل ولم يُرْقِـدِ

يا مغْلقَ الحِقْد على نفسـه　　تُوارِبُ الباب ولَمْ يُوصَـد

وانْجَـذَب اللَّفْـح وجَـذَّابه　　واشْتَعـل المَوْقد فى المَوْقِدِ

حَسَدْت حتى قَلبك المُبْتَلَى　　بِأَنَّـه بالدَّاءِ لـم يُحْسَـد

وحجَّبْت عَنْك معانِي الهُدي　　لم تُهْد للخَيْر ولـم تَهْتَد

العِلَّـةَ الـكبرى تَذوَّقتهـا　　فانْعَكَست فى النَّظَر الأَرْمَد

مجْنُونـة الحَسْرة مشبُوبـة　　مَطْوِيَّة فى قَلْبِك الأَسْـود

مَثَّلها الحِس الَّذي أَذْهَبَت　　رَوْنَقـه نَفْسِيَّةُ المُجْهَـد

نفسية المَسْلُوب قد آدهـا　　تَجَهُّم اليوم و كَرْبُ الغَد

وقَسْـوة الدهـر وَهِـزَّاتُـهُ　　ومَـكْرُهَـا الحَـائِق بالمُعْتَدي

طُيوفُها الوَسْنَى إذا أُبْعدت　　فى أُنْفِها من أَفْقِهِ الإِرْبِد

فإنَّهـا صُـورةُ مُسْتَقْبَـل يُلْفِي الرَّدَى فِيها عَلى مَوْعد

تَقْدُمـه اللَّـوْعَـةُ حَـرَّاقَة جَـزَاءَ ما حـرَّق مِنْ أكْبُد

والبؤْسُ هَتَّـاك لأَسْتَـارِه كَهَتْكِـه لِلصُّـوَّن الخرَّد

والجوع والعُرْي وسَوْط الأَذَى ونَقْمَة كَالليل لَمْ تَجْهَـد

قَالُـوا كليم مِلءَ أَبْـرَادِه حصَافَةُ كَالعَلَم المُفْـرد

وعبقَرِيٌّ نَضْـحُ أَعْرَاقِـه مِنْ سُؤْدَدِ يُنْمـى إلى سُـؤْدَد

يَجُول بالرَّأْي مَجَـال النُّهى فَيَقْنص الشُّـرَّدَ بالشُّـرَّد

وقِيل سِرُّ العقْل فى صَمْته وَإِنَّـهُ كالصَّـارم المُغْمَد

وانطَلَـق الدهـر بأَحْداثِه وعَصْفِـه كالهَـادِر المُزْبِد

تَعَلَّـق النـاس بأَذْيالِـه تعلُّـق الحـائِر بالفَـرْقَد

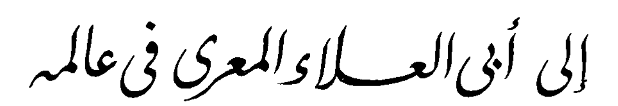
وانْتَظَر الناس وما اسْتَعْجَلوا سَيِّدهم فى المَوْقِف السَّيِّـد

فَراعَهـم يا هَوْلَ مَا رَاعَهم ضَحَالَةُ الرَّأْي وَوَهْن اليَـد

والفَشَـل الصَّاعِـق لا يأْتَلِي يُعـالِـج الفَاسِـدَ بالأَفْسَـد

قد أَجْدَبَ الخِصْب على عَهْده وانْفَضَح العابِدُ فى المَعْبَد

وما صَحَا إلَّا على نَفْسـه مُطَارَدًا يَلْهَث فى الفَدْفَـد



إلى أبي العلاء المعري في عالمه

يا فَلْذةً من ضَميرِ الكَوْنِ صَاحِيَةً ... صَحْوَ الرَّبيعِ المُوشَّى بِالرَّيَاحِين

ونَاسِجَ المَجْدِ فى أعْرَاقِ حِكْمَتِه ... تَتِيهُ فى الخُلْدِ تِيهَ الخُرَّدِ العِين

شَذِيَّة العُرْف تَحْكى فِى مَلَاحِظِها ... لَواحِظَ الغِيدِ فى عُنْفٍ وفى لِين

سَامَرتَ كُلَّ شَجِيٍّ فى مَفاتِنِـه ... وهِجْتَ كلَّ خَلِيٍّ غَيْر مَفْتُـون

ولَم تَدعَ فَوْق آفَاقِ السَّماءِ عُلاً ... حَتَّى أَبَاحَك مِنْه كُلَّ مَكْنُون

ولم تَذَر تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرى جَدثًا ... حتى تَحرَّكَ بَيْنَ المَاءِ والطِّين

قالُوا تحيَّرتَ فى دُنْياكَ بَيْنَ هوً ... طَاغٍ وبَيْنَ رَشَادٍ غَيْرِ مَأْمُون

وإنَّ ظُلْمــةَ كَوْنٍ عِشْتَها قَلِقًا ... تَجْترُّ حِرْمَانها فى الخَفْضِ والهُون

قد أَوْرَثَتْك ضَلَالاً في مَتاهَتِها ... فَرُحْتَ تَحْرِق مَضْمُونا بِمَضْمون

وتَسْتَحِل حَرَامَ العَيْش فى شَظَفٍ ... وتَحْرِمُ النفْسَ من نُعْمى ومِنْ لِين

ولَسْتَ يا ابْنَ الشَآمِ الحُلْوِ غيْرَ فتًى ... أَعْطَى الحياةَ عَطَاءً غَيْر مَمْنُون

صَحَا بِمُهْجته صَحْوا تَضِيقُ به ... مَشَاهِدُ الكَوْنِ فى رُؤْيا المَجَانِين

رَعَى الحَقِيقةَ فى أَسْمَى مَنَازِلِهَا ... بَصِيرةً فوْقَ أَبْصَارِ المَلَايِين

وعَانَق الحُسْنَ فى أَطْواءِ عَالمِه ... كَمَا تَعَانَق فَتَّــانٌ بِمَفْتُــون

إذا تَدفَّــقَ فالسَّلْسَالُ رَوْنَقُه يَجْري مَع الغَيْثِ فى آنٍ وفى حِين

وإن تـأَلَّقَ فى أَعْماقِه قَبَـسٌ تَفتَّح الرَّوْض عَنْ وَرْدٍ ونِسْرِين

وإنْ تَلفَّتَ صَوْبَ الغِيد بَارِقُه مَشَيْن مَشْى القَطَا حَول البَسَاتِين

حَبَتْ على رُكْبَتَيْها كلُّ فَلسفةٍ رَعْنَاء تَنْشُدُ سِرَّ الكَافِ والنُّون

وأَنْطَق المجد نُطْقًا غَيْر مُتَّكِيءٍ عَلَى الخُرَافَةِ فى تَهْرِيج مأْفُون

وراش بالمُثُلِ العُلْيَـا كَنَانَتَـه فَمزَّق السهمُ أَحشـاءَ الثَّعابِين

ومدَّ للعَقْل ظِلًّا مِنْ رَحابَتِـــه تَمخَّضتْ عَن حَضَارات وتَمْدِين

قالوا شَمَخْتَ شُمُوخَ الحِقْدِلَوْعَقَلوا لَمَجَّدُوا فِيكَ تَفْجِيرَ البَرَاكِين

الرَّائِدُ الفَرْدُ فى عُمْقِ الفَضَاءِ عَلَى مَطَارِح البِيدِ فى نَجْحِ الدَّهَاقِين

فإِنْ تَدَافَع «دَانْتِى» حَوْل سَرْحَتِه فَذَاكَ مَجْد النُّهَى فى مَنْطِق الدِّين

* * *

ذكرتك

ذكرتُك والقلبُ الوفيُّ ذَكورُ … فَهَاجتْ شؤون هُجَّعٌ وأُمورُ

وصَاغَ الهوى من لَحنِها ما أثارَني … وأذْكى حَنيني والحَنينُ شُعُور

وما صَدَحتْ إلّا بِلَحْني ولَيْتَها … تَحِس بأَشْجَان الفُؤادِ تَمُور

إذَنْ لَدَرَتْ قَلْباً وَعَى اللَّحْنَ حِسُّه … تطِير به آهاتُه وتَثُور

تَنَاءَى الذي يَجْلو سَنَاه بِقُرْبِه … وآفاقُه بِشْرٌ يَلُوح ونُور

وغادَره لَا عَنْ قِلى أو مَلَالة … ولم يَدْر أن الحَفْل بَعْدُ يَصِيرُ

فَحَمَّلَني هَمَّيْنِ هَمَّ فِراقِه … وهَمًّا من الذِّكْرى عليَّ يَجُور

عَشِيَّة قالوا أُمُّ كلثوم وَعْدُها … مَسَاءَ عَرَتْني رِعْدَة وَفُتُور

وأَنْكرت نَفْسي والحياةَ وَصَفْوها … وقُلت هو الحَظُّ الجَمِيل نفُور

وغَنَّتْ وقَلْبي شَارِدُ الحِسِّ هائم … يُنازِعه مِنِّي هَوًى وضَمِير

وصَحْبيَ مِنْ حَوْلي يُرِيدُون سَلْوَتي … أأَسْلُو ؟ كأَنِّي خائِن وغَدُور

خُذِيها كَمَا شَاءَ الهَوى عَسْجَدِيَّة … سُلَافًا على ذِكْرَى هَواكِ تدُور

ويا طَلْعتي قَلْبي ضَنِينٌ بِحُبه … وفيٌّ على حالِيْ هَواكِ صَبُور

* * *





الشامخة

وشَامِخــــةٌ نَفْسُـها عِــزَّةً كما شَمَخ الصَّـدْر بِالنَّاهِد
تـآلفَ فى جِيـدِها العَبْقَرِي شَذًى مِثْل تَنْهِيدة العَـابِد
وأَصْبُــوَ لِحُسْنٍ ثُريَّاتُــــهُ أَشِعَّــةُ بدْر الدُّجَى السَّاهِد
أَفَاقَ الصَّبـــاح ولمَّا تَزَل شَوَادِيه كالوَاجِـــد الفَاقِد
هُوَ الحُسْن فى الموْكِبِ المجْتَلَى فأَعظِمْ بِموْكِبِــهِ الخَالِد
تَنــاغِمُ أَمْجــادَه الصَّادِحَات مَجَالى المُنَى فى الصِّبَا العَائِد
وتَبْسُم فى رَوْضِــه فَرْحَتَان قَتُــولان للعَـــازِل الحَاسِد
تكوَّرتَا فَــوْق مَجْـرى العَبِير تَعُبَّــانِ من مَنْهَـلٍ وَاحِد
دُعاءُ الطَّبيعـــة قَدْ صَوَّرَتْه ثِمَارًا على الغُصــن المَائِــد
تَرَجْرج مِنْ فَوْقِها بُرْعَــم حَكَى هِزَّة الرَّيب فِى الشَّـاهِد
فياما أَحَيْلِىَ المُــنَى الزَّاهِيـات مُفَصَّضَــــة بالسَّنا الوَاقِد
ويَسْرِي الهَوي بَيْن هَمْسِ الكَرَى وتَعْــزِيمَة الفَاتِك العَـــامِد

يُوازِن فى خَطْــوِه كَالقطَا ويَبْسُــم للمشْــرِع الرَّافِــد

وعَادَ ولَمَّــا يَشُبْ رُشْــدُه ويَخْلُد غَير الهَــوى الرَّاشِد

فَيا نَفْحــةَ الحُلْم العَسْجَدِي وإغْفَــاءَةَ القَـــدَرِ الرَّاصِد

ويَا فَرْحَةً فى شِغافِ القلــوبِ أَضَاءتْ على الكفِّ والسَّاعِد

رَوِينــا من البَسَمات العِذَاب تُصَفِّــق سِرَّ الهَــوَي الرَّائِد

تُمَثِّل رِفْق النفــوس الرِّطَاب وتَهْــزَأُ بِالزمن الحَاقِــــد

وعُدْنا وفى الصَّحْو لَمَّا تَــزَل مَعالِمُ فى سَرْحِه البَائِــــد

وبَيْــن لُبَــانَاته ذِكْرَيَــاتٌ هِىَ العَيْش بالأَمَل الشَّــارِد

فَيا أَنْتِ يا حُــلْوة المُجْتَــنى ويا قِمَّــة المُلْتَــقى الصَّاعِد

ويا نَسْمة أَقْبَلت بِالحَيَـــاة كمَا ابْتَسم القَصْــد للقَاصِد

تَلُمِّينَ فىَّ حُطَــام الشَّبَاب وما فَاضَ عن جُهْــدِه الجَاهِد

تُرَاعِين مَجْدًا هَوَى كالشِّهَاب وما يَقْدر المَجْرَ كَالمَاجِد

هُو الحُبُّ نَهْرُ الحَياة السري ومُعْجِزة الصَّيْـــد والصَّائِد

لَقَدْ كان مُذْ كان سِرَّ الوُجُود تَدَفَّــقَ فِى الوَجْد والوَاجد

وبَيْن الرِّعان وبَيْن الشِّعَــافِ تُزَمْزِم أُنْشُـــودة النَّاشِــد

وَفِى غَمْغَمَاتِ العِرَاك الخَفِيِّ وفِى صَوْلَة الجُنْــد بِالقَائِد

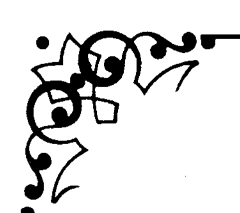
وفى صَحْوة الفِكْر فى سُهْــده وفى جَلْوة الفَــلقِ المَــارِد

فَيا فَرْحَتِى : للمُـــنَى « قَارِبى » ويَا مُنيَــتِى : لِلجَفَــا « بَاعِدي »

ضحك العين

يا ضَاحِكَ العَيْنِ وبَسَّـامَها   وَوَاهِبًـا للنَّفْسِ أَحْلاَمَهـا
وراقِصًـا فَوْقَ ثُغُـورِ المُنَى   ومُلْهِـمَ الأَلْحَانِ أَنْغَـامَها
ما بَسْمَةَ الثَّغْرِ سِوَي شُعْلَةٍ   من خَمْرَةٍ قد أَسْكَرَتْ جَامَها
مِنْ سِرِّ عَيْنَيْك ومِنْ سِحـرِها   تَصُـوغُ لِلْبَسْمَـةِ بَسَّامَها
بَرَاءَة فى ظِلِّ أَنْفَاسِهـا   أَطْيَـابُها تَغْسِلُ آثَامَهـا
نَاسِكَـة تعبـق ارْدَانُـهَا   ما فَارَقَتْ فى الحِـلِّ أَحْرَامَها
ويا حَدِيثًـا لم يَزُل سِحْرُه   يَحْكِي من الرِّقَّة أَنْسَامَها
ويا مُنَى صَاغَتْ مَعَانى الهَوَى   حِسَانُها الغِيـدُ وآرَامُها
وطارَحْت بِالحب أُسْـد الشَّرى   فَمَا أَطَاقَتْ بعـد آجامَها
وآمنَت بالله فى حُبِّـها   وأَسْرَعت تُعْـلن إِسْلاَمها
تُسَـابِقُ الفَرْحـة أَعْـوَامَها   وتَمْلأُ البَهْجَـةُ أَيَّامَهـا

* * *



لماذا أحبته ؟

أَحبَّتْـــه فى تَحْنَـــانِه وحَنَانِه ... ورَاعَتْــــه فى إِيْمَانِه وأَمَانِه

فَلَيْس لهُ فِى نفسه غيْرُ شَانِها ... وَلَيس لَها فى نفْسِها غيرُ شَانِه

أَطلَّتْ بِعَيْنَيه فلم تَر غَيْرَه ... وشَامَ بِعَيْنيها صَفاءَ زَمَانِه

إِذَا خَافَ غَدْرَاتِ الزَّمان أَحِبَّةٌ ... وروَّعَهم زحْفُ النَّــوىِ بِجرَانِه

وكَحَّل أَعْيُنَــهم سُهَادٌ مُؤَرِّق ... يُحَجِّب اشْرَاقَ المُنَى بِدُخَانِه

تَساقُوا كُؤُوسَ الخُلْدِ رَفَّافَةَ السَّنَا ... وعَاشُوا بِرَوْضِ الحُبِّ أَغْصَانَ بَانِه

صَحَاوى فَلَا يدْري الحمامُ مَكَانهم ... وغَاظُوه حتَّى مَادَرُوا بِمكَانِه

هُمَا فى رِحَاب الأَمْن والحُبِّ بَهْجَةٌ ... مُطَوَّقةٌ فى الخُلْد بَيْن جِنَانِه

ولَيْس النَّوى إِلَّا لِقَـــاءٌ وبَهْجَةٌ ... لإِلْفَيْن فى رُوحِ الهَوى وَكَيانِه

* * *





يا نسمة

يا نَسْمَةً مثل اللَّمىٰ عَذْبَـة	تَرْوِي الهَوي عن طِيبِ أنفَاسِها
ناشدتُك اللهَ أَمِنْ فَجْــرِها	أَشْرَقْتِ أَمْ مِنْ نبْع إِحْسَـاسِها
وهذِه البَسْــمةُ من ثَغْـرِها	أَوْ مَزْجُ ياقُوتٍ بأَلْمَاسِهـا
وكَيْف جَاوَزَتْ سَـوَادَ الـدُّجَى	فى شعْرِها المَاتِـع فى رَأْسِها
أَمَا خَشِيتِ العُنْفَ فى رِفقِهـا	أَمَا خَشِيت البَأس مِنْ بأْسِـها
وهى الَّتى تُسْكِرُ أُسْدَ الحِمَى	فَلَا تَفِيقُ الدَّهْر مِنْ كَأْسِـها
وهى التى تَقْتُـلُ فى بَسْمَةٍ	وهى التى تُحْي بِإِينَـاسِها
فَقَالَتِ النَّسْـمةُ خَالَسْـتُها	فى غَفْلةٍ عن عَيْنِ جُلَّاسِـها
غافِيَةٌ تَضْحَكُ أَحْلامُها	صَاحِيـةٌ فى ضَـوْءِ نِبْرَاسِها
عَوَّذْتُها مِن شَرِّ وِسْـوَاسِها	رَقَيْـتُها من سِحْر خَنَّاسهـا
أَعْمَيْتـــه عَنْها لِكَى اهرُبَا	من ساجِنِ الرُّوح وحَبَّـاسها
تركْتُها تَسْبَـــح فى صَمْتِها	تَضرِب أَخْمَاسًا بِأَسْـدَاسِهَا
كَأَنَّهـا الوَرْدَة فى كُمِّـهَا	وأَنت مِنْها العَيْن فى رَأْسِهَا
شَبَّهْتُها مِثْلَ ظِبَـاء الفَلَا	ضَاقَتْ بِها وَحْشَـةُ أَكْنَاسها

من عطرها غبَّ الضيا وانتشى لم يــدر بالدنيــا ولا ناسها

ملائِكُ الرحمِة في برجها حارسةً اكْـــرِمْ بحرَّاسها

طباعها الحلوة من معدن غراســـه يُنْمى لأَغْرَاسِهَــا

تَزُفُّ بشري فَــرحٍ غامــرٍ كفرحــةِ الغيـــد باعراسها

والحربُ في الحسادِ قد أَعلنت واليوم قد دقَّتْ بأَجراسها

* * *



يا مي

أَهْواكِ فَوْق هَوَاي فَوْق هَوَاكِ ... وأَراكَ أَجْمَلَ ما تَكُونُ رُءَاكِ

أَشْذَاءُ رُوحٍ فى غَلَائِل سُنْدُسٍ ... فَكَأَنَّمَا صَاغَتْك مِنْك يَدَاك

هَمْسُ المَلَائِك دُون هَمْسِك رَاعَهُم ... مِنْكِ السَّنا فَتَطلَّعوا لِذُرَاك

وتَلَفَّتُوا من حَوْلِ ذَاتِك فانْبَرَى ... طَيْفٌ يُنَغِّم رَجْعُه بِصَدَاك

ويُصفِّق الأَملُ الهَنِيُّ كُؤُوسَه ... رَاحًا مُشَعْشَعة بِخَمْرِ لَمَاك

أَقْسَمْتُ ما أَدْرِي لَهُ طَعْمًا سِوَى ... أَرَج عرفْتُ بِعَرْفِه رَيَّاك

أَطْيافُ أُنْسٍ فى مَبَاهِج صَانَها ... مَرحُ الشَّجِيِّ ولوعَةُ النُّسَّاك

وإِذَا تَرَاقَصَت المُنَى وتزَاحَمتْ ... فى مُهْجَتِى أَغْرَيْتُها بِرِضَاك

ولَكِ الرِّضى ما شِئْتِ حتى تَعْلَمِى ... أَنَّ المُنَى كُلَّ المُنَى لُقْيَاك

يا «مَيُّ» مَنْ لِي والهَواجِسُ جَمَّةٌ ... حُفَّتْ وُرودُ هَواكِ بالأَشْوَاك

والعاذِلُون تَفَنَّنُوا فى كَيْدِهم ... كَيْ يُحْرِموا عَيْنَيَّ مِنْ رُؤْيَاك

يا مَيُّ لا أَدْرِي وقَدْ عصَفَ الجَوَى ... بِحشَاشَتِى ما مَوْضِعى بِحَشَاك

يا مَيُّ ما أَحْلَاك بَسْمة طالِع ... باليُمْن فى دُنْيَاي ما أَحْلَاك

العُمر فى لَحظَات عُمرِكِ سَاعَةٌ ... مَسْحُورَةٌ ضَحِكَتْ لَهَا عَيْنَاك

والحُسْنُ فى ذَهَب الأَصِيل كأَنَّه ... فَحْواكِ أَو مَعْنَاك أَوْ مَغْنَاك

وإذا سَخَوْتِ بِبَسْمةٍ عِطْرِيَّةٍ ... فَكَأَنَّما جَادتْ بِهـا كَفَّاك

وإذا تَحدَّث خَاطِري وتـأَلَّقتْ ... شَفَتَاكِ واهْتَزَّا لَها عِطْفَـاك

طَابَ الحَديثُ إلَيْك حَتَّى أَنَّنِي ... أَبْصَرْتُه شَبَحًا يُقَبِّل فَـاك

فَأَغَارُ من ذَاتِي لِذَاتِي وَيْحَها ... خُدَعُ الهَوى مَنْصُوبةُ الأَشْرَاك

فَأَعِيشُ بَيْن يَدَيْك عُمْرًا ثانيا ... لَوْلَاك مَا عِفتُ الكَرَى لَـوْلَاك

أَفْراحُ أَسمَارٍ كأَنَّ نَعِيمَها ... أَسْحارُ أَنْـداءٍ وطَيْف مَلَاك

وأُودُّ لو وَصَل الهَناءُ دَوَامَهـا ... لِمؤرَّقٍ صَاحٍ وقَلْبٍ بَاكِي

فاللَّيلُ يا ذَاتَ الوِشَاح جَوَانِحٌ ... مَخْضُوبةٌ فى صَمْتِها أَرْعاك

واللَّيْلُ حَمَّال الكُرُوبِ سَجِيَّة ... فِيه عَرَفْنَاها من الأَفْـلاك

يَحْلو به سَمَرُ التَّهَجُّع آهَـة ... هَجْع الحَمَائِم فَوْق غُصْن أَرَاك

وإذا أَنِسْتُ إلَيْك أَخْطَرَ ما أَرَى ... مَسْراك وَيْح القَلْبِ مِنْ مَسْراك

فأَحِسُّ وثْبَتَه كَوثْبِك فى الخُطَى ... يا لَيْتَنِي يا مَيُّ بَعْضُ خُطَاك

يا مَيّ أَسْعَدَنِي هَواكِ فَهَلْ تَرِيْ ... يَا مَيُّ قد أَحْظَاكِ أَمْ أَشْقَاك

...



يا صمتها

يا صَمْتَها الحُلْوَ يا أَسْرارَ مُهْجتِها ... يا سِحْرَها العَذْبَ في أَنْفاسِ رِقَّتِها
ويَا رَهَافَةَ حِسٍّ بَعْض حِلْيَتِها ... مَتَى أَبُوحُ بِأَقْصَى ما أُدارِيه

★ ● ★

الحُسْنُ نَفْحَة عِطْرٍ مِنْ مَجَامِرهَا ... والسِّحْرُ ومضَةُ جَفْنٍ في مَحَاجِرها
والأَسْرُ لَفْتَةُ جِيدٍ : هَمُّ شاعِرِها ... صَوْغُ النجومِ عُقُودًا في مَعَانِيه

★ ● ★

ويا عُذُوبَةَ نَفْسٍ قَدْ كَلفتُ بِها ... ولَمْ أَزَلْ أَتَغذَّى مِنْ أَطَايِبِها
فَكانَ مذْهَبَ حُبِّى مِنْ مَذاهِبِها ... قَد طوَّقَتْنِي بِدَيْنٍ كَيْف أَقْضِيه

★ ● ★

يا ربِّ نَفْسي إِلَيْها اليَوْم قدأَنِسَتْ ... فى فَرْحَةٍ بِقَضَاءٍ مِنْك قَدْ سَنَحَت
ما خَادَعَتْنِي ولا رَاءتْ ولَا لَبِستْ ... غَيْرَ الوفاءِ رِداءً عَزَّ بَارِيه

★ ● ★

واليَوْم كَاشَفْتُها بَعْضَ الَّذي أَجِدُ ... وفى الحَنَايا لَظًى كالجَمْر يَتَّقِدُ
فاغْرَوْرَقَتْ عَيْنُها مُذْ خَانَها الجَلَدُ ... مَعْنًى حَظِيتُ بِه مِمَّنْ أُفدِيه

★ ● ★

وفَتَّ فِى عَضُدِي أَنِّى شَكَوْتُ لَهَا ... يَا لَيْتَنِى قَدْ كَتَمْتُ الحُبَّ والْوَلَها
لكِنَّ إِيمانَها الحَسَّاس شَاغِلُهَا ... فَادْرَكَتْ فى هِوَاهَا ما أُعَانِيه

وطَال صَمْتُ كَئِيبٍ شابَهُ أَلَمُ ... وفِكْرَةٌ فى النَّوىَ تَغْلي وتَحْتَدِمُ

وفَارق الشّعرَ حتّى الجرسُ والنَّغمُ ... ودبَّ حِسٌ غَرِيبٌ فى قَوَافِيه

★ ● ★

وقَاوَمَتْ بِبَقَايا الجُهْدِ قَائلَةً ... أَلَا تَرَى فى احْتِجَا بِى عَنْك طَائِلَة ؟

فَقُلْتُ هَلْ تَحْسَبِينَ الحبَّ قَافِلَةً ... يَلْوِي أَزِمَّتَها فى الرَّكْبِ حَادِيه

★ ● ★

قَد زِدْتُ فى القَلْبِ فَوْقَ العَيْنِ والنَّظَر ... لكِنَّ صَفْوَ الهَوَى يَحْلُو معَ الكَدَرِ

فَلْنَصْطَبِرْ عَلَّ في تَصْرِيفِهِ القَدَر ... حَظًّا إلى أَجَلٍ عَنَّا يُوَارِيه

★ ● ★

ولَمْ تَدَعْنِىَ إلَّا والدُّجَى أَمَلُ ... فالعينُ قد ضَحِكَتْ والصَّفْوُ مكتَمِلُ

حتَّى كأَنَّ أَحادِيثَ المُنَى قُبَلُ ... صَدَّاحَةٌ فى فَمٍ حُلْوٍ تُنَاجِيه

* * *





لو كان

لوْ كَان مُعْتَقَدِي أَنّ الهوَى ثَمَنٌ ... ما عِشْتُ وَحْدِي فَرِيداً بَيْن خِلَّانى

أَوْ كُنْت مِثْلَ بَنَاتِ اليَوْم عَاطِفَةً ... لَصَانَنِى عَنْكِ وُجْدَانى وإِيمَانِى

ولَوْ رَضِيتُ بأَنَّ الحُبَّ مَنْزِلَةٌ ... تُشْرى لَسَاوَمْتُ فى مِصْر ولِبْنَان

لكِنَّ لِي أَمَلًا فى الحُبِّ يَعْرِفُه ... مِثْلى ويَعْجَزُ عنه كُلُّ فَنَّان

ورِثْتُه عَنْ مَعَانٍ فىّ صَافِيةٍ ... صَفَاءَ نَفْسىَ فِى سِرِّي واعْلَانِى

إِنِّى أُجِلُّكِ عن عَيْبٍ ومَنْقَصَةٍ ... لَوْلَاكِ ما سَمَحَتْ نَفْسي بِغُفْران

أَحْبَبْتُ فِيكِ نَقَاءَ المُزْنِ فانْطَلَقَتْ ... تَشْدُو بِرُوحِكِ قِيثَاري وأَلْحَانِى

وهَبْتُكِ الرُّوحَ مَجْدًا خَالِدًا أَبَداً ... فَهلْ يُقَاس بِمَجْدٍ خَالِدٍ : فانِى

جَرَحْتِ يا أَمْنَ نَفْسا أَنت عِزَّتُها ... وأَنتِ جَوْهَرُها فى نَفْس إِنسان

أَأَشْتَري أُنْسَكِ الغَالِي وبَهْجَتَه ... بِمَا أَرَى فِيه تَقْصِيري ونُقْصَانِى

لَيْسَتْ هِبَاتٌ ولَكِن فَرْحَةُ عَرَضَتْ ... مِنِى إِلىّ حَكَتْ أَنْفاسَ نَيْسَانِ

قَد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الكأْسَ واحِدَةٌ ... ولو تَرشَّفَها يَا آمنَ اثْنَان

لِمَنْ أَبُثُّ شَكَاتِى وهيَ فِى خَلَدِي ... سِرٌّ كَسِرِّك فى طَيٍّ وكِتْمَان

• • •



هو وهي

كَيْف أَحْبَبْتُ رَوَاهَا ؟ كيف أَكْبَرْتُ هَواها ؟

لَسْت أَدْرِي

أَصْبَحَتْ للقَلْبِ دينَه يَوْمَ أَحْظَانِى لِقَاهَا

فهو عُمْري

أَهيَ أَحْلامُ شَبَابٍ زَهْزَهتْ عِنْد مَشِيب ؟

وَهى تَدْري

فَتَوارَتْ بالحِجَابِ لَا كَهِندٍ أَوْ رَبابِ

رغْم صَبري

يا فتَاتِي لَكِ أَجْرُ لَكِ إِنْ صَدَّيْتِ عُذْرٌ

أَيُّ عُذْر

لَا يَطِيقُ المَاءَ جَمْرُ لا يَطِيقُ الحُلْوَ مُرٌّ

أَيُّ مُر

لَامَ عُـذَّالِي ولُمْـتُ وَتَحـدَوْني فَقُلْـتُ

بِنْتُ . . . حُرٌّ

أَنْتِ زَهْرٌ أَنْتِ نَبْتٌ وأَنَـا يَا آمَنَ مَيْـت

دُونَ قَـبْري

هَيْكَلٌ يَمْشِي ثَقِيـلًا بَيْنَ عَيْنَيْـكِ ذَلِيـلا

مِثْلَ شِعْري

إنْ تَمِيلي لَنْ أَمِيـلا فَاصْبِري صَبْرا قَلِيـلا

أَي صَبْـر

فَهْـيَ أَيَّـامٌ بَوَاقِـي رَغْمَ أَنَّ الحُبَّ بَاقِـي

كُلُّ دَهْـري

فَرْحَتِي يَـوم التَّلاقِـي تَتَـلاشَى بِالفِـرَاق

غَيْر سِـرِّي

فَصِلِيـني بالتَّمَـنِّي بِـرِضَـاكِ المُطْمَئِـنِّ

لا تَفِـرِّي

لا تَـرِقّي لَا تَحِـنّي غَيـر حِنِّيَّـةِ ضَـنٍّ
دُونَ هَجْـر

فَأَنَـا يا أَنْتِ مَعْـنًى دُون لَفْـظٍ يَتَغَـنَّى
مِثْل طَيْـر

أَنَـا رَمـزٌ يَتَمَـنَّى لَكِ إِسْعَـادًا وأَمْنًـا
لَوْ بِغَيْري

يا فَتاتِي لَنْ تَخـافِي أَنْتِ حُبٌّ فِي شِغَافِي
طُول عُمْري

للعَنـادِيلِ خَوَافِـي وأَنَا تِلْك الخَوَافِـي
فاطْمَئِنِّي واسْتَقِري

واسْمَعِي بَعْـدَ الأَصِيلِ كلَّ يَوْمٍ فِي المَقِيـل
خَفْقُ صَدْري

تَعْرِفِيني بالخَمِيـلِ إِنْ شَدا بَينَ الخَمِيـلِ
لَحْنُ قِمْري

وإذا أَظْـلَمَ لَيْــلُ وأَوَى فَـرْعٌ وأَصْـــلُ

تَحْتَ سِتْـرِ

وإِذَا حَفْحَف نَخْــل واخْتَفَى لَحْنٌ وَهَــدْلٌ

فَهو أَمْــري

أَنا رَاضٍ يَا فَتــاتِي مِنْــكِ حتى بالفُتَــاتِ

وَسْطَ قَفْــر

أَتَحــرَّى أُمْنِيَـــاتِي عَلَّ فَجْرَ الصُّبْحِ آتِــي

لَصَبُورٍ مُتَحَري

قَال لِي حسِّي العَجِيبُ إِنَّــهُ أَمْــرٌ غَــرِيبُ

أَيَّ سِــــر

أَشُرُوقٌ أَمْ غُــرُوبٌ ؟ أَغِنَــاءٌ أَمْ نَحِيبٌ ؟

لَسْتُ أَدْرِي

أَنْتِ أَبْصَرْتِ . . . . . قَبْلَ مِيلادِ . . . .

دُونَ أَمْــري

هَلْ تَحدَّيْتَ السِّنينَ ؟ هَلْ تَهَجَّمْتِ العَرِينَ ؟

بَعْد عُسْـرِ

كيف أَرْضيْتِ السَّماءَ ؟ كيف دَارَيْتِ القَضاءَ ؟

هَلْ بِيُسْر ؟

هل تخَطَّيْتِ القضاءَ ؟ مِثْلَمَـا شِئْتِ وشَـاءَ

قَبْلَ فَجْـر

قلْـتِ للحُبِّ شُهـودٌ والهـوَى عِطْـرٌ وعُودُ

فَوْقَ قَـدْري

كُنْـت أبْـدِي وأُعِيد فَدَنـا النَّجْم البَعِيـد

حَوْل شَهْـر

ورَعَـانِي ورَعَـاهَـا وسَقَـانِي وسَقَـاهَـا

حُلْوَ خَمْـر

وبَدتْ لِي مُقْلَتَـاهَـا ثُم رقَّتْ وَجْنَتَـاهـا

دُونَ مَـكْر

وتَملَّيْـتُ شَـذَاهـا ناقِـلاً عِطْـرَ لَمَـاها

عِطْرَ سِحْـر

كُلُّ ما أَعْلَمُ عَنْهــا أَنَّ نَفْحَ المِسْكِ مِنْها

نَفْح زَهْـر

كُلُّ حُبِّى لَمْ يَزِنْهـا كُلُّ وصْفِي لمْ يُبِنْها

فَوْق شِعْـري

فاقْبَلِي أنفاس قَلْبِـي إنَّهـا زَفْرَةُ حُـبِّى

رَمْز شُكْـري

كُلُّ ما أَرْجُوهُ مِنْـكِ عِنْـدَمَا أَبْعُـدُ عَنْـكِ

قَيْدَ شِبْـر

إن تَصُونِى فِى يَدَيْك لَمسَـاتٍ مِنْ يَدَيْـك

فَهى ذِكْـرى

ودُعَـاءٌ كَالحَنِيــنِ لِهَـوى حُـرٍّ أَمِـينِ

صَوْب وَكْري

إنَّهـا دُنْيـا تَمُـرُّ والمُنَـى مَـدٌّ وجَـزْرُ

مَوْج بَحْـر

فإِذَا أَظْلَـم فَجْـرٌ ومَضَى عُمْـرٌ وعُمْـرُ

أيَّ عُمْـرِ

ليْس للأَحْيـاء قَـدرٌ إنَّمـا الأَيَّـامُ ذِكْـرٌ

نَبْع خَيْـر

قَال لِي طَيْفُك أَمْـسِ إنَّ طَبْعَ الدَّهْـرِ يَنْسي

قُلْتُ بَدْري

هِيَ عَيْني هِيَ رأْسِـي فَوْقَ أَرْضِي تَحْتَ رَمْسِي

ضَوْءُ بَـدْري

* * *

يارب

يا رَبُّ صَنْعَتُكَ الجَمِيلَةْ يا ربُّ فِطْرَتُك الأَصِيلَةْ

فَاقَتْ بِنُبْلِ خِصَالِها

وبِطِيبِهَا وَكَمالِها

قَد كَانَ يأْسِرُنى الجَمَالُ واليَوْم يأْسِرُنى الجَلالُ

قد كُنْتُ أَحْسُبُه الدَّلاَلُ وأَظُنُّه أَلَقُ الجَمَال

فَبَدَتْ حنانُ فَوْقَ مَا

تَبْدُو المَلائِكُ فى السَّمَا

كَانتْ بِحَقٍّ بَلْسَمًا ومِنَ المَكارِمِ أَكْرَمَا

يا ربُّ صَنْعَتُكَ الجَمِيلة يا رَبُّ فِطْرَتُكَ الأَصيله

ياربٌّ كالإِشْراقِ يَسْطَعُ فى الخَمِيلة يارب كالإِعْجَازِ إِذْ يَرْوِي دَلِيلَه

يا رب كَانَتْ بالكَمَالِ

تَضِنُّ بِالسِّحْرِ الحَلالِ

كَانَتْ تُجَمْجِمُ بالحَنَانِ وتَخَافُ من زَحم الحَنَان

كَانَتْ بِأَطْرافِ البَنَانِ تَذُودُ إِشْرَاقَ البَيَان

وَتظُنُّه سِحْرَ اللِّسَان

وكَانَ إِحْسَاس الحَنَانْ

فَركَعْتُ يا رَبَّاه لَا تَغْضبْ عليّ أمَامَها

وجَثَوْتُ أَلْثم في رِضًا فَوْقَ الرِّضَا أَقْدَامَها

وضَمَمْتُها ضَمَّ السَّحَابَةِ في سماك غَمَامَها

وقَرنْتُ بِاسْمِكَ مُسْتَريحًا بَدْءها وخِتَامَها

ولَقَدْ شكَرْتُك رَحْمَةً بَرَزتْ دَلائِلُ أَصْلِها

فِي قَوْلِها فِي فِعْلِها لَسْتُ الجَدِيرَ بِمِثْلِها

أَبَدًا ولا مِنْ أَهْلِها

لَكِنَّها رُحْماكَ تَغْمُرنِي بِوَارِفِ ظِلِّها

سَكْرانَ يَا ربَّاهُ مِنْ عَذْبِ اللَّمى مِنْ كَوْثَرك

ومن الشَّذَي قَدْ ذُقْتُه وكَأَنَّنِي في جَنَّتِك

ونَهَلْتُ مِنْ حُلْوِ الرِّضَاب وإِنَّهُ مِنْ رَحْمَتِك

وسَكرتُ لَسْتُ بِجَاحِدٍ مِن ثَغْرِها مِنْ خمْرَتِـك

يا رَبٍّ إنْ مَنَعَــتْ بأَسْـرَارِ الـكَمَـالِ

فاليَـوْم قَـد مَنَحــتْ بأَسْـرَار الـكَمَـال

بالحُبِّ موْصُـولاً بِحُبِّــك فى الحَقِيقَة والخَيَالِ

ولأَنْتَ يا رَبَّ القُلوبِ البِيـضِ لا يَخْفَـاكَ حَـالي

فاكْتُبَ لِقَلبَيْنا الأَمَـانْ

واكْتُبَ لَنا حُسْنَ الْمَآلْ

واجْعَل . . . . دَائِما فى حُسْنِها ذَاتَ الدَّلَال

فَأَنَا الفَخُورُ بِحُبِّهـا

فى بُعْدِهَا أَوْ قُرْبِهـا

صُنْها عَنِ الشَّرِّ المُبَيَّــتِ فى الجَلَاءِ وفى الخَفَاءْ

صُنْها عَنِ الحُسَّـادِ أَنْـتَ كَمَـا تَشَـاءْ

فَهِي الي تَهْوَى رِضَاكَ وَلا تُحَاذِرْ مَا سِـوَاك

وأَنَا الفَخُورُ بِحُبِّهـا

فِي بُعْدِها أَوْ قُرْبِهـا



أهـــلا

أهْلاً بِمَن وَهَبَتْ نفسي وَأَعْيَادِي … عُمْرًا جَدِيدًا كَعُمْري يَوْمَ مِيلَادي

فَنَشُّيه كَما تَبْغِينَ تَنْشئَةً … وزَوِّديهِ بِمَا تَهْوِينَ مِنْ زَادِ

وأَشْرِقِي فى مَعَانيه يَكُنْ أَبَدًا … صَداكِ يَامىٌّ مِن وَادٍ إلَى وَادِ

طَوِّقْته مِنَنًا غَرَّاءَ ضَافِيَـةً … فَكَيْفَ يَنْسَى النَّدَى مِنْ غُصْنه النَّادي

يوَدُّ لَوْ سَارتِ الرُّكْبَانُ تَنْقُلُها … كالْغَيْثِ يَنْقُلُه لِلرَّائِح الغَادِي

أَجَلْ مُرِيهِ فَمَا أَخْلَاكِ آمِـرَةً … عَلَيه يَامىٌّ فى خَافٍ وَفِى بَادِي

أَسِيرُك اليَوْم يَرْجو أَنْ يَدُومَ على … أَسَارِ فَضْلِكِ أَسْرَ الظَّامِئِ الصَّادي

• • •





ساعتها

يَا عَـذُولاً فى يَدَيْها أنْتَ مَنْ أَنْتَ لَدَيْها؟

مَا كَفَى أَنَّكَ طُولَ الوَقْـتِ تَطْوِي مِعْصَمَيْهـا ؟

كالَّذِيُ يَسْتَرِقُ السَّمْـعَ ويـلْوي نَاظِرَيْهـا

صَوْبَ ذَاكَ العَقْرَبِ اللَّامِـعِ . يُغْـرِي أُذُنَيْهـا

فَتُطِيـلُ الْمَسَّ والنَّظْـرَةَ دَوْمًـا فِي يَـدَيْهـا

مَنْ تُرى أنْتَ وهَلْ وَصَّـاكَ ذُو شَأْن عَلَيْهـا ؟

* * *

كَان أحْـرَى بِكَ ذَوْقٌ يَتَـأَنَّى ، يَتَـأَدَّبْ

لَا يُطِيلُ الرَّقصَ كَيْ يَرْكُـضَ بِالوَقْتِ ويَهْرِبْ

أَنْتَ حَوْلَ القَلبِ والقَلْـبُ شُعَـاعٌ يتَـوثَّـبْ

كَيْفَ لَا تُشْجِيكَ دقَّـاتُ فُؤَادٍ مِنْكَ أَقْـرَبْ ؟

كَيْف لَا تسْكُنُ لَا تَهْـدَأُ فى رِفْـقٍ وتَطْـرَبْ ؟

فَتمهَّـلْ أَيُّهَـا الرَّقَّـــاصُ واعْقِـلْ وتَهَـذَّبْ

بَارِكِ الوَقْتَ وَجَـرِّبْ وتَعَلَّمْ مِنْ مُجَـرِّبْ

إِنَّهـا لَحْظَـةُ أَحْلَامِـــى وعُمْرِي فَتَجَنَّـبْ

لَسْتَ لَوْلَا يَدُهَا الحلـــوةُ إِلَّا سُمَّ عَقْرَبْ

* * *

وإِذَا حَاوَلْتَ أَنْ تُسْـــرِعَ بِالوَقْتِ على غَيْرِ هَوَانا

سَوف نَسْتَبْدِلُك عَقْيَانـــًا ومَاسًـا وجُمَـانَا

ويَوَاقِيتَ تُرِينَـا الوَقْـــتَ لـكِنْ لَا تَرانَـــا

سـاعَةٌ قـد صَنَعُـوهَا ذَاتَ حِسٍ لا يُـدَانَـى

ترْقُب الفَـرْحَة تُغْلِـــيهـا زَمانًا وَمـكَانَـا

ذاتُ حِسٍّ عَبْقَـرِيٍّ فِى لِقَـانَـا تَتَفَـانَى

حَسْبُهـا رجْـعُ صَدَانا تَغْمِضُ الطَّرْفَ حَنـانَـا

تَكْتُـم السِّـرَّ ولا تَنْطِـــقُ شَيْئًا مِـن وَرَانَـا

رُبَّمَا أَبْطَأَتِ السَّيْرَ فَلا تَسْبِقُ فى السَّيْر خُطَانَا

بِنْتُ أَصْل وبَنَاتُ الأَصْـــلِ أَغْلى النَّاسِ شَانَا

حَسْبُهــا يَا نَــاسُ أَنْ تَشْهدَ حَالَيْنا عِيَانَــا

حَسْبُها رُؤْيا لِقَانَــا ثُمَّ تَشْيِيعُ خُطَـانَـا

ومَعًا للبَــابِ حَتَّى حِينَ تَعْيَــا قدمَانَــا

نَسْرِقُ الصَّفْوَ مِنَ الوَقْـــتِ ونَرْجُـوهُ الأَمَانَـا

وهو بِالأُنْس ضَنِين قَلَّما يُعْطِي الأَمَــانَـا

وإذَا صَافَـى فأَيَّـــامُ الصَّفَا آنًا فآنَـا

وأَخِيرًا فاعْلَمي يَامَـــيُّ أَنَّا فِي الهَوَى غَيْرُ سِوَانا

إنْ مَحَا الدَّهْرُ أَمَانِي النَّـــاسِ لَا يَمْحُو مُنَـانَـا

أَوْ طَـوى النَّاسَ فَإِنَّ الحُـــبَّ قَـدْ يَطْوِي الزَّمَانا

* * *



ساعتها تجيب

حَنَانَيْكَ قد أَوْسَعْتَ لَوْمًا كأَنَّني عَذُولٌ بِحَقٍّ تُسْتَباحُ دِمَائي
ومَا أَنا نَمَّامٌ ولَا أَنا حَاسِدٌ فَحسْبِيَ فى دُنْيا البَلاءِ بَلَائِي
فَبُرْجِي كَما تَدْري كَفِيفٌ وصَامِتٌ ثَقِيلٌ بَطِيءٌ فى أَشدِّ حَيَاءِ
فَفِي حُبِّهِ أَعْمَى وفى الكُرْهِ مُبْصِرٌ على غَيْرَةٍ شَفَّافَةٍ كَذُكَاءِ
يُحَرِّكُهـا سَمْعٌ وَيُلْهِبُهَا لَظًى إذا مَسَّها ذو غِلْظَةٍ وغَبَاءِ
وفى بُرجِ ذَاتِ المِعْصَمِ الرخْصِ شِيمَةٌ تُلائِمُ حُبِّي فى الهَوي وإِبَائِي
قَلِيلة حُبٍّ غير أَنَّ مزاَجِها عَلَى الحُبِّ يَجْري دَائِما بِقَضَاءِ
لَهَا فى مَذَاقِ الحُبِّ نَكْهةُ حَالِمٍ بَرِيءٍ يَرى الدنيا بِعَيْنِ رِضَاءِ
ورُبَّ خَيَالٍ آسِرٍ فى صَفَائِه يَفُوقُ الهَوى الطَّاغِي بِغَيْرِ صَفَاءِ
طَبيبٌ يُدَاوي طِبُّه غَيْر دَائِه تُشَعْشِعُ فيه حِكْمَةُ الحُكَمَاءِ
يَرى فى دَلالِ الحُبِّ سُلْطة قَادرٍ مُمَثَّلة فى نَشْوةِ الخُيَلاءِ
ويُعْجِبُه فى الحُبِّ طَاعةُ والِهٍ تَفِيضُ عليها رِقَّةُ النُّبَلاءِ
وأَسْمَى مَعَانِيهِ الوفَاءُ ورُبَّما يَذُوبُ حَيَاءً في رِدَاءِ وَفَاءِ

ويَعْصِمُهُ الحبُّ الحَفِيُّ وطَالَما تَسَامَى على جَاهٍ وطولِ ثَـراء

ويعْصِمُ مَنْ يهواهُ حتى كأنَّما يَرىَ كَوْنَهُ دُنْيا بِغَيْرِ شَقَـاء

ويُبْصرُ آفَاقَ الحَياةِ جَمِيعَهـا مَغَانِيَ تَرْعَى أَنْفسَ الشُّعَراء

وحتى مَعَاني الحَظِّ مَعْكُوسةالرُّؤَى عَلَى مَنْ حَوَالَيْها بِكُلِّ سَخَـاء

وتَحْرِمُ حتى نَفْسَها يُمْنَ حَظِّها وتَرْعَى بِحُبٍّ عِزَّةَ الكُرَمَـاء

فَلا تَرتَضِي فى عِزِّها ذُلَّ والِـهٍ وتَـأْسِرُها فى البَذْلِ جَرْعَةُ مَـاء

تَضِجُّ المَعاني فى حَنَايا فُؤَادِها وتَكْبَحُها حتى عن الخُلَصَاء

وتَرْعَى انْطِلاقَ الحبِّ فى غَيْر مَغْرَم ولا مَغْنَمٍ عَن عِفَّةٍ وإِبَـاء

تُدِيرُ أَحَادِيثَ الهَوَى بِلَبَاقَةٍ وتُعْجِبُها إِشْرَاقَةُ النُّدَمَـاء

ويَكْبُر منها الضَّنُّ حتى كأَنَّهُ عَطَاءٌ يرى فيه أَلَذَّ عَطَـاء

طَيَابَةُ نفس بَيْن صَحْوٍ وغَفْوةٍ وتِلْك المَزَايَا مُنْيَةُ العُظَمَـاء

حَنَانَيْك فاسْجَحْ إِنَّنى لَسْتُ عَازِلا وكيف وآسادُ العَرِين وَرَائِى

وللأَسَدِ الزَّءارِ بُرْجُ كأَنَّـهُ على جَنَبَاتِ الكَوْنِ رَعْدُ سَمَـاء

وتِلْك التى قَدْ هَدْهَدتْفِيكثَوْرةً أَرَتْنا لُيُوثًا فِي إِسَارِ ظِبَـاء

لَها الشُّكْرُ نُزْجِيهِ ثَنَاءً مُعَطَّرًا مَنْ غَيْرُها حَقٌّ بِكلِّ ثَنَـاء



وقَدْ غادَرْتِنِي بَيْن صَفْوٍ وضِدِّهِ … وَحَيْرَةِ مَسْلوبٍ وقَسْوةِ سَالِبِ

تَسَمَّرْتُ خَلْفَ البابِ ثُمَّ وصَدْتُه … بِحُرْقَةِ مَغْلوبٍ وآمالِ غَالِبِ

مَشيْتُ الهُوَيْنَا وانِيَ الخَطْوِرَاجِفًا … كَمُبْصِرِ أظْعانٍ مَشَتْ بالحَبَاحب

رَجعْتُ إلى كُرْسِيِّها فَلَثَمْتُه … وحَاضَنْتُه فى حُزْن أسْفَان ذائب

وسَاوَرَني مَالَا أُطِيقُ احْتِمالَهُ … وزَاحَمَنى زَحْمَ القَنَا والقَواضِب

ولَيْلٍ كَلَيلِ « النَّابِغيِّ » مُؤَرِّقٍ … ثِقَالٍ مَراسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِب

تُمَلْمِلُني فِيه أَمانِىٌّ ظَافِرٍ … وتَحْرِقُني فِيه أَحَاسِيسُ خَائِب

أُعاتِبُ نَفْسي كَيْفَ ضَايَقْتُ ثَاوِيًا … بِقَلْبِي مُقِيما بَيْنَ عَيْني وحَاجِبِي

ولو كُنْتُ ذَا وُدٍّ صَحِيحٍ كَتَمْتُه … وعِشْتُ على مَعْناه أَطْوِي جَوَانِبِي

وأُبْدِي سِوَاه عِنْدها رَغْمَ أَنَّنى … أَضُمُّ عَلَى ذِكْرَاهُ كُلَّ رَوَاجِبِي

فَمَنْ لى بِمَنْ يُرْضِنِي . بَعْدَما … رَمَتْنى بِلَحْظٍ جَاهِمِ الحِسِّ غَاضِب

وقَدْ خَلَّفَتْنى فى اللَّظَى العَذْبِ حَائِراً … وما أَنَا بِالسالي ولَسْتُ بِعَاتِب

ولكِنَّها نفسُ المُحِبٍّ عَجُولَة تَطِيرُ بِهَا أَحْلامُها للسَّحَـائِب

فَمَنْ مُبْلِـغٍ عَنِّيَ . . أَنَّها إذا ما عَفَتْ تَلْقَى شَمائِلَ تَائِب

وحَسْبِي مِنْها في الكَرى طَيْفُ حَالِمٍ ولَوْ حَسبَتْني في عِدَادِ الصَّوَاحِب

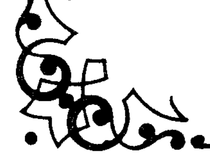
سَأَحْمِيكِ مِنْ نَفْسي ومِنْ كُلِّ خَاطِرٍ يَسُوءُكِ وَعْدًا صَادِقا غَيْرَ كَاذِب

ودُمْتِ كَما تَبْغِين نُبْلا وعِزَّة تَفُوقِينَ في دُنْياكِ أَسْمى الكَوَاكِب

ورَجْوَاي أَنْ لا تَنْدَمِي رَغْمَ مَاجَرَى عَلى كُلِّ مَا اسْلَفْتِ رَغْم مَعَائِبي

وإنِّي عَلى ودِّي بأَشْوَاقِ حَاضِرٍ وإنِّي عَلى عَهْدِي بآمَالِ غَائِب

* * *





أتنسين ؟

إذَا فَرَغَ العَطْفُ هَلْ تَنْتَهِي مَعَانيه فى نَفْسِكِ الطَّيِّبَــة ؟

وأَنْتِ التي لَمْ يَزَلْ نَفْحُها نَدِيٌّ العُذُوبَةِ ما أَطْيَبَــه ؟

أَتَنْسِيــنَ أَنَّكِ أَزْهَى رَبِيعٍ حَفِيلِ الصِّلاتِ جَزِيلِ الهِبَة ؟

وشعــرُك تَنْسِين إِلْهَامَــه وأَوْرَاقَــه الغَضَّــةَ المُخْصِبَة؟

أَلَمْ تَرْتَضِى حَــرَّ أَنْفَاســه وَلَوْ لَمْ تَكُونى بِهِ مُعْجَبَة ؟

* * *



الكوافير

وكُنْتُ أخَافُ على الوَجْنَتَيْن ... من اللَّهبِ الحَرِّ فى الجَمْرَتَيْن

ومِنْ أثَرِ الكأْسِ فى «الشَفَّتَيْن» ... ومنْ خَطَراتِ النَّسيمِ العَلِيل

فَطَمْأَنَنِي حَارِسُ المُقْلَتَيْن ... وقَال أنَا الحِرْزُ مِنْ كُلِّ عَيْن

ولَا تَنْسَ عَنْبَرَةً بَيْنَ بَيْنَ ... عَلى شَفَةٍ كاحْمِرَارِ الأَصيل

تَصُونُ لَمَاها بِغَمَّازتَيْن ... وظِلُّ الجُفُونِ الوَرِيفِ الظَّلِيل

وللسَّمْهَرِيِّ لَظَى طَعْنَتَيْنِ ... يصونُ على الغُصْن رُمَّانَتَيْن

فَلا تَخْش إلَّا تَبَارِيحَ بَيْنٍ ... فَشَرُّ الهَوى يَوم شَدِّ الحُمُول

* * *

فَقُلْت لِحَارِسِها المُشْفِقِ ... فَدَيْتُك صِفْ لِى ولَا تَقْلَقِ

بِمَاذَا تَصُدُّ يَدَ الحَالِق ... كَوافِيرُها والشَّذَى يَقْطِرُ

أأَحْسَنُ مِن صَنْعةِ الخَالِق ؟ ... تُرِيدُ وفى شَعْرِهَا أَبْحُرُ

تَمُوجُ بِتَعْبِيرِهَا النَّاطِق ... تَرانِيمُها النَّايُ والمِزْهَرُ

يَمُر بِكَفَّيْه كَالسَّارِق ... وَيَسْكَرُ بِالنَّفَسِ العَابِق

وفى خَصَــلاتِ الصَّبَا الدَّافِقِ يُخَالِسُها المُشْــطَ إذْ يَعْبــر

وفى شَعْرِها كُلُّ ما فِى الدُّجَى مِنَ الوَمْضِ كالأَمَلِ المُرْتَجى

وفِيــه دُعَاءٌ يُدِيرُ الحِــجَى فَكَيْف عَلى حُسْنِــه آمنُ ؟

فَجَاوَبَنِى الحَارِسُ الآسِــرُ هَواكَ هو الحَاكِم الآمِــر

يُكَيِّفُــهُ حِسُّــكَ الشَّــاعِرُ ومِنْ خَوْفهِ تغْمُــضُ الأَعْينُ

• • •

المستلقية

رأَيْتُكِ فى سَـدْحَةِ النَّـائِمِ ... كأَنَّكِ فى سَبْحَـةِ العَائِم

ولِلَّحْنِ فى الجَسَـدِ النَّاغِم ... تَرَانِيمُ مِثْل الدُّجَى الفَـاغِم

فَمَا هَزْهَزَ الغُصْنَ أَثْمَـارُه ... سِـوَى ثَمَـرٍ نَافِرٍ هَـائِم

كأَمْـوَاجِ نُـورٍ تَدَلَّتْ على ... عَنَاقِيـدَ منْ عَسْجَـدٍ بَاسِم

فَعَـوَّذْتُها ثَمِلاً بِالمُـنَى ... تَضَـاحَكْنَ لِلْحُلْمِ والحَالِم

* * *

قـالـت

قَالَتْ أَخَافُ المَعانِي فِيكَ غَافِيةً ... ولَا أَخافُكَ فى صَحْــوٍ يُدَارِيها

فأَنْتَ إِذْ يَهْجَعُ الإِحْسَاسُ مُنْطَلِقٌ ... كالماءِ فى الأَرْضِ يَنْـأَى عَنْ أَعَالِيها

ويَسْتَرِيحُ إلى أَعْطَافِ مُنْخَفَضٍ ... عَلى طَبِيعَتِهِ فى حِضْنِ وَادِيهـا

وأَنْتَ كالحُبِّ تَطْوِيهِ عَوَاطِفُهُ ... وحُلْوُهُ حِينَ تَطْوِيهِ وَيَطْوِيها

فقُلْتُ أَنْتِ المَعانى فِى حَقِيقَتِها ... فكُلٌّ ما فِيكِ عُنْوانٌ لِمَا فِيها

قَالتْ حَبسْتُ مُنَى نَفْسِي بِأَقْنِعَة ... طَرِيَّةِ اللَّمْسِ رَقَّتْ فِى حَوَاشِيها

فَلنْ أَطِيقَ بِمَا أَخْفَيْتُ أُبْدِيها ... ولَنْ أَطِيقَ بِمَا أَبْدَيْتُ أُخْفِيها

فقُلْتُ لا تَحْسَبِيها حَيْرَةً أُنُفًا ... فَكَمْ نُفُوسٍ مَضَتْ كَانَتْ تُعانِيها

وقِمَّةُ الحِسِّ فى دُنْيا الهَوى صُوَرٌ ... وشِيكَةُ الصَّفوِ أَشْبَاحٌ مَرَائِيها

إِذَا اسْتَراحَتْ إِليْها النَّفْسُ ثَانِيةً ... كَرَّتْ عليه بِأَهْوالِ لَيَالِيها

والحبُ كَالكَوْنِ يَا لَيْلايَ تَجْرِبةٌ ... تُضِيءُ فى الزَّحْمةِ الكُبْرى مَعَانِيها

والفَجْرُ مِن غَسَقٍ يَبْدو ومِنْ حُرَقٍ ... كَأَدْمُعِ الصَّبِّ حَارتْ فى مآقِيها

وكَمْ سحائِبَ ظَمْأَي وهي مُثْقَلَةٌ ... بِمُزْنِها ثُمَّ لا تَدْرِي بِمَا فِيها

رَجَوْتُ أَمْنَكِ يَا لَيْلايَ فَأعْتَرَضَتْ ... شَتَّى صُرُوفٌ تَمَادَتْ فِى تَجَنِّيها

لكِنَّنِى بِكِ يا أَمْنِي ويا أَمَلِي ... سَأَحْتَمي بِالعَوَادِي مِنْ عَوادِيها

فَهلْ تَصُونِينَ بُقْيا النَّفْسِ فى حُلُمٍ ... فَقَد تَعِيش الأَمَاني فى بَوَاقِيها

قَضيْتُ عُمْرِيَ فى دُنْيا الهُدي أَرِقاً ... أَرْعَى الذِّمارَ لأَوْطانِي وأَحْمِيها

بَذلْتُ رُوحيَ فى أَمْجَادِها لِأَرَى ... ما كُنْتُ آمُلُهُ فى عِزٍّ أَهْلِيها

وآثَرَتْ نَفْسِيَ الحِرْمانَ أَنْشُدُه ... غِذَاءَ أُمْنِيةٍ كُبْرَي أُرَجِّيها

فَعَقَّنِى كُلُّ خِلٍّ كُنْتُ آمُلُه ... وبَاعَ دِينًا بِدُنْيا ذَلَّ رَاجِيها

وهَا أَنَا اليَوْمَ مُعْتاضٌ بِأُمْنِيةٍ ... عَزِيزَةٍ كَهَوَى الأَوْطانِ أُغْلِيها

إذا صَحوْتُ فَمِن أَنْفَاسِها أَمَلِي ... وإِنْ غَفَوْتُ فَأَطْيافٌ أُنَاجِيها

مَلَّكْتُها القَلْبَ لا أَبْغِي لَه ثَمنًا ... حَسْبِى ابْتِسَامَةُ فَجْرٍ لا تُوارِيها

ولَيْتَ أَوراقَ عُمْرِي بَعْدما ذَبُلَتْ ... تَلُمُّها كَفُّ أُمِّيٍّ ثُمَّ تَطْوِيها

* * *





قُولي بِرَبِّك ماذَا أَنْتِ صَانِعَـةٌ بَعْدي وقَدْ سَرَقَتْ عَيْنيَّ عَيْنَاك

فَلَيْت أَنِّيَ لَمْ أَرسُمْ هَويً ثَمِلاً على جَبِينِكِ بَادٍ فى مُحَيَّاكِ

ولَيْت أَنَّكِ قَد أَطْفأْتِ شُعْلَتَه أَوْ أَنَّ حُبًّا سِوَى حُبِّى تَفَادَاك

إنْ كُنْتُ أُسْعِدُ نَفْسى فِى شَقَاكِ فَلا دَامَتْ سَعادةُ مَنْ يا ميُّ أَشْقَاك

حَسْبِي مِنَ الذِّكْرياتِ البِيضِ ماتَرَكَتْ فِى كُلِّ جَارِحَةٍ مني بَقَايَاك

وأُمْسِيَاتٌ لَنَا كَالحُلْم قَدْ سَلَفَتْ الشِّعْرُ أَنْجُمُها والخَمْرُ نَجْوَاك

ولَمْ نَذُقْ طَعْمَ رَاحٍ غَيْرَ مَا سَكَبَتْ عَيْنَاكِ مِنْ نَشْوةٍ فِيها حُمَيَّاك

أَجَلْ فَدَيْتُك هَلَّا تَذْكُرِينَ إِذَا مَررْتِ بالجِيزَة الزَّهْرَاءِ مُضنَاك

ولَوْ بِنَظْرةِ عَطْفٍ فَوْق مِصْعَدِهَا إِذا تَيَمَّمتْ فى أَعْلَاه قُرْبَاك

تَذَكَّرِيهِ ولَوْ عَتْبًا ولَوْ غَضَبًا فَسَوْفَ تُسْعِـدُهُ يا مىُّ ذِكْرَاك

قَولى هُنَا كَانَ مِن دارِ الهُدى رَجلٌ بَادي الهُيَامِ عَليلٌ ضَاحِكٌ بَاكى

سلمت يداك

سلِمَتْ يَـدَاكِ الحُلْوتَانْ　　يَا مىُّ يا نَوْرَ الجِنَـانْ

يا مَنْ سَمَوْتِ على الحَنَانِ　　فَكَيْفَ يَبْلُغْك البَيَـانْ

لو قُلْتُ جَوْهرَةَ الزَّمــانِ　　أَخَافُ مِن حَسَـدِ الزَّمَـانْ

لَمَسَاتُ كَفِّكِ بالبَنَـانِ　　طَابَتْ بِهِـنَّ المُقْلَتَـان

مَا « كَمَّدَتْني » « القُطْنَتَان »　　بِالمَاءِ ثَلْجًا يَقْطُــرَان

لكِنْ بأَنْفَــاسِ الحَنَانِ　　بِشَـذَى الحَلاوةِ فى اللِّسَان

عَزَّافَةٌ عَزْفَ الكَمَــان　　وأَقُولُ فِى نَفْسي : كَمَان

أَنْتِ الطَبِيبَـةُ بالرِّهَان　　ولَقَدْ كَسِبْتُ أَنَا الرِّهَـان

أُمْنِيَّتَــانِ عَزِيزَتَـانِ　　انْ تَعْتَرِيـنِي مَرْضَتَـان

أَحْظَى بأَنْمُلِكِ الحِسَان　　وَلَوْ تَطُـولُ العِلَّتَــان

يا مَن أَبَيْتِ لِىَ الدُّخَـان　　وقُلْت تَكْفيك لُفافتَانْ

أَغْضَتْ وقَالَتْ « نُكْتُتَان »　　وسَكَتُّ فى حَذَرِ الجَبَـان

* * *





أمل

هِى النَّدَامَةُ أَخْشَاها عَلى « أَمَلٍ » | أَبَاحَنِي الحُبُّ فِيه كُلَّ مَمْنُوع
وما نَدِمْتُ ولَمْ أَنْدمْ عَلى ثِقَــةٍ | لكِنْ ندمتْ «وقَدْ» جَفَّت يَنَابِيعى
تَبَلْبَلت فى مفَاهِيمِ الهوي فَبَدَتْ | تَقِيسُ مصنُوعَهُ البَالِى بِمَطْبُوع
وفَاتَها أَننى فى حُبِّها قَبَــسٌ | شُعَاعه طُولَ عُمْري غَيْرُ مَقْطُوع
وفَاتَها أَنني كَالشَّمْـعِ مُحْـتَرِق | لَكَي يُضِيءَ وأَنِّى غَيْرُ مَدْفُوع
وأَنَّ لِى أَمَلًا فيها أُرَعْرِعُــهُ | بَيْن الحَنَايا بِتَنْهِيدِي وتَلْوِيعِى
وأَنَّنى غَيْرُ ما أُبْدِيهِ مِنْ صُوَرٍ | سِرٌّ مِن الغَيْب يَمْشي فى التَّلافِيع
إن غَابَ عنْكَ فأَيَّامُ المُنَى دُوَلٌ | كَم بَائِع قَد بَكَى فِى إِثْرِ مَبْيُوع
إِنى أُعِيــذُكِ مِنْ آلامِ نَادِمَةٍ | مَضَى بِها الوَهْمُ في أَحْلامِ مَفْزُوع
يَسُوءُنى ظَنُّك العَاتِى ويُحْزِنُنى | رُؤْيا فُؤَادِك في أَثْوَاب مَخْدُوع
لَسْتُ المُخَادِعَ عُمْري وقدْ جَعَلْت هَوى | النفسِ منى تَابِعًا فى ظِلِّ مَتْبُوع
فَلا أَقُولُ ودَاعًا بل ودادَ رِضا | إِن فَاتَنى حَظٌّ تَشْيِيعٍ وتَوْدِيع
فَالبُعْدُ أَهْوَنُ مِنْ لُقْيا مُرَوَّعَةٍ | ومِنْ لِقَاءِ ودَاعٍ بَعْد أُسْبُــوع

* * *

أعلمت ؟

أَعَلِمْتِ كيفَ دَنَوْتُ مِنْكِ ومِنْ سَمَاكِ ومِنْ رِحَابِك ؟

ومِنَ البَشَاشَةِ فى طِبَاعِك والحَلاوَةِ فِى دُعَابِك ؟

وَمِنَ الصَّفَاءِ العَبْقَرِيِّ لقد تَلأْلأَ فِى شَبَابِك ؟

ومِنَ الأَرِيجِ العَذْبِ احْسَبُه تَقَطَّرَ مِنْ رضَابِك ؟

شَيءٌ خَفِىٌّ لا يُبَيَنُ لَقَدْ دَنَا بِى نَحْوَ بابِك

شَيْءٌ تَلَعْثَمَ فِى سُؤَالِي إِذْ تَلَعْثَمَ فِى جَوابِك

شيءٌ أَطَلَّ مِن السَّمَاءِ ولَيْسَ ظِلاً مِن رغَابِك

حدَثٌ واحْلِفُ أَنَّهُ مَا كَان يَوْمًا فى حِسَابِك

شيءٌ تَسَامَى عَنْ هَوَى الدُّنْيا وأَشْرَقَ فِى إِهَابِك

ذِكْري مُعَطَّرةٌ سَتُقْرأُ يا وفيَّةُ فى كِتَابِك

قُولِي لأَهْلِكِ والأَقَارِبِ والأَعِزَّةِ مِنْ صِحَابِك

هَـذِي الحيَاةُ مَشَاهِدٌ غَيْرَ القَنا . غَيْرَ السَّنَابِك

غَيْرَ الوُجُودِ بِكُلِّ مَا فِيه وغَيْرَ سَنا المَلائِك

أَعْطافُــهُ الوَرْدُ المُصَفَّى رَغْمَ أَنَّ اللَّمْسَ شَـائِك

وبِسَـاطُهُ رَوحٌ بِـلاَ وَقْــدٍ أَلَــذُّ مِنَ الأَرَائِـــك

ذَهَبِيَّـــــةٌ لحَظَــاتُه مِنْ دُونِها أَغْلى السَّبــائِك

لَوْ ذُقْتِ يا أُمَّــاهُ لاسْتَحليْــتِ ماءً غَيْـرَ مَائِـــك

ولَقَــالَ لِي كُــلُّ الصَّواحِبِ زَوَّدِينَــا مِنْ سَمــائِك

لكِنْ أَضِــنُّ لِيَهْتِفُـــوا يا مَيُّ هَــذا بَعْض دَائِك

* * *



الحب الشاعر

أَحِبُّكَ يا حُبَّها الشاعِرَا ... وأُغْلِيكَ يا قَلْبَهَا الطَّاهِرا

وأَصْدَحُ يا غُصْنَها الزَّاهِرا ... لِتَرْحمَ فى خَافِقى طَائِرا

وتُؤْوِيَ مُرْتَعِشًا صَابِراً ... وتُنْهِضَ حَظًّاً له عَاثِرا

نَصبْتَ له الفَلَكَ الدَّائِرا ... فَعَبَّ الضِّيَاءَ هَوًى سَاحِرا

فَيَا لَيْتَ آخِرُه أَوَّلا ... ويَا لَيْتَ أَوَّلُه آخِرا

لقَدْ كُنْتُ أَرْصُدُ سَيْرَ النُّجُومِ ... واجْعَلُ بَاطِنَها ظَاهِرا

وهَا أَنَا يَرْصُدُنِي آسِرٌ ... وكُنْتُ لأَمْثَالِه آسِرا

فَيا مَنْ أَسَرْتَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ... فَتًى حَاسِبًا مَاهِرا

فَدَعْنِي أَصْنَعْ لَكَ الطَّالِعَا ... فَرِيدًا كَما تَشْتَهِي نَادِرا

وشَرْطِيَ أَنْ لَا تَفُكَّ الأَسارَ ... وتَبْقى على مُهْجَتِى آمِرا

وإِنْ لَاحَ فى البُرْجِ نَجْمٌ سِوَايَ ... فَكُنْ لِى وَلَوْ خُفْيَةً ذاكِرا

* * *

لا تلمني

لا تَلُمْـنى حِيـنَ يَنْحُو العقلُ عِنْدي غَيْرَ نَحْوِك

لا تَلُمْنى

لا تَقُلْ فَرْطُ دَلَالٍ لَا تَقُـلْ زَهْوُ جَمَال

وتَرفُّـــقْ

لَا تَلُمْنى

لِىَ رُؤْيا غَيْـــرُ رُؤْيَـاكِ وعِلْمٌ غَيْرُ عِلْمِـك

فَتَمَهَّـــل

لَا تلُمْنى

لَسْتُ بِالجَاهِـلِ قَـــدْرَكَ مِثْلَ مَا أَجْهَلُ سِرَّك

وَرَجَـائِى

لَا تَلُمْنى

فَرْحَـتِي فَرْحَـــةُ إحْسَـاسٍ وقَلْبٍ يَتَضَـــرَّمْ

فَتَـأَمَّـلي

لَا تَلُمْني

أَنْتَ مَعْـنًى غَيْـــرَ مَيْسُورٍ عَلى العَقْلِ قَبُــولُه

لَا تَسَلْني

لَا تَلُمْنى

وبِـذَوْقِـي وأَحَاسِيـــسي هضَمْـــــــتُه

دُون عَقْلى

لَا تَلُمْنى

فَمَعَـــانِي الحُبِّ قَدْ تَعْـرِفُ لكِنْ لا تُطَـــاق

فأَجِـرْنِي

لَا تَلُمْني

فَوْق سُـوءِ الظَّنِّ فَـوقَ الشَّكِّ تَعْـلُو للثُّـرَيَّا

للثُّـرَيَّا

لَا تَلُمْنى

قُلْتِ لِى إنّي فِى اللّحْظَةِ والخَطْرَةِ جَنْبَك

فَصُعِقْت

لَا تَلُمْنى

أَنْتَ شيءٌ غَيْرُ حُبٌّ غيرُ وِدٌّ غَيْرُ قُرْب

لَا تَسَلْنى

لَا تَلُمْنى

قالَ لِي حِسُّكِ فِي صَمْتٍ عَجِيبٍ

وغَريبٍ

لَا تَلُمْنى

إنَّنِي أَكْثَرُ مِنْ بِنْتٍ وأُخْتٍ وحَلِيلَة

وصَمَتُّ

لَا تَلُمْنى

إنَّني عِنْدَكَ فِى النَّوْمِ وفِي الصَّحْوِ سَواءٌ

بِسَواء

لَا تَلُمْنى

إنَّـنِى راحتُـك الكُبْرَي عَلى رَغْمِ انْبِهَـــاري

واعْتِــذَاري

لاَ تلُمْنى

إنَّـنِى دُونَ رُضُـــوخٍ وجُمُـــوحٍ فى جِوارِك

ودِثــارِك

لاَ تَلُمْنى

فَتَملْمَـلْتُ وأَصْبَحْتُ كَمـا تَهْـوَى وأَكْثَـرُ

ثُمَّ أَكْثَـرُ

لاَ تَلُمْنى

وتَمَلَّيْتُـك فِى نَفْـسي ورَاقَبْـتُ زِيـــارةً

لا إشارة

لا تلمنى

وتَقَمَّـصْتُ الَّـذي فِيكَ « تَحَابِيشُ » ورَجْـوَى

بَعْد نَجْوي

لَا تَلُمْني

عِنْـدَما أَنْـزِعُ فُسْتَـانِي وأَخْتَـــارُ شعـاري

وسِــوَاه

لَا تَلُمْني

عِنْدَ حَمَّامِي وهِنْدَامِـي و كَوَافِـيرِي وشَعْـري

أَيُّ شَعْر

لا تَلُمْني

ربَّما أَخْرجُ مِنْ عِنْدِكَ غَضْبَى أَيَّ غَضْــبَى

دُون قَصْد

لا تَلُمْني

ثم أَرْضَـى فِـي شُعُـورٍ يَتَجَـلَّى بِابْتِسَـام

والْتِئَام

لا تَلُمْنى

كُنْت أَخْشَـاكَ وأَصْبَحْـتُ عَلَيْكَ اليَوْمَ أَخْشَى

فَتَرَيَّثْ

لا تَلُمْنى

إنْ صَحَا عَقْلِـى لَا أَرْغَبُ فِى حِسِّيَ صَحْـوَهُ

مِثْلَ سَهْوه

لا تَلُمْنى

إنَّ حُسْنَ الظَّنِّ مِنْ مِثْلِيَ عَيْبٌ أَنْتَ تَعْلَـمُ

فَوْقَ عِلْمِي

لا تَلُمْنى

غَيْرَ أَنِّي دُونَ مَنٍّ قَدْ تَنَاسَيْتُ الظُّنُونَ

والحِسَاب

لا تَلُمْنى

كلٌّ ما أرْجُوهُ مِنْ قَلْبِكَ فِى قَلْبي وَرُوحِي

أَنْ تبُوحَ

لا تَلُمْنى

وَتُرِينِي ما تَرَاهُ لِأَرَى رُؤْيا اليَقِينِ

فى جَلاء

لا تَلُمْنى

وأَرَى تَدْبِيرَ صُنْعِ اللهِ فى حَالِي وحَالِك

للنِّهَايَة

لا تَلُمْنى

هُو شَهْرٌ فِى حِسَابِ النَّاسِ لكِنْ فى حِسَابَيْنَا

سِنِين

لا تَلُمْنى

فأَجِبْني كَيْف نَحْيا كَيْف نَبْقَى فِى سَلام

وأَمَان

لا تَلُمْنى

ما مَصِيرُ البُعْدِ بَعْدَ القُّرْبِ قُلْ لِي

هَلْ يَذُوب

لا تَلُمْنى

قُلْت حُبٌّ فوقَ حُبٍّ الناسِ ما شَكْل الحَصَانَة

لَسْتُ أَدري

لا تَلُمْنى

فأَجِبْنِي لا تَدَعْنِي وأَعِنِّي أَيَّ عَوْنٍ

لَا تَدَعْنى

لَا تَلُمْنى

الجواب المنثور

أَجَبْتُكَ فى نَثْرٍ عَميقٍ كأَنَّه . فَتَاوَي إمَامٍ يَسْتَريحُ لِمَأْمُوم

وصوَّرْتُ مَجْهولَ الحَقِيقَةِ غَامِضًا بِإِيماءِ مَفْهومٍ وإشْرَاقٍ مَعْلُوم

ولكِنَّ نفسًا بين جَنْبَيْك حُرَّةٌ تـأْثَمُ حتَّى مِن هُبُوبِ نَسِيم

تَحَيَّرْتُ فى نَصٍّ تحرَّيْتُ صِدْقَه وإنْ بَانَ فى مَعْنَاكِ غَيرَ هَضِيم

وهَا أَنَا قد حرَّمْتُ كُلَّ مُحَلَّلٍ « لَدَيَّ » لِأَحْيَا فِي لَظًى وجَحِيم

وهَا أَنَا ذَا يا آمِنَ آخِرِ طَاعَةٍ باحْسَاس تِلْميذٍ وطَبْع حَلِيم

ولا تَحْمِلِي إلَّا عَصَا العُنْفِ دَائِما فَكَمْ مُخْلِص ياآمِنَ غَيْر رَحِيم

وكُلُّ الذي أَرْجُوهُ غُفْرانَ قَادِرٍ وَتَـأْدِيبَ إنسانٍ وهَجْرَ حَكِيم

وكَمْ رَحمَةٍ جَاءَتْ بـأَثْوَابِ نِقْمَةٍ وكَمْ مِنْ وَلُودٍ أَخْصَبَتْ بِعَقِيم

• • •

سامحني

« يا رَبِّ سامِحْني » تقولُ وذَنْبُها	وهْمُ البَرِيئَةِ فى حَنَانِ المُحْسن
وتَظُنُّ رِقَّتَها رَغِيبـةَ نَفْسِهـا	مِنْ طِيبِ عُنْصُرِها وفَرْطِ تَحَنُّن
وسَمِعْتُها ولَمَحْتُ بَينَ جُفُونِها	أَلَقَ الرَّجاءِ الوَاثِقِ المُتَمَكِّـن
وهَتَفْتُ يا ربى أَبُوءُ بإِثْمِهـا	وَحْدِي وخُذْنِى أَخْذَ رَاضٍ مُذْعِن
واملأْ جَوانِحَها بِمَا تَرْضَى لَها	وأَمْنُنْ بِحِسٍّ من «لَدُنْك»مُطَمْئِن
يا رب إنْ أَغْضَتْ فكُلُّ عُيُوبِها	إِسْرَاعُ مُؤْمِنَةٍ لِنَجْدَةِ مُؤْمِـن
يا ربِّ بِاسْمِك قَد شَفَعْتُ لِحُبِّها	وبِكُلِّ ما أَعْطَيْتَنِى ومَنَحْتَنِـى
يا ربِّ فامْنَحْ لِي بِفَضْلِكَ حُلَّة	كَالخُلْدِ لَم تَذْبُلْ وَلَم تَتغضَّن
ومِنَ السَّعادَةِ ما تُرِيدُ وعَزْمَـةً	كالنَّصْلِ لَم تَخْدعْ ولَمَّا تَغْبُن
فى فِطْنَةٍ لمَّاحَةٍ طَمَّـاحَـةٍ	تُودِي بِكُلِّ مُجَازِفٍ لَم يَفْطِن
لكِنَّ رَجْوايَ الحَبِيبَة أَنْ أَري	قَلْبي بِغَيْرِ وفَائِها لَمْ يُفْتَـن

* * *



الشراب الجديد

ولمَّا أرَتْنِي « الشُّرابَ الجَدِيدَ » تَسَاءلتُ هَلَّا أرَاهُ عَلَيْكِ
فَلَعْثَمَها خَفَرٌ ذَائِبٌ ولَعْثَمَنِى مِثْلُه فاسْتَحَيْتُ

• • •

ولَاذَتْ بِصَمْتٍ ومِنْ بَعْدِه تَنفَّسَ فِيها الحَنَانُ اللَّذِيذ
وقالتْ إذَنْ فأَغْمِضْ نَاظِرَيْكَ وأغْمَضْتُ حَتَّى كأَنِّى سَكِرتُ

• • •

ولم أدْرِ إلَّا وكَفًّا رَشِيقًا على العَيْنِ تَفْتَحُها كَالنَّسِيم
ولَاحَ الشُّرابُ ومِنْ لَوْنِها يَعُبُّ النَّبِيذَ كأَنِّى عَبَبْتُ

• • •

فَيَا لَيْتَ كُلَّ جَدِيدٍ أَرَاهُ كَمَا قد رَأَيْتُ الشُّرابَ الجَمِيلَ
فَفِى هَذِه الوَمَضَاتِ القِصَارِ لَذَائِذُ وَحْدي بها قَدْ دَرَيْتُ

• • •

خذُوا مَثَلًا « نَأْنَآتِ الحَدِيثِ » على فُسْتقٍ فى يَدَيْها تَقَشَّرُ
أَتَتْنِي بِه وهو فى الشَّنْطَةِ تَمنَّيْتُ لَوْ كُنْتُهُ فاخْتَبَأْتُ

• • •

تُجَمْجِمُهُ فى الثَّنَايَا الوَضَــاءِ ولُؤْلُؤُهَا الأَبْيَضُ الأَفْلَــج

لَتَكسِــرَه وفُــؤَادِي يَخَــافُ عَلَيْهــا ولكِنَّنِــى أَسْكُــتُ

* * *

وتأْكُلُنِــى غَيْرَةٌ حُــرَّةٌ لَهــا أَوَّلٌ مَا لَهــا آخِـرُ

وَلَيْسَــتْ بِدَارِيَــةٍ لَيْتَهــا تَحُسُّ بأَنى امْرؤٌ مَيِّــتُ

* * *

من مثلها ؟

مَنْ مِثْلُها فى رِقَّةٍ ؟ مَنْ مِثْلُها ... فى عِفَّةٍ ؟ سَلِمَتْ وزَانَتْ كُلُّها
دَعْ عَنْكَ حُسْنَ شِيَاتِها وسِمَاتِها ... فالرَّوْضُ والكَرْمُ المُهَدَّلُ ظِلُّها
والزَّهْرُ والضَّوْءُ المُقطَّرُ والصِّبا ... رَوْضٌ سَقَاهُ مِن المليحة طَلُّهَا
قَالوا تُحِبُّ جَمَالَهَا فأَجَبْتُهمْ ... بَهرا وجَعْفَرها الظَّرِيفُ وأَهْلُها
هِيَ كالْكُرُومِ حَلَاوَةً ونَشَاوَةً ... عَذْبُ تجَنِّيها ، حَبِيبٌ دَلُّها
لَهَبُ الجَبَاءِ يُزِينُها إِيمَاؤُها ... وعَلى الحَيَاءِ أُحِبُّها وأُجِلُّها
ويُلِذُّنى فِيها حَنَانٌ ضَاحِكٌ ... فَكَأَنَّ سُؤْلِي فى حَيَاتِي سُؤْلُها
ضَنَّتْ على الدُّنيا وما ضَنَّتْ على ... صَبٍّ يُنَازِعُه عَلَيها بُخْلُها
أَنَا مَنْ أَراحَ هَوىً وَطُمْئِنَ قلبُه ... ومَضَى لِعُقْدَةِ أَصْغَريه يَحِلُّها
فإِذَا وَهبْتُ لَها الحَياةَ فإِنَّها ... أَدْنَى أَمانِى مُهْجَتِى وأَقَلُّها
قُولوا لَها إِنِّى الوَفِيُّ لِعَهْدِها ... فَهِيَ العَزِيزَةُ فَوْقَ رأسى نَعْلُها
وهِيَ الَّتِى من أَجْل قُرَّةِ عَيْنِها ... قَد يَسْتَوِي صَعْبُ الحَيَاة وسَهْلُها
مِصْر « بِهَا » وَطَنِي وفى أَنْسَامِها ... دَارُ الهُدى ورُبَى العَقيقِ ونَخْلُها
وهَوَا « قُباء » وماؤُها وثِمَارُها ... « فأُريسُ » طَيْبَةَ فى الكِنَانة نِيلُها
قُولوا لأُمَّتِنَا المُمَزَّقِ شَمْلُها ... بِالحُبِّ لَيس سِوَاه يُجْمَع شَمْلُها

اعتذار

سَهَوْتُ . . . . . فنَسِيت نَاسًا عُرِفت بِهِمْ . . . . . هَلْ يَجُوزُ

شَغِلْتُ بِها فَلم تَسْأَلْ عَلَيْنـا وَوقْتُ الشُّغْلِ مَعْلُومٌ وَجِيزُ

فقُلْتُ ظَلَمْتُموها وهى مِنْكمْ فإن الحبَّ مَعْنًى عَزِيـزُ

ولَوْلاكُمْ لَما صَبرتْ عَلَيْنا وإلَّا فَكَيْفَ يَنْهَضِمُ العَجُوزُ

يُضَايِقُهـا بِتَخْرِيفٍ سَخِيفٍ وأَوْرَاقٍ لَهـا أَبَـدًا أَزِيزُ

تَأَبَّتْ فَهِيَ تَرْفُضُ كلَّ شَيْءٍ وما أَنا مُسْتَغِلٌّ أَوْ نَهِيـزْ

ومِنْ أَخْلَاقِها الغَرَّاءِ تَبْـدو تَمـائِمُهـا الحَصِينَة والحُرُوز

* * *



قصة العمر الضائع

مهداة إلى الشباب اللامع

يا حُلُماً مرَّ على خَاطِرِي وكنتُ في واقعِه أحلم
تَذوب فيَّ أطيافُهُ حسرةً محمومةً تكظمُ : ما تكظم
تذكرتُ عهداً شذيَّ الرُّؤي تحرسُه الأقمارُ والأنجم
كأنما شَقْشَقَ أنداءه . . . من المُنَى النسمةُ والبرعم
واستعبرتْ فيه النهى فرحةً وَشَى بها في الوجنةِ العندمُ
وأشرقتْ دنيا الهوى غضةً تحتارُ : هل تنهلُ : أو تلثم
آمالها أرحُب مِنْ رَحْبِهَا وكأسُها مِنْ « دَنِّها » أفعمُ
العينُ ما أبصر إنسانُها « دنيا » على غرةٍ تبسم
وحالياتٍ سَمْحة المجتنى مذاقُها حلوٌ : ويدرِي الفَمُ
ومرتِ الذكري أسىً طاويًا على الشجا من دونِهِ العلقم
سوانحا نضّت غلالاتها عنه فلا جيدٌ ولا معصم
مِنْ كلِّ حوراءَ على وصلها أراقَ خيرَ العمر لو يعلمُ

فإن بكَى الأيامَ فى حسرةٍ فقد أدارتْ وجْهَها تلطُم

أيامَ ناداهُ ضميـرُ الهـدي أنْ : قَدْكَ : فالأيامُ لا ترحم

وما وَنَى عن عتبِــه والنهَى غافٍ : ألا تصحُو : ألا تنـدمُ

لكنـه الغارقُ فى لجـــةٍ ألقَى بها فى مـدِّه العيلم

لكنـه السـادرُ ما يرعوِي وقد أفاق النـومُ والنُّوَّمُ

واليـوم إذ جالتْ بآفاقِـه دُموعُـهُ والعـــودُ مستعجم

أنحى على الذروةِ والغـاربِ غيبٌ تصـاريفُه تزحم

فصاحت العينُ وقد صُـوِّحَتْ أهدابُهـا : هل فيَّ ما يلهم

قد يجذب القلب ويذوي النهى والروح لا تبلى ولا تهـرم

فخذ من الماضى وأبعـــاده عِبْرَةً والمنتــأى أسلم

كم عبرة هزت كيان الذري تَنْقُضُ فى الأهـوال ما يُبرمُ

فإن تَكُنْها عظـــةً للأُلى تَلوْكَ : فالذكرى هى المغنم

فكلهمْ والعمــرُ فى صحوه يحيـن بالعمـرِ كما يرسمُ

فالخطـةُ المُثْلَى هى الملتقى وأنهــا المنهـجُ والمعـلم

يختــارُهَا يعـرف أمــداءَها كما يراها الفارسُ المعـلم

يجـولُ بالرأيِ الصُّراح الذي يبـرحُ لا يخفَى ولا يكتمُ

ويمـلأُ النفسَ فلا منفـذ إلا على أَهدافـه يقحمُ

يُوقِّتُ المرمَى بميقـاتِه وكيف ينبو : هادفٌ : محكمُ

فلا تُبيحُ النفسُ أهـواءَها إلا هوى عن غيرِهِ يَبْكُمُ

وفي ضلالِ السعي فى جهـله يضيعُ هذا العمرُ أو يعدم

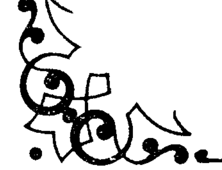
وإنه الجهلُ دليـلُ الردى ومعـولُ الهدمِ الذي يحطم

وثائرُ العـزمةِ مـوارُها . . . . يسعى له المجلوُّ والمبهـم

فقد تخطَّى الهـولَ لا راغما فما يروض الهول من يرغم

وعالج الناس على ما بهـم لأنه بالمبتـغى أعـلم

* * *





إليها حُنُواً من أَحاديث نفسها   تصيــدته منها بوحى خواطري

حديث معان زاحم الجــد سرها   ورب صراع من وراء الضمائر

وفى ومض عينيها تـأَلق خافق   يداري جراحاً هجعاً فى السرائر

تهدهده بالأَمنيـــات حبيسة   لتنطق لكن فى جوانح شاعر

فيا أَنت يا نَفْحاءَ كلّ هنيهة   كآمال حب فى مواكب هاجر

تحريت فيه الفجر أَرقب ضَوْءَهُ   وأَخشاه والأَقدار رهن المصائر

* * *





أتحلاك

أَتَحَلَّاكِ فى الأَهِلَّةِ تَنْسَابُ ضِيَاءً بِنُور عَيْنِك يَرْنُــــو

أتحلاك فى الخَمِيلِ وفى الرَّوْضِ على نَفْسِه يَرِقُّ وَيَحْنُــو

أتحلاك فى الأَصِيل الذي وَدَّعَ شَمْسَ الضُّحى حَزِينًا يَئِــنُّ

أتحلاك فى المــآقِى التى يَزْحَم إشْرَاقَها حَيــاءٌ وفَــــن

أتحلاك فى النَّسَائِم أَنْـدَاءً لِطَـافًا رَفِيفُهــا مِنْك لَحْـن

أتحلاك فى المَعَانى الَّتى تَنْبِض بالحُبِّ سَخَاءَ حَنَانُه لَا يضِن

أتحلاك فى المُنَى باسِمَاتٍ فى ثُغُور الأَقَاح والغُصْنُ لدن

أتحلاك فى الرُّبَى تُسْكِر النَّشْوة فِيها ويَبْهَجُ العَيْنَ حســن

أتحلاك فى الكُؤُوسِ التى شَعْشع أَقْدَاحَها هَوًى مُسْتكِــــن

نَوَّرَتْ بالحُبَابِ كالعَسْجَد الصَّافِى على وَقْدِها يُغَمغِم دَنُّ

أتحلاك فى الدُّجى لَفَّه الصَّمْتُ وقد حَرَّك المَواجِـعَ بَيْنُ

أتحلاك تَصْدَحِين كَما يَصْدَح فى الفَجْر هَزَارٌ إلى الأَلِيفِ يحن

أتحلاك تَخْطُرين على الشَّطِّ وقد أَثْقَل الخُطَى مِنْك وَهْــن

رجَفَتْ بالخيال أَطْيافُك البِيضُ وحُسْنُ الخَيَال وهْمٌ وظَن

والهوى ثَائِرٌ يَعِيش على الشَّك ولا يَخْلُد الهَوي المُطَمَئِــن

أنتِ يا جوهَرَ الحَياةِ صَفَاءٌ سَكِرَتْ من لماه عَيْنٌ وأُذْن

ورَحِيقُ الجَمَال فِيكِ « حُمَيَّا » أَشْعَلَتْ خمْرَها المُعَتَّق عَين

من معانٍ كَرِيمةٍ وسِمَاتٍ : كُلُّها فَرْحَةٌ وبِشْرٌ ويُمْن

وجَمالٌ فى النَّفْس والقَلْب والرَّوْح أَصِيل سَقَاه بالحُبِّ مُزن

فَسَلِينى عن النَّوى وَسَلِينى عَنْك فى ظِلِّه يُحَدِّثْك جَفْنُ

قرَّحَتْ لَيْلَه الهُمومُ وشَابَتْ أَدمعٌ فيه ... ما تَأَلَّقَ سِنٌّ

هِزَّةٌ بَعْدَ هِزَّةٍ وعِرَاكٌ وَطُيوفٌ تَنْأَي حِينًا وآخر تَدْنُو

وأَنا الحائِرُ المُعذَّبُ لَا يشْكو ، وَصَمْتُ الهَوَى أَسارٌ وَسِجْن

كُنْتُ فى أَرْبُعِ الحجازِ غَرِيبًا فَالْهوى مَوْطِنٌ وعِشٌّ وكِن

والهوى إِنْ تغَيَّب بالنفس والحِسِّ حَياةٌ فالقَلْبُ دِفْءٌ ورُكْن

والهوى مِعْزِفٌ يُغَرِّد للكوْن فَيزْهُو بالحُبِّ عَيْشٌ وَكَوْن

وأَنَا اليوم بَعْد أَنْ سَمَح الدهرُ بِلُقْيَاك ما أَزال أَحِن

فاشهَدِي يا سَمَاءُ أَنَّ حَيَاتى فى يَدٍ كُلُّهـا سَلَام وأَمْن

أَنْتِ علَّمْتِنِى الوفاءَ الذي طَرَّز أَرْدَانه عَفَافٌ وَصَوْن

فَلْتقُولي إذا دَعُونِى إِلَيْهِم مَا لَه عِنْدنا سَمَاحٌ وإِذْن

إِنَّنا هَا هُنا نعيش عَلى الغُرْبَة زَادًا ... فَكَيْفَ يُطْلَب ظَعْن

* * *

واختلفنا

قُلْتُ هَيَّا قد احْتَوانا الأَصِيلُ إنَّه الـذِّكْرَياتُ والتَّأْمِيـلُ

إنَّ مَعْنى الوجُودِ بُقْيا من الحُسْن وهَذِي الحياةُ لَفْظ جَمِيل

كَمْ مَغانٍ مَشَتْ عَليها اللَّيالى فاضْمَحَلَّتْ والبَاقِياتُ الطُّلُول

وجَمالٍ حَسِبْته أَلَق الفَجْر مَحَاه لَيْل عَرِيض طـوِيـل

وتَبـقَّى خيـالُه فى مَعَـان ذَابِـلات كأَنَّهُـن الفتيـل

والضُّحى غَاله من الصَّمْت ما غَال ضَحايَاه : قَاتِل وقَتِيـل

رَقَدُوا فى الثَّرى وما رَقَدَتْ ذِكْرى على مِثْلِها يَلُوب الأَصيل

* * *

أَنا مَنْ يَعشَق الأَصيلَ : فَضُولٌ رَاسِخ فى هَواه يَحْلو الفُضُول

أَنا مَنْ يعشَق الخُلود ويَسْتَروحُ أَمْجادَه الـتى لَا تَـدُول

كَم عَشِقْنا الغناءَ لا يَرْمز إلَّا لِبَقاءٍ والذِّكْرَيَاتُ الرَّسُـول

انظري الحسن فى الاصيل نضاراً بَهَرتْـهُ شفائف وخميل

وانظريه على الشعاف أَكاليلَ سنـاها ماضٍ عريقٌ أَثيل

وانْظُرِيه على الوُرُودِ النَّدِيَّات عَبِيــرًا يَمُــوج فيه الخَمِيل

وانْظُرِيه مَع النَّسائِم أَلْحَانًا عِذَابًا كأَنَّهـــا التَّقْبِيـــل

والْمَحِيه على الضِّفَاف طُيُوفًا حَائِراتٍ أَنْفَاسُهُن الهَدِيــل

والصَّبايَا تَدَافعتْ تَسْبِق المَوْجَ وقَدْ شَفَّها جَوًى ونُحُــول

لا تُراعى من الأَصِيل فَمَا يَلْقِف هَمْس الجِيَادِ إلَّا الأَصيل

وهُنَا لَفَّها الضَّبابُ الذي أَثْقَل أَجْواءَهُ أَسًى وعَــوِيـــل

وتَمَطَّى الدُّجى الغُدافيُّ لا يَلْمَع فى جَوِّه الحُسَامُ الصَّقِيــل

واسْتَدَار الحديثُ تَحْسَبُهُ النَّعْيَ وقالت هَذا الأَصِيل : أُفُول

تَدْلِفُ الشمسُ للغُرُوب كما تدْلِف هَذِي الحَيَاةُ حِينَ تَزُول

خَيْرُ جَدْوَاه لَوْعَةٌ واصْفِرَار وبعَادٌ يَطُــول فِيــه الرَّحِيــل

أَنَا أَهْوِي الشُّرُوق تَسطع دُنْياه ويَسْتَقْبِل النَّزِيــلَ النَّزِيــل

أَنَا أَهْوى فى دِفْئه الأَملَ الرَّحْب ، قُلوبٌ « تَهْفُو لَه وعُقُول »

إِنَّه الصَّحْوُ للطَّبِيعَة والحُبٌّ على ظِلِّه يَطِيــبُ المَقِيـــل

لا تَلُمْنِي فإِنَّ نَبْعَ حَيَاتِي فِي شُروقٍ كأَنَّــه السَّلْسَبِيــل

وقْدَةٌ في الحياة أنفاسُها الحَرَّى على سِرِّهَا يَخِفُّ الثَّقِيـل

وجَنَاها المَوارُ في الحبَبِ الوَاقِدِ تُرْقَى بِه ويُشْفَى العَلِيـل

كَيْف تَسْتبدل الْمَوْلَيّ بالوَافِـد تَزْهـو فُروعُـه والأُصول

كيف تَسْتَبْدِلُ الرَّجَاءَ بِيَأْس غَارِقٍ في ظَلَامِـه المَأْمُـول

واخْتَلَفْنَا ومَا اختلفنا ولَكِنْ في اضْطِرابِ المُنَى تَروعُ الشُّكُول

فالحُميَّا على الكُؤوسِ شُرُوقٌ وغُروبٌ على الثُّغورِ يَسِيـل

إنَّها غُرْبَةٌ على البُعْد والقُرْبَى وزَادُ الحَياةِ فِيهـا قلِيـل

فالْغُروبُ الذي يَرُوعُ شُرُوقٌ والشُّروق الذي يَرُوق أُفُـول

جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلةٍ وعِرَاكٌ سَوْف يَطْوِيه عَالَمٌ مَجْهُـول

نَفْثَةٌ ضلَّ سَعْيُها وحُروفٌ تَتَلَوَّى أَقْولهـا : وتَقُـول

وانْتَحيْنا نُلَمْلِمُ الأَمَل الشَّـارِدَ مَسْحُـوبة عَلَيْه الذُّيُـول

وَبَكَيْنا على الضَّياع على المَعْقول يَطْغى عَليه : لا مَعْقُول

واسْتَرحْنا إلى الغَدِير نُعاني ما تُعَانِيه « شمألٌ » و « قَبول »

وشَرِبْنا هُمومَنَا مِثْل ما يَشْربُ صَب دُمُوعَهُ فيَعُـول

وسَكَبْنا الحَيَاةَ أَغْلى صَبَابَات نُهانَا : هل كَفَّ قَالٌ وَقِيـل

ورَجعْنا إلى الوَرَاءِ وقَدْ يُحْمَد عِنْد السُّري المُمِضّ قُفُــول

وأَدرْنَا أَبْصَارَنا فى الذي كان فَرَاعَ الأَبْصارَ هَذَا المُحُول

والتَفَتْنَا لِثَائِرٍ طَالَما خَضْخض أَحْشَاءَه دَمٌ مَطْلُـــــول

وعَبَبْنَا مِنَ السُّلافِ الذي أَشْعَل جَمْرَ الغَضَى فَضَاق السَّبِيل

وانْتَشيْنا لَعلَّها صَحْوَةُ العُمْر فَخِلْنا الرُّؤُوس مِنَّا تَمِيـــل

ولجأْنا لِلسَّلم نَسْتَلهِم العَوْنَ فَهُنَّـــا وعَزَّ فِينَـــا الدَّخِيـــل

وأخِيرًا لقدْ تساوى لدَيْنا فى الأَمانى شُرُوقها والأَصيـــل

* * *

الهوى الأول

فى سن الرابعة عشر

قَلَّدْتُ جِيدَكِ يا بدورُ لآلئـًا ... من نَظْمِيَ الغَالى رَجَاءَ رِضَـاك

قالوا إِذنْ ذابتْ بُدورُ حشَاشَـة ... لمَّا رأُوا فيها لَهِيبَ فتـاك

هذا النَّحُول كما تَرين رَضِيتُه ... وأَلِفْتُه لِيَكُون رَمْزَ هَـواك

هِمْنا وهَاموا والغَرامُ مذَاهِـب ... ولِمَذْهبي فى الحُبِّ طِيبُ لِقَاك

أَبدُورُ إنْجُزْتِ الفَضَاءَ وسِحتِ فِي ... أَوْجِ السَّعادَةِ فاذْكُرِي مُضْنَاك

أَوْ جُلْتِ فى أَرْضِ العِرَاق فَذَكِّري ... قَمَرًا هُنَاك بِحُسْنِـه حَاكَـاك

وصِفِي له مُضْنى الغَرَامِ ورَدِّدِي ... رُحْماكِ عاطِفَةَ الهَوى رُحْمـاك

* * *

دنا الرَّحِيلُ فَهَاج القلب واضْطرَما ... وصيِّبُ الدَّمْع من جِفْنى القَرِيح هَمِى

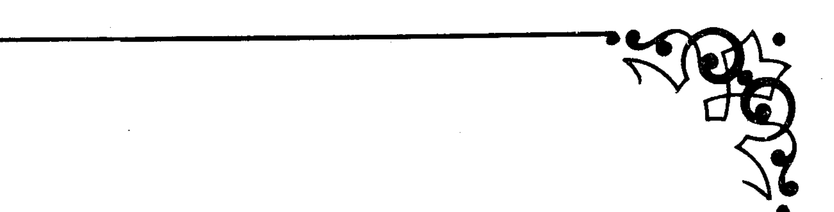
وأَرَّقَ البين حبا كنْت آلفُـه ... وكان يأْلَفُنى إلْف الذي غَرِمَا

قضيت بِضع شُهُور فى الوِصَال وَمَا ... غيْر الهَنَا ومُحَيًّا دائما بَسَمـا

ملَّكته النفس فانْقَادَت وآنَسَها ... طبْع رَقِيق وحُب فى الفُؤَادِ نمَا

يومُ سـوءٍ ولَيـلةٌ نكْـراءُ ... آلمَانى وكلُّ خَطْبٍ بَـلاءُ

* * *



عتب

قالَت وقَدغَضِبَتْ من قَوْلَةٍ بَدَرَتْ ... مِنِّى سأَقْطعُ عنك الرَّدَّ إنْ تَعُد

وقُلْتُ يا لَيْته ضَرْبٌ فَيُسْعِدنى ... أَوْ عَضَّةٌ فى لِسانى مِنْك بِالبَرد

إذَنْ لَكَرَّرت هذا الذَّنْبَ مُلْتَمِسا ... حُلْوَ العِقَاب الذي يَشْفِى مِنَ الكَمَد

يامَنْ* بعثْتِ بإنْذارٍ حَكَى سَلَفًا ... انْذَارَ (روسيا) إلىالمُسْتَعْمِرالحَرِد

وما اخْتَلَلْتِ رُبَى لِبْنان فى سفه ... ولا اعْتَديْت على (الأُردن) فِى لَدَد

وما غَضِبْتِ من الشَّعْب الذي انْتَفَضَتْ عُروقُه ثوْرة فى الرُّوح والجَسَد

شعْبُ العِراقِالذي اعتزَّت بِهمُضَرٌ ... فأَنْقَذ الحَقَّ قَسرا مِنْ فم الأَسَد

أَمْضُوه عن موْكِبالدنياوماعَلِمُوا ... أن الدُّنَا دُوَلٌ واليوْمُ غيْرُ غد

وأن لِلشَّعب حَقا سَوْفَ يُدْرِكه ... عَمَّا قَرِيب بِمَا فِى الطَّوْقِمِنْجَلَد

هم حاربوا اللهَ والأَخلاق فى بلد ... وحاربو الفضلَ عن حقدوعن حسد

وحالفوا الطغمةَ الأَشرار فانحدروا ... إلى مخاطر أَضْحَتْ عقدَة العُقد

فيَا أعزَّ المنى رفقاً بعاطفــةٍ ... شَدَتْ بحبك شدوَ الطائرِ الغرد

سلى الدُّجىٰ عن تباريح يشاطرنى | فى حملها وجْدي كالجمْرِ متقد
سلى النجوم فكم ناجيتها فرنت | تحنو على كوكب فى الأَرض منفرد
بَثَثْتُ شكواي من جور الزمان لها | وليس من طبعي الشكوي إلى أحد
وهاك أنفاسَ حبٍ خانه جلدٌ | فلاطفى مهجتى واستعطفى خلدي
ما عدتُ اهتفُ فى الدنيا وَبهْجتها | إلا باسماكِ يا روحى ويا كبدي

– ٢ –

وبِاسْم بِلاد العُرْب تَرْعى زَمَانَها | إذا احْلَوْلَكَتْ دُكْنُ اللَّيالى وسُودُها
ويومَ البريمِى أيَّ يَوْمَ تَجَمَّعَت | له العُرْبُ مُذْ رِيعَت حُدُودُها
ودَوَّى احْتِجَاجٌ دُونَه السُّمْروالقَنَا | حُقُوقُ العُلا مَضْمُونَةٌ أَوْ لُحُودُها
وما بَحَث العَادُون إلا لِحَتْفِهم | بِنَارٍ هُمُ رغْم العَوَادِي وَقُودُها
لَقَدْ عَبَثُوا بِالحق والعُرْفِ والحِجَى | فَباءُوا بِها نَكْرَاءَ نَتْنًا صَدِيدُها
ولَكِنَّها البَتْرَاءُ تَفْتِك فِيهـم | هِى البِكْر والعَادُون حَتْمًا حَصِيدُها
وفى طَيِّها تَطْوي يَهُودَ وَعَوْنَهَا | وما دَاءُ قَلْبِ العُرْبِ إلَّا يَهُودُها

* * *



رسالة

حَمَلَ البريدُ رِسَا لَةَ الأَمَلِ الحَبِيب

أَلَقُ الضُّحَى المُنْسا بِ فى الأُفُقِ الرَّحِيب

ونَسَائِمُ الفَجْر العَلِيل نَوَاضِحًا بِشَذًا وَطِيب

تَسْري إلى الأَعْماقِ مَسْرى الروح فى اللَّحْنِ الطَّرُوب

بالفِتْنَة الكُبْرى تَضِجُّ مِنَ الشُّرُوق إلى الغُرُوب

لَيْلى لَمَحْتُكِ فى الرِّسا له لَمْحَةَ الطَّيفِ الوَثُوب

تَتَخطَّرِين وتَنْثَنِين تَخَطُّرَ الرَّشَإِ اللَّعُوب

وتُجَرِّحِين العُودَ تَجْرِ يحًا على وَتَرِ القُلُوب

عَزْفًا يُثِير الشَّدْوُ آهاتٍ بِلَحْنِ العَنْدَلِيب

لَيْلى وأَنْتِ الذِّكْرياتُ يَثُرْن فِى وَهَج اللَّهِيب

أَملٌ تَأَلَّق فى الحَيَا ةِ وكانَ سِرًّا فى الغُيُوب

وهَوًى تَرقْرَق من هَواكِ وعَطْفِك الحَانى الرَّتِيب

لَيـلى دعَوْتُك والهوى الدَّعَّاءُ يَعْذُب بالمُجِيب

قد كُنْتِ سَارِقَة القُلـو ب ولَسْتِ سَارِقَة الجُيُوب

أَسْعَدْتِ بالرُّحْمى فَتَـا كِ بأَمْسِهِ الحُلْو القَرِيب

أَرْوَيْتِه أَوْرَيْتِـه أَنْعَشْـتِ بالأَمَـل الرَّغيـب

شُهْدًا يُذِيبُ ولا يَذُوب بِثَغْـرِك العَذْب الشَّنيب

ولَكَمْ أَعدْتِ له الحَيَـاةَ وكان كَالرَّوْضِ الجَدِيب

ومَحَوْتِ آيةَ لَيْـلِهِ فى الشَّـام بِالفَجْر الرَّطِيب

قَدْ كان ذَا الرَّأي الصَّلِيب فَعَـاد يَهْتِف لِلصَّلِيب[1]

هذا النَّوى القَاسِى اسْتَطَال فَهَلْ سَيَجْنَحُ للمَغِيب

هَذِي تَحِيَّـات القَرِيبِ وإِلْفـه الصَّبُّ القَرِيب

شَـطَّ المَـزَارُ بهِ وَبِى فَصَوى النَّسِيب إلى النَّسِيب

لَيْـلاي تَكْـريما وتَقْـدِيرا كَحُبِّك للحَبِـيب

حبٌّ يَطِيب بِمِثْـله أَمَـلُ النَّجِيبَة للنَّجِيب

• • •

(١) الشديد .

فى القطـــــار

تَجلَّبْتِ إشْعَاعاً من السحر جَائِلا مَجَال مَرامِى الطَّرْف يَنْفُذُها نَفْذا

تَحكَّمْت فِينا تَفْتِنِين فَلا نُهى تَفِر ولا قلبٌ بِمَا أَخَذُوا أَخْذا

سَحَرْتِ وكان السِّحْرَ إِدْمَانُ سَاحِرٍ يَرَى فى هَوَاه أَن يَلذَّ وَيَلْتَذا

وأَحْلَى الذي أَبْصَرْتَ من فِتْنَةِ المَها نَشَاوَى بِأَكْباد يَفلِذْنها فَلْذا

يَلُكْنَ لُبَانَاتِ الهَوَي وهى أَنْفُس يَدُرْن بِها شُهْدًا وَيَنْبِذْنها نَبْذا

عَجِبْتُ لَها بِنْتُ الرُّصَافَة حَثْحثَتْ خُطَاهَا إِلى مصر تَغُذُّ الهوى غَذّا

تَنُورتُهَا بِين القِطَار فَرقْرَقَت قِطَار السُّرى قَطْرًا يَرُذُّ بِنَا رَذّا

وزَادَتْ فَجَال الكَفُّ رخصا مُعَنَّمَا يُعَابِثُ بَدْرًا قَدْ مَحَا البَدْر أَوبَذّا

ولمَّا تَثَنَّتْ بِالقِــوام وزَحْزَحَت عَبَاءَة حُسْن لَمْ يَزَل حُسْنُها فَذّا

ذَكَرنَا رعابِيبَ الحِمَى وَجَمَالَهَا وعُفْنَ القَذَى المصْنُوع فى الصُّور الأَقْذى

فَمنْ ذَا الذى لاَ يشْتَهِى طُول رِحْلة بِأَفْيَائِها نُرْوَى ، بِنَعْمَائِها نُغْذَى

* * *

صباح

أَلَقٌ تَنفَّس بالشَّذى وتَنَهَّدَتْ ... آهاتُه فإذا القُلوبُ جِرَاح

وعلى الطَّبيعة من طَبيعة حُسْنِها ... دُرَرٌ تَوهَّج فَوقَهُنَّ وِشَاح

شَفَق تُعانِقُه الخَمَائِلُ والذُّرَى ... فَعلَى الحَوَاشِي الخُضْر منه بِطَاح

ومِنَ المَشَارِف أَشْرفَتْ تلعَاتُه ... ومَهًا تُسَارِق راحَهُنَّ الرَّاح

سَبَق النَّسائِم عِطْرُهُنَّ فصفَّقَتْ ... أَنْفَاسُها وتَلَاقَت الأَرْوَاح

وتنَسَّم الأُفُق الطَّروب كأَنَّه ... مَجْدُ السَّمَاءِ ولحْنُها الصَّدَّاح

وتَهَامَسَتْ حورُ الجِنَان فَمَا وَشَى ... إِلَّا السَّنا وَعبِيرُها الفَوَّاح

وتَرَاقَصَتْ عَبْر الهَزِيج يَؤُودُها ... طُول الحَنين كَمَا يَرِف جَنَاح

وإِنْسَابَ فى الظُّلَلِ الفِسَاح كأَنَّه ... دِفْءِ الحَيَاةِ تشيعُه الأَفْراح

وتَلأْلأَت « لَاءاتُها » وَتَشدَّدَتْ ... فَتَرنَّح النَّدْمانُ والأَقْداح

هَذا الهَدِيل أَهَاج ورْقَاءَ الحِمَى ... فَإِذا بِأَسْرَارِ الغَرَام تُبَاح

والورْدُ غَيَّره الشَّذَى فسخَى بِهِ ... وعَلَى الغُصُون تَحَيَّر التُّفَّاح

ولَقدْ صَحَوْتُ عَلى الحَياةِ وَعُرْسِها ... وسَأَلْتُ ما الدُّنْيا فَقِيل «صَبَاح »

* * *



وقالت

تَحَدَّثْ عن الآمَالِ سَكْرى حَوَالِما	يَفِيضُ بِها حِبٌّ مُعَنًّى إلى صَب
وقُلْها كَما شَاءَ الغَرَامُ طَلِيقَــــةً	فإنَّ حَدِيثَ الحُبِّ أَحلَى من الحُبِّ
أَجَلْ قُلْتُها يا مُنْيَةَ النَّفْسِ حُرَّةً	تَنَاقَلَهَا هُدْبٌ ظَلِيلٌ إلى هُدْب
تَبَيَّنْت فِيهَا حَيرَةً ما عَهِـدْتُها	ورَعْشَةُ قَلْب لَا تَبِين ولا « تبي »
تَمثَّلْتُ يومًا مَا تمثلتُ غَيْـرَه	غَدَاةَ الْتَقَيْنَا مَوْعِد الغَيْبِ فى الغَيْب

* * *



إليهــا.. على صورتهــا

إنَّهــا تِلْكَ التي أعْرِفُهــا   والَّتِي يَعْرِفُ قَلْبِي رَسْمَها

في الحَنَايَا مِن ضُلُوعي هَجَعتْ   صَحْوُها . . يُشْبِه عِنْدي نَوْمُها

خاطَبَتْها العَيْنُ في صُــورَتِها   ثم حَيَّتْها . . وَسَمَّت باسْمِها

وتَنبَّهْتُ لِنَفْــسي « نَبْهَــة »   فإذَا الصُّــورة تَجْلو غَيْمَها

وتُنَــادِيني على عَادَتِهــا   هَاكَها (خُذْها) تَذَوَّقْ طَعْمَها

هَــذه القَهْوَةُ من هَيــأهَا   هذه الرَّشْفَــةُ مِنْ قَدَّمَهــا

آه يا قَلْبِي فَمَا أقْسى النَّوى   لَسْت أعْنِيها . . فَمَا أرْحَمُــها

قُلْتُ والرسم أَمامِي مَاثِــلٌ   عَيْنُها . . بَلْ سِنُّها . . بَلْ فَمُهَا

وعَلَيْها الشَّــالُ قَدْ ظَلَّلَــها   مِثْل ظِلِّ الضَّوْءِ مِن تَحْتِ المَهَا

سامَرَتِني بَيْن أَحْضَــان الدُّجَى   ونُجُوم اللَّيْل تَرْعى نَجْمَــها

رَفَع الرَّسْم يَدًا تُزْجِي بِهــا   مِنْ تَحايَاهَا . . وأُخْرَى ضَمَّها

سَلِمَت تِلْك وهَذِي فِي الهَنَا   ورَعَاهَا ولَنَــــا سَلَّمَها

وتمثَّلْتُ كأَنِّى عِنْـــدَهَا وقْفَـــة الباب وما أَنْعَمَها

جمــع اللهُ بشمــلى شمــلَها واهبًـــا من بلسمى بلسمها

وحبــانا منيــةً أَغلى المُنى فى حياتينـــا أَجل أَكرمها

ورعى اللهُ أَباهــا وأَبى ورعاها صنـــــو أُمى أُمها

وابتســامُ الفجرِ ما زال لنا فرحــة الأَيام بل مبسمها

* * *

أنا والشيشة

إنِّى اشْتَعَلْتُ . . . وَشِيشَتى   يا حُلْوَتِى . . . لَمْ تَشْتَعِلْ

غارَتْ فَقَرْقَع صَوْتُها   مُذْ رَاعَهَا رَجْعُ القُبَل

قالَتْ نَعِمْتُم باشْتِعَا   لكمو فَمُتٌّ على مَهَل

يَا لَيْت لِى ثَغْرًا وَلَيت الد   ه أَوْجَد لى مُقَلْ

فَأَغِيظُ ضَرَّاتي الحِسَانَ   ولا أُبَالِى . . . بالخَجَلْ

* * *



حب وأشواق

أنَا بِالجِسْم فِيكِ يا مصرُ حيْرَا نُ . . وقَلبِى مُعَلَّقٌ بِدِمَشْــق

لا جَفَاءَ . . ولا قِلىً لَكِ يا مِصـ ـر . . فأَنْتِ الدُّنْيا رَحَابَةَ أُفْق

المُنَى كُلُّها كَمَا تَشْتهِى النَّفْـ ـس عَلى رُحْبِهَا مَجَالاتُ سَبْق

والحياةَ . . الحياة . . خَضْخَضها النِّيـ ـل رُوَاءاً للحَفِّ مِن كُلِّ ذَوْق

غير أن الشَّآمَ مِيــلادُ أَحْــلا مى حَبِيب فيها أَسَارِي ورِقِّى

ذِكْرَياتي بِها حَنِينٌ . . وآمَا لِى على بُعْدِها ضِرامٌ لِشَـوْقى

بَرَدَى . . نَبْعُها سَقَانِى وَرَوَّا نِى ومَا زَال بِى يُرَوِّى ويَسْقِى

حَالِيَ النَّبْت زَاهِي الحُسْـ ـن سَخِيًّا بِالحُب يَهْنِى ويُشْقى

أنَا مِنْ طَيْبَةَ وحَسْبُــكِ مِنِّى لَذَّةً نَزْعَــةُ الهَوَى لِدَمَشْق

المُنَى النَّاضِر المُشَعْشِــعُ والمُشْـ ـبُّ صغري والعِرْقُ أَطْيَب عِرق

وَا لِفُؤادِي مُصحِبَــات الفُرَادى وامِضَات ومَضَ السَّنا خَلْفَ بَرْق

بَاسِمَاتٌ كالفَجْر فى صَحْوة الفَجْـ ـر على لحْنِ عِنْدلَيْبٍ وَوُرْق

والمَعانى ذَوْب المباني تُعَاطِيـ لك سُلافًا مِنْ دَافِق السِّحْر طَلْق

أنا مِنْ سِحْرِها على سَحَرِ المجْـ ـدِ على صَدْرِه شَمَخْتُ بِرَوْقِى

ضَمَّخَتْ أَرضَها طُيُوبُ النُّبُوَّا تِ فأَنَّى حَلَلْت أَشْذَاءَ عَبْق

عَرْبَدَ المَجْدُ فى مَرابِعِها الخُضْـ ـر عَلى صَهْوَتَيْن بُلْقٍ وَزُرْق

ثُمَّ أَبرَّتْ اخْلَافَها البِيض سَخا ءً فَلا بَارِقَ عَلى غَيْـر وَدْقِ

وحلَّتْ صَفْحَة على الكَوْن غرا ءَ فِدَاءًا بِكْرًا وَصَـوْلَة حَقّ

قَدْ أَخذتَ الحياةَ والأُفْقُ مُرْبَـ ـدٌّ قُتَامُ ما بَيْن رَعْـدٍ وَبَرْق

لا بِمَالٍ نَشرتُه . . إنَّـه طـا غٍ رخيصٌ مَا لَمْ يُدَعَّم بِخُلق

• • •

فَلْتَقُولي للنَّاس . . بَلْ فَلْتَعُودي ثَوْرَة العُرْبِ أَنْتِ أَحْرَى بِسَبْق

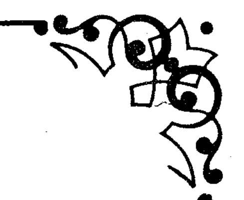
لَقِّنِيهم سِرَّ النَّجـاح . . فَمَا زا لوا لعَمْري على مَفَارِق طُرْق

فَالْتِآم الجِرَاح فى نَسَق الحُكْم على وَحْـدَة النِّظَـامِ الأَدَق

• • •

يا صَبا جِلِّـق فَدَيْتُـك رِفْقًا بِخَفَايا لَظىً ولَاهِبِ خَفْق

عُجْ على « النَّيْربين » مُنْعَطَفِ الـ وادِي وسَلِّمْ على الحَبِيب الأَرَق



إليها أيضا

إذا أنِسَتْ نفسى إليها وسَرَّنى ... حَديثُ هَوًى أَلْفَاظُه تَتَلعثَم

تَلمَّسْتُ قَلبِي وَهْو مِلْك يَمِينها ... فأَبْصَرْتُه فى قَلْبِها . . يَتَكَلَّم

وحدَّثَنِي قَبْل الحَدِيثِ مُعَبِّرٌ ... مِن اللَّحْظِ والدُّنيا حَوَالَيْه تَبْسُم

ومِنْ دُونه طَلْقُ المُحَيَّا مُشَعْشِع ... تُحِيط به فى دَارِة الشُّهْب أَنْجُم

فأَسْبَحُ فى نُورٍ من النَّور ساطِعُ ... يُطَرِّزُه وَشْيٌ بَهِيجٌ مُنَمْنَمُ

فَحَسْب المُنَى والفَن طلْعَة جُؤذرٍ ... وَحَسْبالهَوى والحُسْن جِيدٌومِعْصَم

يَقُولونلى .. قَدْ عُدْتَ للشَّعرٌ ثَانِيا ... كَما عَاد للرَّوضِ الهَزَارُ المُرَنِّم

فَقُلْتُلهم قداخْصبالقَلْبُ بالمُنَى ... وغَرَّدَ فى احْشائِه اليَوم مُلْهِمُ

ولا تنكروا سرَّ الغرامِ وسحره ... ولا تهزلوا فالحبّ والشعر توأم

وقلبَي إنْ عز الداوءُ لدائه ... يظلله أَحنى عطوفٍ وارحم

* * *



ثنائيات

إنَّها تِلك . . . وما أَجْملَهــا ذَوْبُ أَلْطَافِك أَوْ شِئْتِ فَذَوْبِى

فِى فَمِى يَلْحَظُها إِحْسَــاسُهُ حُلْوة الذِّكْرى على بُعْدٍ وَقُرب

إنَّها إِحْسَاسُك الغــالى . . . ومَا أَجْمَل الإِحْسَاس فى منح وسَلب

عَطَّرَتْ رُوحي . . . أَحْيَت أَمَلى أَسْكَرَتْنى بِاللَّمى . . . بِالضَّرَبِ

أَيْن مِنها الــرَّاح دَارَتْ سَحَراً من يَدِ الساقِى بِلَوْن الذَّهَــب

* * *

إن فى القُبْلة للحُبِّ غِــذَاءً وحَيَاةً وانْتِعَاشا . . . وبَقَــاءَ

(أَيُّ حَيٍّ عَاشَ أَهْــلوه ظِمَاء) أَيُّ غَرْسٍ ليس يَسْتَجْدي السَّماء

* * *





تعالى

تَعاليْ إلى جَنْبي : أَحدِّثْكِ سَاعةً — حَدِيثَ مُعَنًّى بالمَجاز كَئِيب

تُؤَرِّقُنى الذِّكرى إلى غير ذَاكِرٍ — بِلَوْعَةِ مُشْتاقٍ وحُزْنِ غَريب

وما ذَلَّ قَبلَ اليوم دَمْعى ولَم تَلِن — قَنَاتى لِخَطْبٍ فى الزَّمَان عَصِيب

تَعالىْ : أُصارِحْكِ الهَوى إنْ جَهِلْتِه — تُطالِعْك عَينِى بالأَسَى ونَحِيبِى

أَعُدُّ الليالى والليالى بَطِيئَــــةٌ — وما ذَنْبُها والذَّنْبُ ذنبُ حَبِيبى

ولاحَظَ أَصْحَابى سَقَامِى فَهَالَهم — وقَالوا طَبِيبٌ .. قُلْت أَيُّ طَبِيب

وقالوا : إِذَنْ شَوْق الشَّآم ومَنْ بِهَا — فقلْتُ أَجَلْ .. والظَّنُّ ظنٌّ مُصيب

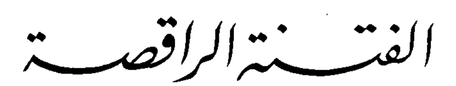
فَمَنْ لى بِوَادي النَّيْرَبَيْنِ ورَوْضِه — ومَنْ لى بِسِرٍّ فى الشَّآم عَجِيب

سأَغْدُوا إِليها بالفُؤَادِ وسِرِّه — وأَطْفِيءُ بالظَّلْمِ[1] البَرُودِ لَهِيبِى

إِذَا حَظِيَ السِّرُّ الدَّفِينُ بِسِـرِّه — وَوَيْحِيَ أَمَّا كان غَيْرُ مُجِيب

* * *

(١) الريق



الفتنة الراقصة

مِنْ قَبلْ عَشرٍ خَلَتْ قد كان يَأْسِرُنِي فِيها جَمَالٌ غَريب لَسْتُ أَدْرِيه

قد مَثَّلته رُسومٌ بَضَّةٌ نَطَقَتْ دَعَّاءَةً تَتَثَنَّى فى مَجَالِيه

تَأَلَّقَت وبشَاشَاتُ المُنى رُسُلٌ إلى القُلوب تُعَانِي ما تُعَانِيه

حَبِيسَةُ اللَّهْوِ لكن فَوْق طَاقَتِها وهْمٌ يُعَرْبِدُ خَافِيه وبَادِيه

وقلتُ تِلك ظِلَالٌ رُبَّما زَحفَتْ بِها خَيالَاتُ رسَّامٍ تُنَاجِيه

حتَّى الْتقى اللَّفظُ والمَعْنى على أَمَلٍ تَحقَّقَتْ فى مَجاليه مَرَامِيه

رأَيْتُها هِي لَا رسْما ولا شَبَحا ولا خِدَاعَ تَصَاوِيرٍ وتَمْوِيه

رأيتُها هِيَ جِسْماً صَاغَه أَلَقٌ والشَّمْس تَسْبح رُوحًا فى حَواشِيه

مَشَتْ على المَسْرح المَشْبوب دَانِيةً سَكْرى من الحُسْن أَوْنَشْوي من التِّيه

النَّوْرِ يَسْبح فى أَضْوائِها غَرِدا كأَنَّما الصُّبحُ من بَعْض الحُلَى فِيه

تَحرَّك الصدر تَحْرِيك السَّنا ومَضت مِنْ فَوْقه لَمسَاتٌ مِنْ مَعَانِيه

ورَاقَصت بَسَمات الثَّغْر ماسَمَحت بِه البَرَاعِمُ فى مَجْري غَوَالِيه

وجَالتِ العيْنُ مِنها جَوْلةً سَكَبت خَمْرًا وحَامِى الحِمَى يانُعْمُ حَامِيه

رَوْضٌ تُرنِّحه أَحْلامُ مُبْتَهِـج تَغْفُو دَوانِيه إِذْ تَصْحو عَوَالِيه

فاعْجَبْ لِغُصنٍ أَعَالِيه مُغَرِّدةً خَفيفة سَحَرَتْ أَعْجاز تَالِيـه

الطَّرْفُ يانُعْمُ حَيْران قَضى أَسَفًا كَسَابِح فى بِحَار النَّور تُعْيِيه

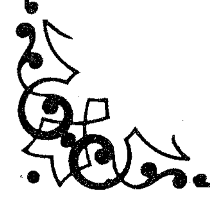
الشَّعْرُ مِنْك على الأَنْغَام مُنْطَلقٌ والسِّحرُ فى النَّفَسِ المَسْحورتُزْجِيه

والكَفُّ إِذْ تَتَثنَّى فى مُهَادَنَـة تَمُوج فى الخِصْر تُبْدِيه وتُخْفِيه

والمِعْصَمُ البَضُّ أَوْ مافَوْقَه أَلَقٌ كالسَّاقِ مَنْغومة رفَّت مَثَـانيه

الجُزْءُ والله كُلٌّ فِيكِ فاسْتَبقى صفْوَ الزَّمان تَزِدْ حُسْنًا مَغانيه

* * *



ضمي إليك

ضُمِّي إليكِ هَوًى تَطلَّع للذُّرَى عَافَ السُّفُوحَ العَارِيَاتِ تَرَفُّعَا
آوَى إلَيْكِ وأنْتِ قِمَّةٌ شَامِخ فى الحُب لَنْ يَبْلى ولَنْ يَتصدَّعا
ضُمِّى هَواه فما صَفَتْ أيَّامُه إلَّا لَدَيْكِ مَهابَةً وتَضَـرعـا
عَامٌ مَضَى وهَوَاكِ فى أحْلامـه أمَلٌ تَفتَّح بَهْجَةً وتَطَلُّعـا
عَامٌ مضى والحِسُّ فى آمَاقِه مَعْنًى تَرقْرقَ فى المَحَاجِر أدْمُعا
عام مَضَى والكَرْبُ فى آهَاتِـه حَاوَلْتُ أُخْفِيها لِئَلَّا تُسْمَعـا
نَاشَدْت رَسْمك فى الحِشَا أنْ لايَرى قَلبًا تَمزَّق حَسْرَةً وتَقَطُّعـا
وتوسَّلتْ عَيْنى لَدَى إنْسانِهـا أنْ لاترى لِسِواك فِيه مَوْضِعـا
لكِنَّ أضْلَاعى الَّتى حَمَّلتُهـا كَتْمَ الهَوى وهَنَتْ أسًى وتَفَجُّعا

• • •

صُونِيه فَهْو من السُّيوف بَقِيةٌ ومن الجِراحِ النَّازِفاتِ تَرعْرُعَا
ومن العَـواطِف طَالَما حمَّلْتُه عِبْءَ السِّنين فَمَا وَهَى وتَضَعْضعا
صُونى حَيَاةً فى يَدَيْك رَخِيصَةً تَـأْبَى لِغَيْرِك أن تَذِلَّ وتَخْضَعا
بِـأَبِيك بالعَيْن الكَحِيلة باللَّمى بِالفَجْر لَوْ لَمْ تَـأْذَنى لَنْ يَسْطَعا
بعُلاك بالسر الخفي لمحتُه فى ناظريك مشى اليَّ وأسرعا

هذا الضِّياءُ كَما تَرِين مَلامِحٌ ... ضَاعتْ فَهلْ يَبْقى لَديْكَ مُضَيَّعَا

قولِي فَفِي شَفتَيْكِ أنْت نَعِيمُه ... لَوْ تَذْكُرِين مُرَوَّعا ومُفَزَّعا

حَبَس الحياءُ بَيَانه واسْتَنْطَقَتْ ... عَيْناه عَيْنَيكِ الحَدِيثَ فَأَبْدَعا

ورأى السُّلافَ البِكْر مَنْهَلَ ظَامِىءٍ ... كُنْتِ المَعِينَ لَهُ وكُنتِ المَنْبَعا

الغرس يَسْتَجْدي السماءَ فَهَل تَرِيْ ... أَقْوى وأَسْتَجْدِيك كأْسًا مُتْرَعا

أَرْوِي به ظَمَأَ الفُؤَادِ ولَيْتَنى ... أَبْقَى على ظَمَإٍ أَلَذَّ وأَمْتَعا

إنْ صُغْتُ ياأَمَلَ الحَيَاةِ لَكِ المُنَى ... عِقْدًا بِحَبَّاتِ الفُؤَادِ مُرَصَّعا

فَلَقد وَهَبْتِ لِيَ الحَيَاةَ جَدِيدة ... وأَحَلْتِ هذا الجَدْب خِصْبًا مُمْرِعا

أَنَا مَنْ عَرَفْتِ ومَنْ جَهِلْتِ فَسَائِلى ... إِحْسَاسَك الغَالِي وإِحْسَاسِي مَعا

أَنا مَنْ عَرَفْتِ وماعَرَفْتِ سِوَى امرِىءٍ ... لو شِئْتِ حَتَّى مِنْ بَنَانِك أَطْوَعا

عَوَّذْت بِاسْمِ الحُبِّ حُبَّكِ إِنَّه ... حُبٌّ يَصُونُ به المَنِيع مُمَنَّعا

• • •

لا أَنتِ صَانِعةُ الوِدَاد ولا أَنَا ... فَاللهُ أَوْدَعَ بَيْنَنَا مَا أَوْدَعَا

مَنْ جَاءَ بالصَّب الغَرِيب لِيَلْتَقِى ... بِمَرَامِه يا أَنْتِ كَيْف تَجَمَّعا

ولَقَدْ بَعَثْتُ القَلْبَ عِنْدَكَ شَافِعًا ... هل تَقْبَلِين هَوَى الفُؤَادِ مُشَفَّعا

* * *



صـــورة

حِجَازِيَّةُ الطَّبْعِ والمَحْتِـدِ عِرَاقِيَّةُ النَّبْتِ والمَـوْلِـدِ

كأَنَّ « زَرُودًا » بِغِزْلانِه جَرَى فى الرِّصَافَةِ كالعَسْجَـد

ومازَجَ بَيْن عُيُون المَها وكَحَّلَها بَعْـدُ بِالإِثْمِـد

وغَار العَقِيقُ مِن الدِّجْلَتَيْن فَصَفَّق للنَّبْعِ والمَوْرِد

فَيامَا أَحيلى ظِبا « وجرة » تَرُوحُ عَلى الجِسْر أَو تَغْتَدي

ويأْتَلق الوَمْضُ بَيْن العُيونِ كَما تُومِض السُّحْبُ لِلفَرْقد

وتَبْسُم للنَّبَراتِ الكُرُومُ عَنَاقِيدُ فى غُصْنِها الأَمْلَـد

فَمِن عِنَبٍ رَقْرقَتْه الشِّفاهُ سُلافًا تُدارُ على مَوْعِـد

ورُمَّانَةٍ فَوْق مَجْري العَبِير بِعَيْنَيْك تُقْطفُ لَا بِالْيَـد

تَخَيَّلْتُها مَوْجَةً مِنْ سَنَا تَقُول لِبَدْرِ الدُّجَى عَرْبِـد

تَرَنَّحَ فِيها الجَمَالُ السَّخِيُّ على نَخْبِ أَنْجُمِه الخُرَّد

وأَنْتِ يَا مُهْجَتِي صُورَةٌ مِن الأَمَلِ الحَالِم المُفْـرد

ونَام الدُّجى واسْتَراح النُّهى وهَوَّم فى أُفْقِه السَّرْمَدي

وحتَّى الكَواكِب لَمَّا تَغْيَ وأنْتِ الوَحِيدَة لَمْ تَهْجُــــدي

كأَنَّكِ فى اللَّيلِ سِرُّ الوُجودِ وَحَارِسَةُ الأَعْيُن السُّهَّــــد

ولكنَّه قَدَرٌ راصِدٌ تَوَحَّد مَرْمَـــاه فِـــى المَــرْصَـــد

تَفَرَّع من أَصْلِه الأَوَّل وقَارَبَ فى الحِسِّ لم يَبْعُد

لأَخْتِم مَعْنى الهَوى فِي الحَيَاةِ بِمَا كُنْتُ فى أَمْرِهِ أَبْتَــدي

ولــكنْ ويَا حَسْرتى فى المُنى أهابُ زَمانِي وأَخْشَى غَــدِي

* * *

اللقاء الباكي

بَعْد لأْيٍ وبَعْد ضَنٍّ ومُطْلٍ أَقْبَلَتْ كالشَّذَى كَبَسْمَةِ طَلِّ

تَتَهادي حُورِيَّة فِي وِشَا حَيْن جَمالٍ بكْرٍ وَخِفَّةِ ظِل

وأغَنَّ يَنْساب في هَدْأَة الليـ ـلِ مُدِلٌّ على الهَزَارِ المُدِل

راقَصتْه النُّجُومُ فى فَلِكِ الحُسْـ ـن وسَاقَيْنَه بِعَلٍّ ونَهْل

فَوصَلْن السَّماءَ بالأَرْض أَمْجَا دًا تُغَنِّى فكَان أَعْذَبَ وَصْل

ثُمَّ مَاذا لَقَد دَنتْ فَتَدلَّتْ وقُطُوفُ المُنَى بَوَاسِمُ حَـوْلى

واسْتَرَاحَتْ على وَثِير مِنَ الحُـ ـبِّ أثيرٍ غَـذَّاهُ قَلْبى وعَقْلى

وتَطَفَّلْتُ بالحَديثِ عن الشَّوْ قِ وسِرِّ الغرام بَعْدي وقَبْلى

وهْيَ نَشْوى أَو مِثْلَما خَيَّلَ الـ ـوَهْمُ لِقَلْبِي وما فَطِنْتُ لِجَهْلى

والغَوَانى سِرٌّ يُغَمْغِم بالبَوْ حِ ووَيْلى من النَّقِيضَيْن وَيْـلِي

مَنْ تَراه يَظُنُّها وهى فى القِمَّـ ـةِ من لُطْفِها تَثُور وتَغْـلى

والعُيونُ التى يُظَلِّلها الجَـ ـفْنُ دُمُوعٌ حَكَيْن أَدْمُعَ طفْـل

والسَّنا الحَالِمُ المُشَعْشعُ أغفَى   بَعْد أنْ لَاحَ كالهِلال المُطِل

وابْتِساماتُها اللِّطَافُ تَوَارَيْن   وَوَارين غِضَابًا فى فَرْحَة العُمْرِ سُؤْلي[1]

قُلْتُ والقَلْبُ لَهْفَةٌ وضرامٌ   والسُّكونُ الرَّهِيب بعثر شَمْلي؟!!

يا ضِيَاءَ الحَيَاةِ يا تَوْأمَ البَدْ   رِ أَقَوْلِي أَسَاءَ أم سَاء فِعْلي؟!!

هل عَرتْكِ الشُّكُوكُ فِيمَنْ يُرَجِّيك هناءً والحُبُّ يَصْفُو بِمِثْلي

فاستَعارَتْ من الدُّجَى صَمْتَه الحُـلْو وجَاءَ الصَّباحُ يَزْحم لَيْلي

بَيْن آهٍ مُعَبِّرٍ ولِحَاظٍ   راعِشَاتٍ تَرْوِي الحَدِيثَ وتُمْلِي

قَال مِنْها الصَّدى المُجَاوِب فى النَّفْـس حَرَام أَبْقَى خَلِيلَةَ خِلِّ

وبَكَتْ والدُّموع تَسْبِيحَةُ القَـلْب وقَالَتْ أَرَبٌّ لَبَّى وَعَلَّى؟

قلتُ يا رَبٌّ عَلَّها سَاعَةَ اليُـمْن فَتغْدُو فِينَا حَلِيلَةَ بَعْل

ويَزُفُّ الصَّفَاءُ للحُسْنِ مَجْلُوًّا عَرُوسًا تَزْهُو بِأَبْهَج حَفْل

والضِّياءُ الضِّياءُ يَقْطُرُ بالفَرْ   حَةِ هَلْ لِي أَرَاه يَاربٌّ هَلْ لِي

* * *

---

(١) أسأل فلانا سؤله قضى حاجته

من هي ؟؟

تَسْأَلني عن صَائِد القلبِ والْحَشَا   أَمِنْ ظَبْيَاتِ الشَّام أو غِيدِ لِبْنَان

فَدَيْتُ هَوَاها زَهرةً صَانَها الهوى   وبَيْضَة خِدْرٍ لَمْ تَطُلْها يَـدَان

تعَهَّدها المُزْنُ الصَّبُوح فأَوْرَقَتْ   وبَاكَرَها حَبُّ الغَمَام بِنَيْسَان

ومِنْ بَرَدَي قُلَتْ ومِنْ بَرْدِه ارْتَوت   فَلا بِدْع أَنْ جَادَتْ بِرِيٍّ لِظَمْآن

فما كُلُّ ظَامٍ نَاهِلٌ مِنْ رِضَابِها   وما كُلُّ بَرْقٍ لَاحَ وَهْوَ يمَانِي

* * *

عَدتْها العَوادِي فَهْي قَلبي بِحُبِّه   بِمَعْناه بَلْ أَبْهَى من الخُلْدفى الخُلْد

تَخَيَّرَها قَلْبي فكَانتْ لِسِـرِّه   وَكَان لَها سِيَّانِ فى القُرْب والبُعْد

وفَاضَتْ عليه البِشْرَ والسِّحْرَ والمُنَى   ومَاهِمتُ عمْري فى رَبَابٍ ولا هِنْد

وكَان هَوَاها مَبْعَثَ الصَّفْوِ مُشْرِقًا   ومُغْربَ آلامِي ومُنْبَثَقَ السَّعْـد

تَخَيَّرها قَلْبي فَلا الحُبُّ حُبُّكُم   ولاوصْفُكم وَصْفي ولاجُهْدُكم جُهْدِي

غَرَامٌ سَماوِيُّ المَعانى مُجَنَّـحٌ   وأَلْطَافُه شَيْءٌ خُصِصْتُ بِه وَحْدي

أفاضتْ عليَّ السحرَ سحرين حبُّها وهذا الرضابُ الحلو أحلى من الشهد

وعطفةُ قلبٍ ضمَّ فى الحب مثله ورحمةُ إنسانٍ وضمة ذي ودٍّ

وتطويقةٌ بين الذراعين غضةٌ وماعدت أدري زندها الغض من زندي

فما ملَكَتْ قَلْبِى سِواهَا ولَمْ تلنْ لغيري لعلَّ اللهَ عن سِرِّهَا يُبْدي

وليـــلاي دعجاءُ المحاجر جؤذر وليـــلاك زرقاءُ مطهمة الخـــد

وليلاك شقراءُ وليلاي شعرُها كجنح الليالى فارعِ الحسن مسود

ولَيْلاكَ أَعْطَتْك الوُعُودَ سَخِيَّةً وفى مَسْبَح الأَحْلام لَمْ تَفِ بِالوعد

ولَيْلايَ عَهْدي عهدها لَمْ تَبُح بِهِ نَعِيش عَلَيْه مَا حَيِينَا بِلا قَيْـــد

* * *



عن دمشق وإليها

عزيزي : سررتُ بالمقطوعة التى هى قبسٌ من قبسك وقطعةٌ من نفسك فأوحتْ إليَّ بهذه القطعة الشعرية التى أقدمها للذكرى مثل ذكري شعرك فيمن أوحتْ به إليك ولها منا الشكرُ سلفاً على الغيب .

مَنْ تَراها لَيْلاكَ قُلْ لِي حَقًّا بَابِلِيٌّ[1] أو أَتْلَع غَيْـــدانْ[2]

أَوْ بِغُصْنٍ كَالبَانِ أَوْ هُـو أَحْلَى أو بِثَغْـرٍ مُنضَّـدٍ بالجُمَـان

ثم قُل لِي هَلْ أَسْعَدتْك بِعَطْف عبقَـريٍّ فى رِقَّـةٍ وَحَنَـان

هل تَلقَّتك بَالشَّذا مِنْ شَـذَاها مِثْل ما الْتفَّ بِالهَـوى طَائِران

هل رَشَفْتَ اللَّمى المُعَتَّقَ اشْهَى من مُدَامٍ دَارَتْ على النَّـدْمَان

ثم قُل لِي ولا أَخَالُك تُبْـدي ذَلِكَ السِّرَّ فَهْو سِرُّ الغَـوَانى

كَمْ صَرِيعٍ مِثْـلى ومِثْلك للحُب فَبُحْ لِي فإِنَّنَـا تَوْأَمَـان

وهَنِيئًا لَهَـا بِشَـاعِرِ سَلْعٍ والأَديبِ الأَرِيبِ فَخْرِ البَيَان

هِيَ صَادَتْ بِسحْرها سَاحِرَ اللَّفظِ رَقِيقَ الإِحْسَـاسِ والوُجْدان

---

(١) خمر بابلى

(٢) غيدان الشباب أوله ـ التلع التطلع بالعنق الى الشيء

نجـــــوى

يا ابْنَةَ الغُوطَةِ والنَّهْـرِ المُحَـلَّى بِرِضَــابِك

يا ابْنَـةَ الفجـرِ تَمَنَّى البَـدْرُ تَقْبِيلَ إِهَابِـك

والنُّجـومُ الزُّهْـرُ لو تَنْثُرُ زَهْرًا فى رِحَابِك

والمعــانِى باسِمـاتٌ غَازِيـاتٌ فى رِكَابِــك

يَتَعَالَيْـن على الدُّنْيــا ويَسْجُـدْن بِبَـابِك

آهِ لَوْ تَدْرِين مَابِى مِثْلما أَعْلَمُ مَابِك

يا ابْنَـةَ الكَرْمَـةِ مِنْ كَرْمِ شَبَـابى وَشَبَـابِك

والأَمَـانِىُّ عِــذَابٌ مِثْل مَعْسُولِ عَذَابِك

إنْ تَمَثَّـلْتِ رِغَـابِى فاقْرئِيهَــا فى رِغَابِك

فالــرَّذَاذُ الحُــلْوَ لا يَقْطُـرُ إلَّا مِنْ سَحَـابِك

والمُنَى البَيْضَــاءُ فِى الحُبِّ مَعَـانٍ مِنْ كِتَابِك

فاطْلُبِى لى رحمَـةَ اللهِ أَجِـدْها فى طِـلَابِك

هَمْسَــــةٌ تَـسْـرِي عَلى البَرْقِ بِنَجْوَي فِى خِطَابِك

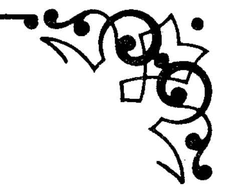
فَأَرَي الحُظْــــوةَ فِى لُقْيَـاكِ مِنْ بَعْدِ غِيَابِك

وإذَا البُعْـــــدُ حِكَا يَاتُ عَـذَابى وعَـــذَابِك

وتَسَـــالِينَـــا أحَـــادِ يثُ اغْتِـرَابى واغْتِــرَابِك

وارْتِــوَائِى مِنْـــك يَا حِبِّى شَرَابًا مِنْ شَـرَابِك

* * *



ليلة العيد

ذكرْتُكِ في اللّيلةِ الحَاليَة — مِنَ العِيد أَبْكِي عَلى حَاليَة

أرَي فَرْحةَ النَّاسِ في عِيدِهم — وفَرْحَةُ نَفْسي هِي البَاقِية

ويَنْعُمُ حِبٌّ بِمَحْبُوبِه — وأَشْكُو مِنَ الوِحْدةِ القَاسِية

أَقُول لِنَفْسيَ هَلْ من جَنَا — حٍ أَطِيرُ إلى الشَّام في ثَانية

وأَلْقَى العزيزةَ في حيِّها — وتَلْمَسُنى كَفُّهَا الحَانيَة

أُقبِّلُ منها يَدًا طَالَمَا — رَعتْنِي بأَلْطَافِها السَّامِية

أَشُمُّ من الرَّوْضِ وَرْدَ الحَيَاةِ — وأَقْطُفُ أَزْهَارَهُ الزَّاهِيَة

سَأَلْقى بِكِ العِيدَ يَوْم اللِّقَا — ءِ فَمَا العِيدُ إِلَّا المُنَى الغَالِيَة

* * *





على صورتها

يا صُورَةً أَبْصَرَت عَيْنِي بِهَا أَمَلِي ... وقَرَّبتْنَا فَعُدْنَا قَاب قَوْسَيْن

ضَمَمْتُها فإذَا القَلْبَانِ قَدْ جُمِعَا ... وَفِي البعَادِ غَرِيبٌ ضَمٌّ قَلْبَيْن

لَمَحْتُ فِي صَمْتِها شَبَحًا مُمَثَّلَةً ... فِيه النَّوى فَرَّقَتْ بِالرَّغْم إِلْفَيْن

كَأَنَّها تَسْأَلُ الأَقْدارَ كَيْفَ قَسَتْ ... تَقُول رِفْقًا بِهَذَيْن الحَبِيبَيْن

وقُلْتُ بِاللهِ كَيْفَ الحَالُ فابْتَسَمَتْ ... حَالِي كَحَالِك لَيس الحَالُ حَالَيْن

صَدَقْتِ يا زِينَةَ الدُّنْيا وَفَرْحَتَها ... لَنْ يُصْقِلَ الحُبَّ إِلَّا لَوْعَةُ البَيْن

يَا ربِّ رُحْماكَ فِي قَلْبَيْنِ مَضَّهُمَا ... عُسْرُ النَّوَى فَأَزِحْ عُسْرًا بِيُسْرَيْن

* * *



ثلاثيات

لَقــدْ تَحَدَّثْنَـا ولَمْ نَسْتَرِح   حَـتَّى رَأَتْ أَكْبَادُنَا تَنْزِفُ
وبِالْبَنَانِ الغَضِّ لَمْ تَسْتَبِح   غَيْرَ السُّــوَيْدَاءِ وَمَا تَنْطَفُ
قالَتْ لِبَدْرِ التَّمِ هَيَّا اصْطَبِح   نَفْحَ عَبِيــر دُونَهُ القَرْقَف

* * *

وابْتَسَمَ البَــدْرُ على مِحْنَةٍ   ضَاحِكَةٍ فى غَسَــقِ الفِتْنَةِ
وبَسْمَةُ البَــدْرِ من الجَنَّـة   مِن وَجْنَةٍ تَسْرِي إلى وَجْنَـة
وقَال لا دِيـنى ولا سُنَّــتِى   تَشْرَبُ كَأْسًا صِيــغَ مِنْ أَنَّةِ

* * *

الأمل الحائر

وعَاطَيْتِنِي الأَمَلَ الحَائِرَا تَمنَّيْتِه : الأَلَمَ السَّافِرا

تَمنَّيْتِه صَعقَاتِ الرَّدَي تُرِيحُ ولَا تَكْسِرُ : الخَاطِرا

فإِنَّ الأَسَى قَدْ يُمِيتُ النُّفوسَ ولكنَّه يَحْرِقُ : الشَّاعِرا

وتلْك المَعَانى التى صوَّرْتُهَا تُحَاذِرُ حتَّى الشَّذَى : النَّافِرا

إِذا صَارَحتْهُ المُنَى الحَالِمَا تُ رَعَى ظِلَّها : طَيِّعًا : صَابِرا

وغَرَّدَ فَوْقَ أَفَانِينها يُسَاجِل : بُلْبُلَهَا : الطَّائِرا

ويَسْكُبُ لَحْنَ الجَنَانِ الشَّفِيفِ خَجُولًا : رَوَى غُصْنَها : النَّاضِرا

وحِينَ تَشِفُّ الأَغَارِيدُ تَسْتَرْفِد من الرَّوْح عَالَمَها : الزَّاخِرَا

وتَسْبَح فى صَحْوِها الهَادِر تُصَفِّق الهَامَها : الهَادِرَا

وتَلْفِظ وَهْمَ الحَيَاةِ الشَّحِيح إِذَا سَلَبَ المُقْبِلُ : الحَاضِرا

وتَهْوى الدُّجَى المُقْفِلَ الصَّائِما إِذَا لَم يكُن خَادِعًا : غَادِرَا

فَكَم عَانَق اللَّيْلُ أَشْبَاحَهُ كَمَا عَانَقَ الكَافِرُ : الكَافِرَا

* * *

فيامَنْ رَجَوْتُك رغْم النُّفَــارِ هَــوَى صَاحِيًا يَانِعًا : ثَامِـرا

تضُمين أحــلامه الصافنــاتِ وتحمينَ وجـدانَه العامرا

تَخِذْتُ هَــوَاكِ المَنَارَ الوَضِـ ىءَ وإشْعَـاعَةَ الفَلَك : الدَّائِرا

فَمَـا دُرْتُ فى غَيرِهِ هَادِيا ولَا رُمْتُ فى غَـيْره : نَاصِرا

وألْفَيْتُ فِيكِ الرَّجَـاءَ العَظِيـ مَ كَمَا وجَـدَ العَاجِـزُ : القَادِرا

تَحيَّرْتُ فِيمَا أرَى يَا تَرى بَلاءً كَحِيـرَتِها : حَائِرا

أم الهَمَسُ مِنْ حَوْلِنَـا رَاعَهَا فَصَاغَ الأَسَى لَحْنَها : الفَاتِرا

أم الشَّامِخَ الصَّـاعِدَ المُعْتَـلَى رَمَانِى ولَمْ يُقِـلِ : العَاثِرا

• • •

ولا عَجَبٌ ذَاك شَأْن الزَّمَـــ ـانِ حَذْونا بِه المَثَل السَّائِرا

إذا شَـقَّ دَرْبَ العُــــ ـلَا «لَاحِبًا» فَيَا طَالَما قدْهَدى السَّائِرا

سَـوَاءٌ عليـه ازْدِحَامُ المَوارِ د لا يَفْضُلُ الأوَّلُ الآخِـرا

فَكَمْ صَادِرٍ غَالَـه وَارِدٌ وَكَم وارِدٍ قَدْ رَوَى : الصَّادِرَا

تَسَاوى رَخِيصُ المُـنَى والعَزِيـ زُ لَدَيْه فَما كَانَ فِى عُمْرِه ذَاكِرا

وَمنْ يَنْسَ تَارِيخَـه ذَاتَـه مَحَا : طَبْعُه : الفِكْر : والفَاكِرا

هو الصَّـانِعُ المَاهِر المَاكِرُ وَمِنْ سِرِّه : كَوْنُه : مَاكِرا

أيُدْهَشُ للتِّبْرِ قد صَاغَـهُ نَفِيسًا بَهِيـجَ الرُّؤي : نَادِرَا
أيُعْجِـزُه بَعْـدَ رَجْع النَّفِيس رخِيصًا كأَنْ لم يكُنْ : بَاهِرا

• • •

حَنانَيْكِ ولْتَعْـلَمِي أنَّـــنِي أرَجِّيـــهِ مُصْطَفِقًـا : ثَائِرا
فذَلِكَ أكْرَمُ ما أَسْتَطِيـعُ تَقَبُّـلَه رَاضِـيًا شَاكِـرا
لأَنْ يَلدَ الحُبُّ كُرْهًـــا أعَزُّ من الحُبِّ تَحْمِـلُه صَاغِرا
وأحْقَـرُ مِنه هُـو الاغْتِصَاب تُعَاقِرُه كَارِهًـا حَاقِـــرا
بِجُرْحِ الهَوَي فَلْتَمُتْ لَا تعِشْ بِجُرْحِ القِلَى أَبَدًا فَاغِـــرا
وَوشْـوَشَـنِى القَلْبُ مُسْتَنْكِرا حَرُونًا فَلَيْس الأَذَى : آسِرا
وقَالُـوا قَدِيمًا يَـدُومُ الوِدَادُ سَلِيمًا ويَفْـنَى الهَـوَى : عَاقِرا
هَـوَى النَّفْس آرابُهـا المُسْتَقَ اةُ تُمَـزِّقُه : كَابِرًا : كَابِرا
فَكَيْفَ وقَدْ بَات حُبُّ الشَّرِيفِ لَعَمْرى قَصِيرَ المَـدَي قَاصِرا
وأَثْبَتُ مِنه الهَـوى اللَّوْلَبِىُّ يُبَـادِلُه : فَاجِـرٌ : فَاجِرا
مُنَاظَرة بَيْنَهُـــم لَم تَـزَلْ يُحَاوِرُ مَنْظُـــورُهَا : النَّاظِرا
لَنَـا أَجَلٌ حَدَّدَتْ عُمْـرَه مَنَاصِيبُ تَحْتَضِـنُ : الظَّافِرا

وتَلْوِي بِمَنْ أَبْطَأَتْ رِجْـلُه وتَلْفِظُـه بَاطِنًـا : ظَاهِرا

ويَغْـزوه فى خِلْسَـة شَاطِرٌ ومَا كان فى أَمْسِـه : شَاطِرا

وقُلْت لِقَـلْبِىَ لَا حَيْـرَةٌ ولَا لُبْس فَلْتَكُنِ : الحَاذِرا

فَلَيْسُوا نُفُوسًا كَما قَدْ زعمْت ومَا عَرَفُـوا الهَـدَفَ : البَاصِرا

فَمَا بَيْنَهـمْ مُهْجَـةٌ حُـرَّة تُمَثِّـل قَلْبًا : سَمَا : طَاهِرا

لَقَـدْ جَهِلُوا سِرَّ هَذِي الحيَـاةِ فَكُلُّهُمُو عَاشَها : سَادِرَا

* * *

يَعِيشُ الوفِىُّ لأَخْـلاقِه كَما شَاءَهَا : صَاعِـدًا : حادِرًا

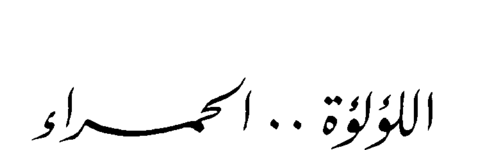
ويَغْـنَى الحَصِيفُ بآدابِـه فَقَـدْ كان ظِلَّ : ضُحًى : عَابِرا

فَعِشْ هَائِمًا فى غِمَارِ الحيَـاةِ ولَا تَرْضَ عيشَتَها : مَادِرا

ومَا ضَاع خَيْـرٌ ولكِنَّـه تَجَـاوَزَنَا غَاضِبًـا : هَاجِرا

قَوانِينُـه حَقَّـةٌ كَالْحَيَاةِ ولَكِنَّها لَمْ تَجِـدْ : نَاشِرا

أَلَا إِنَّنَـا دَاؤُها والـدَّوَاءُ ولَا يُصْلح العَاهِرُ : العَاهِرا



اللؤلؤة .. الحمراء

لَمَحْتُها وكَأَنَّ العِيدَ فى فَلَكٍ وقَلْبُها سَابِح كالنَّجْمِ فى فَلَك

وتَرْقبُ النَّهْرَ مُنْسَابًا أَشِعَّتُــه كشُعلَةِ الليل «تَرْمي» سُدْفة الحَلَك

يَرِفُّ كالنَّسْمَةِ العَذْراء تَحْسَبُها عَرْشًا تَرَفَّع عَنْ تَاجٍ وَعَنْ مَلِك

العِيدُ يَصْدَحُ فى أَعْطافِ فَرْحَتِه كالرِّيمِ يَجْفُل مِنْ رَامٍ ومِنْ شَرَك

ورَبَّةُ الحُسْنِ فى الأَصْدَاءِ هَائِمَة كأَنَّها رَاهِبُ قَدْ ذَابَ فِي النُّسُك

تَعُبُّ مِنْ أَلَقٍ صَادٍ وتَسْمَعُه والوَجْدُ فِي صَخَبٍ واللَّحْنُ فِي دَرَك

وصِرْتُ فى المَشْهَدِ المَسْحُورِ طَرَّزه وَرْدٌ تَلَفَّعَ فى طَوْقٍ مِنَ الحَسك

* * *

دنوتُ صَوْبَ الحَيَا الغَافِى عَلى حَذَرٍ وفِى الحَيَاء صِرَاع الفَارِس الفَتِك

فَمسَّنِى الهَوْلُ إِذْ أَبْصَرْتُ لُؤْلُؤَةً حَمْرَاءَ تَرْقُصُ رَقْصَ الصَّيْدِ فِى الشَّبَك

وقُلْتُ يا أَنْتِ هَلْ فى العِيد سَائِحةٌ تَجْرِي بِدَمْعٍ على الخَدَّيْن مُشْتَبِك

قَالتْ نَفحتُ حُشَاشَاتِى ومَاسَمَحتْ عَيْنِى بِغَيْر دَم كالدَّمْع مُنْسَفِك

أُذِيبُ فيه الأَسَى الجَافِي وأَحْرِقُهُ ... فلن تَخِيبَ الأَمانِي وَسْطَ مُعْتَرَك

الحبُّ تَحْمِيه أَجْفَانٌ مُقَرَّحَةٌ ... يَاطَالَما أَنْقَذَتْ مِنْ كَبْوَةِ الهَلَك

بَكَيْتُ أَخْرُسُ نَشْوَاتٍ مُغَرِّدةٍ ... لم تُفْنَ لكِنَّها كَانَتْ عَلى وَشَك

فَبَهْجَةُ العِيدِ أَسْمَى حَقَائِقُها ... صَوْتُ النَّحِيبِ طَوتْهُ شَهْقَةُ الضَّحِك

ورَجْعُهَا كَصفِيرِ الرِّيح مُنْطَلِقٌ ... مِنَ الخَرَارِ يُدَاجِي زَوْرَ مُؤْتَفِك

هَتَّاكَةُ السِّتْر عن عَفٍّ الخُطَى حَذِرٍ ... ولِلخَلِيعَيْن سِتْرُ غَيْر مُنْهَتِك

لَذْعُ الحَنِين وَوقْدُ الشَّوْقِ إنْ تَركَا ... حُبًّا تَمخَّضَ للنَّعْمَاءِ يَنْتَرِك

والحُبُّ فى الشَّامِ فى أَفْيَاءِ غُوْطَتِه ... كَالحُبِّ فى اللَّابَةِ الجَرْدَاءِ مِنْ فَدَك

سِرُّ البَقاءِ لَهُ زَادٌ مُؤَجَّجَةٌ ... سَمَاوُهَا أَبَدًا مَعْقُودة الحُبُك

نَادَيْتُها والمَعانِي البِيضِ غَاضبةٌ ... زِيدِي بُكَاءَكِ هَذاالدَّمْعُ لِي وَلَك

* * *



أول لقاء

وقابلتها والليلُ حُلْوٌ مُشَعْشعٌ ... له من عبير الصدم لحن موقَّعُ

عليها الإشابُ[1] الحلو يقطر لذة ... يضيءُ به في الرأس تاج مُرصَّع

فما هي إلا نظرة لم أشُنَّها ... إذ القلبُ من فرطِ المسرة يدمع

وكانت كأحلى ما تمناه شَيِّقٌ ... رفيقُ الأماني شاعر الحس مبدع

فضم عليها القلبُ كل مرامه ... فما لسواها بين جنبيَّ موضع

وسلمتُ للحس الرفيع مقادتي ... ولي كبرياءٌ لا تليق وتخضع

وقال رفيقٌ كان في الدربِ بيننا ... أَمِن نظرةٍ أولى تذوب وتخشع

تمهل ولا تعجل فللحس خدعة ... فقلت ولكن مهجتي كيف تخدع

فللحب عين لا تطيق سهامها ... وللقلب إحساس من البرق أسرع

لمحت بها سرّا دفيناً تصونه ... وجرحاً كجرحي لم يُفِدْ فيه مبضع

لها رقةٌ كالنور تحلو بطبعها ... ولا يغلبُ الطبعَ الكريمَ التطبع

وواعدتُها في ليلة القدر ثانياً ... وفوح مرامي عطره يتضوع

فكان هلال السعد واليمن موعداً ... وأصبح بدراً ضوؤه العذبُ يسطع

رحيبُ المعاني لا يحولُ صفاؤه ... فإن الوفاءَ الحرَّ لا يتزعزع

---

(١) الاشاب ما يوضع على الرأس من غطاء



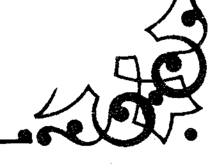
عيناك

عينـاكِ بالإشعاعِ ياقـوتةٌ تسطعُ في جَفنِ الدجي الداكنِ
تحركت في ومضها مثلما تحرَّك الخافقُ في السَّاكن
وأسبلت هُدْباً كأَنَّ الذي في ظلِّه تنهيدةُ الظّاعن

* * *

والله والله ولا أحنث رأيتُ في الليل ضحيً ينفثُ
رأيت ومضاً عَنْبريَّ السنا وَالْعَيْنُ لا تكذبُ لا تعبث
لولا سوادُ خِلتُه سُكَّراً قلت نهاراً بالدجي يرفث

* * *





يوماً بليلته أُهيِّيءُ للِّقاءِ لمـا أَقول وما أُعيد

وأُنَسِّقَ الجُمَلَ الحسانَ يضمُّها العقدُ النضيد

وأَهدُّ آونةً وأَبنى فالْوصالُ الحلـوُ عيـد

ودَلِفْـتُ للميعاد أَعتصر الفـؤادَ كما يريد

وهوايَ ذيَّاك المُجنَّح ليس ينقصُ بل يزيد

وفرحتُ بالأَمل الطريفِ يحثُّه الأَملُ التَّليد

فوجدتُها قمراً يعبُّ من النجومِ ويستـزيد

في حلةٍ حمراءَ تعشقُ حسنَ منظرِها القـدود

تحنو لِتَلْثُمُها الورودُ فـلا تفارقها الورود

وبكيتُ من فرح اللقاءِ وانثى الحِبُّ الوحيد

وسأَلتها الرُّحْمّي فقالت مَنْ تكونُ وما تريد

قلتُ الْمُوَلَّهُ كلُّ نومي فيكِ أَحلامٌ شهـود

وإذابِهَا في غَضْبَةٍ شُمٌّ الجبالِ لهـا تميـد

رفعت حجابَ العينِ سخريةً يذوبُ لها الحديد

وتمر فوق الصدرِ كفيها وتـأْتلقُ الخـدود

تخشى اضطراباً ربَّما فَرَّتْ تحاذره النهود

وسمعتُ قهقهةً صداها انني الفَدْمُ البليـد

قالتْ لأَنتَ الخائبُ الكسلانُ هل يغفو العميد

يا خيبةً عَبَثَتْ بصاحبِها كما عَبثَ الوليد

* * *



ساعتها

وتَضْحَكُ بَسْمَتُهـا حُـرَّةً كَمَا يَبْسُم الأَمَـلُ النَّاجِـح

وتَبْسُم فى عَيْنِهـا فَرْحَـةٌ كَمـا يَفْرَحُ الآيِبُ النَّـازِح

ويَرْتَسِمُ الصَّحْوُ فى ثَغْـرِهـا يُدَاعِبُـه الأَلَـقُ الصَّابِح

ويَهْـزِج مِعْزَفُهـا الرَّائِـع فَيشْجَى لَهُ البُلْبُـلُ الصَّادِح

وأَمَّا الحديثُ فَهَمْسُ الرَّبِيـعِ يُفَاغِمُـه عِطْـرُها الفَائِـح

* * *

وأَبْصَرْتُ فى كَفِّهـا سَاعةً ورقَّاصُهـا راكِضٌ جَامِـح

يُتَابِـعُ فى جَفْنِهَا رَعْشَـةً تُحاذِرُها والهَـوَى فَاضِـح

ويُومِضُ فِيها رَفِيفُ السَّنَـا يُجَاذِبُهـا سِرُّهـا البَـائِـح

فَلِلرُّوح ما يَهْتِفُ الهَـاتِف ولِلقَلْبِ ما يَمْنَـحُ المَانِـح

ولِلأُفُـقِ الرَّاقِص الحَـالِم مُنَى زَفَّهَـا السَّائِحُ البَارِح

فَسَاءَلْتُهـا والمُنَى غَصَّـةٌ يُصَفِّقُهـا بِشْرُهـا النَّاصِـح

لِمَاذا نَحُدُّ مَجَالِي السُّـرُور ... وللْعُمْر مِيقَـاتُه الجَائِـح

ونَحْبِس أَنْفَـاسَنَا والرَّدَى ... على الدَّرْبِ غَادِيه والرَّائِح

وأَنْتِ الحياةُ بِلَا مَوْعِـدٍ ... فَموْعِـدُها نَافِـرٌ سَارِح

وهَذِي الحَيَاةُ كَما تَعْلَمِينَ ... أَطايبُهَـا الأَمَـلُ السَّابِح

تُمَثِّلُهـا الأَنْجُـمُ الحَائِرَات ... يَهِـيمُ بِهَـا الهَدَفُ الطَّامِح

فَيالَيْتَهـا حِلْيَـةٌ كالسِّـوَار ... يُشَعْشِعُهـا المِعْصَـمُ اللَّامِح

فلَا الأُنْسُ يُعْجِلُنَا وَقْتُـه ... فَيَعْتَكِـر الأَلَقُ الفَـاتِـح

ولَا العَيْنُ مِنْكِ لَها شَـاغِـلُ ... كَما يَشْغَلُ العَـاذِلَ الجَـارِح

لِتُزْعِجَنَـا نَظَـرَاتٌ إِلَيْها ... كَما يَنْزِحُ المُقْلَـةَ النَّازِح

فَقَـالَتْ صَدقْتَ ولكِنَّنَـا ... يَطِيبُ لَنَا الفَرَحُ الفَـارِح

إذا ما قَدَرْنَا لـه قَـدْرَه ... وطَـارَدَهُ شَوْقُنَـا الجَـامِـح

فَهَل يَسْتَوي بَاذِلٌ شَدْوَه ... وَصَادٍ . على أَيْكِـهِ صَـادِحُ

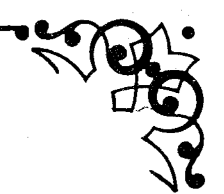
هُو القَصْد مِيزَانُ هَذِي الحَيَاة ... ورُبَّـانُهـا القَائِد السَّـاجِح

فإِنْ ضَاعَ فى أُمَّةٍ وَقْتُهـا ... فَذَلِكُمُو خَطْبُهَـا الفَـادِح

* * *

الحسناء والمروحة

وسَأَلْتُ عَنْكِ فَقِيل مَرَّتْ فى يَدَيْها « مروحـه »
والطَّقْسُ « قَمْرٌ » والنَّخيلُ من الصَّقِيـع مُطَلَّحَـةْ
والزَّمْهَرِيرُ مَشَى على أَنْصـائِـه المُتَرَنِّحـة
مِنْ كُلِّ فَارِعَـةِ القَـوَامِ كَشَاهِدٍ فِى « المِسْبَحَة »
الرَّوْضُ يأْمَلُ أَلَّا تُدَاعِبَ زَهْرَهُ أَو تَنْفَحَـه
والنَّرْجِس الفَضَّاحُ يَحذَرُ لَحْظَها أَنْ يَفْضَحَـه
فَعجِبْتُ كَيْف أصفَنْها خفَقَاتِ هَذِي الأَجْنِحَة
حَتَّى الْجَحِيم يَخَافُ مِنْ أَنْفَاسِها أَنْ تَلْفَحَـه
يا شَاعِري أَيْنَ المَشَاعِرُ إِذْ تَحُـومُ مُجَنَّحَـه
أَيْنَ الخَيَالُ مُغَرِّدًا فى الرَّوْضِ يُلْهِـمُ « صَيْدَحَهْ »
أَظَنَنْتَ مِرْوَحَةَ الشِّتَاءِ طَرَاوَةً « أَوْ » قَنْزَحَـه
لُغْزًا وَحَقِّكِ قد عَجَزْتَ عَلى المَدَى أَنْ تَفْتَحَه



يا صَاحِ مِروحهَ الهَوَى رَهْقُ الجَوَى : لَنْ أَبْرَحَه

لَهَبُ الجَوانِحِ فِي دَمِي دَمْعٌ أَبَى أَنْ أَسْفَحَــه

لَهَبٌ كَما شَاءَ الهَوى مَسَّى الحَنِينَ : وَصَبَّحَــه

لَهَبٌ كَأَنْفَاسِ الجَحِيمِ تَدُورُ فيه المِرْوَحَــة

هَوَ مُهْجَتِي هُوَ لَوْعَتِي وسِوَاهُمَا لَــنْ يَلْمَحَــه

فَالْحُبُّ يَضْمِدُه الَّذِي أَصْمى حَشَــاهُ وجَرَّحَــه

وصَلاحُه فى دَائِــه وفَسَادُه مــا أَصْلَحَــه

هَذا جَوَابُ مَلِيحَتِي أَسمِعْتَه ؟ مَا أَمْلَحَــه

* * *





ذكرتك

ذكَرْتُك فى مَعْنَاكِ يامَىُّ طَالَما — تَحَسَّسْتِ هَذا البَيْنَ قَبْلَ احْتِماله

وكُنْتُ أُجِيلُ الطَّرْفَ فِيكِ تَعُجُّبًا — مِن الوَهْم خَطَّارًا بِغَيْر مَجَالِه

وفى لَحظَاتِ نَفْحُهَا ظَلَّ سَارِيا — مَسَار النَّسِيم العَذْبِ بَيْن ظِلَاله

وكَمْ دَمْعَةٍ دَارَيْتِ عَنِّى بِبَسْمَةٍ — تُضِىءُ كَبدْر التَّم عِنْد اكْتِمَاله

فَلم أَدْرِ سِرَّ الدَّمعِ قَبْل افْتِراقِنَا — ولَمْ أَدْرِ سِرَّ الوَصْلِ قَبْلَ زَوالِه

فَيَالِلقُلُوبِ الغِيدِ خَلْفَ عُيونِها — عُيونٌ ويَالِلمُسْتَهامِ وَحَالِه

لَقدْ شَفَّكِ السُّقْمُ الخَفِىُّ فَنوَّرَتْ — مَعانِيكِ عن حَالِ الهَوَى ومآلِه

لِىَ اللهُ لَيْتِى قَدْ رأَيْتُ بِعَيْنِها — مَصِيرًا رَمَى أَحْشَاءَنَا بِنِصَالِه

إذا لَتحدَّيْت النَّوى بِالذي رأَتْ — مِنَ الصَّبر يَغْتَالُ النوى بِنِبَالِه

فَكَمْ رَاحِلٍ نَعْماؤُهُ فِى مَقَامِه — وكَمْ مِنْ مُقِيم عِزُّهُ فى ارْتِحَالِه

وكَمْ حالَةٍ يَرْجو سِوَاها لِغَايَةٍ — يَشُدُّ لها فى سَبْحِه وخَيَالِه

على بَطَرٍ يَجْري الزَّمَانُ بِضِدِّه — ويَبْكى على مَا فَاتَ رغم اعْتِلَالِه

وعاتَبَنِي العَتْبَ الرَّقِيقَ فَلَيْتَه تَعنَّفَ بِي فِي شَدِّه ومِحَاله

وأَحْلِفُ لم أَلْمَحْ سِوى الدَّل حَانِيا تَعودت لُقْيَا فَرْحَتِي من خِلَاله

وأَغْضَب اسْتَجْدِي الدَّلال وكَمْ جَنَى على عُنْفُوانِ الحب فَرْطُ دَلَاله

فَيامَيُّ هَلَّا نَفْحَةٌ مِنْكِ غَضَّة لِمُغْتَرِبٍ فِي دَارِه بَيْن آلِه

تَعَالَيْتِ عن عَسْفِ الحَيَاة قصَّية لِمُرْتَبِع ذُقْت الضَّنى مِنْ حِيَالِه

وعَانَدْتُ فِيكِ القَلْبَ من أَجْلِ رَامَةٍ وسَلْع ومَا بَيْن العُذَيْبِ وضَالِه

وأَنكَرنِي فِيها الغَنِيُّ لأَنَّنِي أَبِيٌّ على عُجْب الغَنِيِّ ومَالِه

ويَمَّمْتُ رَبَّ الدَّار أَبْغِي شُوَيْهَتِي أُعَالِج ضِرْعًا طَال فَوْق مَطَالِه

فَعانَيْتُ من تَسْوِيفِه ومطَالِه مَهَانًا ومُسْتَجْدٍ كَرِيمَ نَوالِه

وحَمَّلنى مِنْ عَمِّه بَعد خَالِه مَذَلَّةَ عمٍّ حَاقِدٍ حِقْدَ خَالِه

فَيامَيُّ هَلْ بُشْرى لَدَيْك مُطِلَّةٌ فأَحْلى أَمَانِي الحُبِّ فِي يُمْن قَالِه

فإِنَّ مِلَاحَ الكون أَهْلُ سَمَاحَةٍ وإِنَّ جَمالَ الكَوْنِ أَصْلُ جَلَالِه

* * *

تقـــــول

الإهداءُ إلى تلك التي سما بها الحب عهداً وترقرق وُدًّا وتبلور دعاءً وتحقق وغدا أهدي هــذه القصيدة إلى « مي »

تَقُولُ أَمَا شاقَتْكَ منِّي بَقِيَّــــةٌ ... هِيَ النفسُ والقلبُ والحُــبُّ

هِي العهْدُ أَبْقَى مايَلَذُّ إذا انطَوَتْ ... صَبابَتُه واسْتَذْكرَ النَّشْوَةَ الصَّبُّ

فآثَرُ أيامِ الحياة على المَــدَى ... مَسَاحِب أَذْيَال مَحَا رَسْمَها الدُّرب

لَنَا في الهوى الغالِي الأُصوليِّ وشْجُه ... كلون الأَصِيلِ الحُلْو تَلْثُمه السُّحْب

وتَحْضِنُه الأَضْواءُ غَرْقى يَرُدُّها ... إلى اللَّيْلِ شَرْقٌ في حَقِيقَتِه : غَرْب

فَقلت لَها «يامىُّ» هل يَذبل الهَوي ... وهَل تَخْصِبُ الدنيا إذا عَافَها الجَدْب

وعُمْرُ الهوى فَوْق السِّنين وعَدِّها ... وحَسْبُكِ رمْزاً هذه الأَنْجمُ الشُّهْب

فَلَيْست سِنينَ العُمْرِ غَيْر عَوازِل ... تُنَافِسُنى لكنَّ قَلْبي هو القَلْب

لعَمْرُك أَنْتِ الرَّاحُ عَتَّق رُوحَها ... زَمانٌ قُصَارَاه النَّمِيمَة والشَّغْب

فدَيْتُك لَوْلا الأُمْسِياتُ لَمَا حَلا ... مَع الفَجْر ذَيَّاك الصَّبا النَّاعِم الرَّطْب

وأَعْنف مَا قَد سَاءَ يَا «مى» أَنْ أَرَى ... ظُنُونَك لَوْلا أَنَّها البَارِقُ العَذْب

فلمْ أَنْسَ أَيامَ اللِّقَا بيْن غَيْرَةٍ ... تَهُبُّ وإعْصَارٍ يُرْجِعُهُ الرَّيْــب

حنانَيْكِ هَلَّا تذْكُرِين سَوَانِحا ... طَلائِعُها وثْبٌ حوادثــها وَكْبُ

ليالي عاشَ البدرُ بينَ ظلالِها كان له مِنْ حولِ وارقه صحب

تُداعبُنا فيه ابتسامةُ ضارعٍ فيملؤنا من فرطِ بهجتِنا الرعب

ونسبح في اللآلي أما رحيقها فشهد وأما العطر من حولهاسكب

نقول معاً يا ربُّ جاوزْنا المدى إلى الشيب حتى لا يطاردَنا الشيب

وحتى نرى الأحوالَ خلفَ ظهورنا فأخشى الذي نخشاه أن يُزَحَم الصبُّ

ولم نقضِ من صفوِ الهوى ونعيمِه لبانةَ سرب حائم حوله الذئب

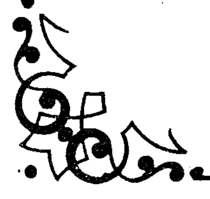
نخالسه الصفو المُتاح كأنه من الغيب أقدارٌ رمانا بها الغيب

تطوحُنا أنضاءُ ذلٍّ ولوعةٍ بَيْنٌ مُشِتٌّ دونه المركبُ الصعب

فقالت أنحن اليوم نحيا معانياً سوالفَ عاشتْ بين أعطافنا تحبو

أجل كلنا يا ميُّ ذنبٌ ولم نزل نقولُ بسرٍّ الحب ياربُّ ياربُّ

* * *



ساعة

قَـدَّمْتُها ساعَـةَ حُبٍّ عَسَى أَنْ تَعْرِفَ الفرْحَـةُ مِيعَادَها

وأَنْ أَعِيشَ العُمْرَ فِي عُمْـرِهـا وأَنْ تَرَى الأَفْرَاحُ أَعْيَـادَها

ومَا أرى الوَقْتَ مَهْما يَطُـلْ ما أَنْقَصَ الأَقْمـارَ بَلْ زَادَها

وإنَّـنى أَعْـرِف مِيـلَادَهـا مِنْ قَبْل أن تَعْرِفَ مِيلَادها

فَالرُّوحُ قَبْـلَ الجِسْمِ سَبَّاقَةٌ والشَّمْسُ لا تَجْهَلُ عُبَّادَهَا

* * *





صـــــورة

وتَزْهَو زُهْوَّ الصَّافِنَاتِ تَمرَّدَتْ
على لُجُم مَغْلوكةٍ فى رِبَاطِها

تَشُدُّ إلى أَعْلى السِّماكَيْن أَتْلعـا
وتَسْحَبُ فِي الجَوْزَاءِ فَضْلَ رِباطِها

وتَصْهَلُ لَوْلَا بُحَّةٌ رَقَّ عَزْمُهـا
خَشيتُ عَليها حَشْرَجَاتِ نِيَاطِها

* * *



التفـــاحـة

مَدَّتْ إلى الصَّدْرِ كَفًّا رخْصَةً فَبَدتْ — تُفَّاحةٌ ، عِطْرُها يَحْكى تَرائِبهــا

تَقول قَدْ أَطْلَع الرُّمانُ مزْدَهِرا — تُفَّاحةً جاوَرَتْ عِندي حَبَائِبهَا

فَقُلتُ حَسْبي تُفَّاحُ الخُدودِ جَنًى — حُلْوًا يَزُفُّ مِن الدُّنْيا أَطَايِبَهــا

أَهَكَذا صَنَعتْ حَوَّاءُ حِين غَزَتْ — أَبَا الخَلِيقَةِ تَسْتَعْدِي مَواهِبَهــا

هَل دَاعَبتْه على حُبٍّ ومَوْجَــدةٍ — أَمْ أَنَّه ذَاقَها قَبْلاً فَدَاعَبَهــا

شُكْراً لآدم للتفاحة انْبَثَقَــت — رُمَّانة لمْ نَزَلْ نَحْيا عَجَـائِبَهَا

كِلْتاهُما أَنْتِ يا حَوَّاءُ فاسْتَبِقى — غَرائِبًا طَالَما عِشْنا رَغَائِبهَــا

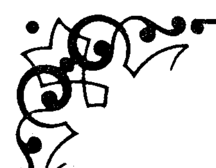
وللمى مِنْ سَمَاءِ الكَوْنِ أَنْجُمَه — فأَنْتِ دُنْيَا تَخَيَّرْنا كَوَاكِبَها

فَمِنْ أَعارِبها نُغْلي أَعاجِمَهــا — وفى أَعاجمها نَهْـوى أَعَارِبَهــا

تَكَامَلتْ وِحْدةٌ فى الحُسْنِ مُزْهِصة — بالخُلْدِ تَطْمعُ أَنْ تَلقى كَوَاعِبَها

* * *





هوى الجحيم

قالَتْ إليك هَوى الجَحِيمِ فَطَالما نَسَج الظِّلَالَ وأنْضجَ الإلْهَامـا

عَذْبُ اللَّهِيب كأَنَّ أَجَّ ضِرَامِه شُعَلٌ صَنَعْن مِنَ اللَّظى أَنْغَـاما

ومِنَ الغِنَاء عَلى شَجِيٍّ لُحُونِــه أَسْمَى بَقَاءً كَان قَبْلُ حُطَامَـا

عِزٌّ الحَياةِ مَشَاعِلٌ فإِذَا خبَـت أَبْقَتْ رَمادًا تَرْجَمُوه . سَلَامـا

وهَنَّ تَلفَّعَ فى غَلائِلِ سُنْدُسٍ شَفَّافِـهِ تَتَقَمَّصُ الأَحْـلَاما

يَا منْ هَوىَ وَتَرعْرَعَ فى الفَضا بَادِي الضَّنا يُذْكي الأَوَارَ. سَقَامًا

حتّى كأَنَّكَ في الجَوَانح خَافِقٌ أَلِف الحَياةَ ضَرَاوةً وخِصَاما

قَدْ عِشْت تَعْتَقِدُ الظَّلَامَ إِذَا بَدا صُبْحًا وكَمْ نَسَج الضِّياءُ ظَلَاما

* * *



يا مَنْ وهَبْتِ نَعِيمَه لِجَحِيمِه حُرَقًا مُعَتَّقَةً تَفُوحُ ضِرَامـا

بِهَواكِ أَعْلَيْتِ الجَحِيمَ مَنازِلًا ونَثَرْتِ عِطْرًا حَوْلَه وخُزَامى

وحَبَوْتِ أَعْمَاقَ الجَحِيمِ فَرَادِسًا طَابَتْ عَلى صَحْوِ الخُلُودِ مَقاما

ونَزَعْتِ عَن رَهَجِ الحَرَامِ حَلَالَه وعَنِ الحَلالِ المُسْتَرِيب حَرَامـا

لَوْلا اللَّظى المَشْبُوبُ فِي وَهَجِ الضُّحى مَا فَاقَ مَنْ قَطَعُوا الحَيَاةَ نِيَاما

لَـوْلا الشُّعَاعُ العبقَرِيُّ ووَمْضُه ما رَفَّ برقٌ واسْتَهلَّ غَمَـاما

ولَما شَدَى فوق الأَرَاكِ مُرَوَّع نَهْل الشَّذَى واسْتَوْقَف الآرَامـا

ولَما تنَفَّستِ الكُرُوبُ وسَبَّلَتْ دَمْعا أَحال دَواءَهُـنَّ أَوَامـا

* * *

يَا لِلْحَنِين إذا اسْتَطَال ورجَّعَتْ أَصْداءَهُ مُهَجٌ نَضَجْنَ عُرَامـا

يا لَلشَّقاء تَضِيقُ فِي لَهْواته نَفْسٌ تُمَزَّق لَوْعَةً وهُيَـامـا

يا لَلجفَاءِ رَحِيقُهُ. شَفَةُ الدُّجَى يَرعى السُّها ويُعَانِق الأَوْهَاما

ويَطوفُ حَوْلَ الرَّوضِ يَنْشُقُ عِطْره لا يَسْتَبِيحَ الزَّهْرَ والأَكْمَاما

الوَصْلُ فى حِرْمانه والقُرْبُ فى أَشْجَانه : أُفُقٌ نَأَى وتَـرَامى

يَاميُّ : زَلْزَلنى النُّهى وتَرَاشَقتْ نَظَراتُه صَوْبَ الجَحِيمِ : لِمَامـا

فى الذَّائقين لَظَى جهنَّمَ فِى غَدِ مِنْ كَافِرين ونَا كِثينَ . ذِمَامـا

وجَهنَّمٌ يا « ميٌّ » نَازعةُ الشَّوى وعَذَابُها كان الغَدَاةَ : غَرَامـا

فَعلامَ ؟ نَهْتِفُ للسَّعير ونَحْتَفِى بِحَيَاةِ مَنْ رَامُوا السَّعِيرَ : عَلَاما

هَل كَانَ مَنْ حَلُّوا الجَحِيمَ وكُبْكِبوا فِيـه جُفَاةً حَالفُوا الإِجْرَاما

ورثُوا عن الحَجر الأَصمِّ طِبَاعَه وَرَعوْا ظَلَاما . يعشقُ الظُّلَّامـا

فَعَدُوا على الإِنْسانِ فِى إِنْسَانِهِم وتَجَاهَلُـوا الآمَالَ والآلامـا

أَم أَنَّهم فَقَدُوا الحنَانَ وسِـرَّه والحُبَّ فارْتكَسُوا : وَرَاءَ . أَمَامَا

فَسَعتْ إِليهمْ فى جَهنَّمَ نَارُها لِتُهَذِّبَ الأَرْواحَ والأَجْسَامـا

فالحُبُّ فى عُمْقِ الجَحِيم حَلَاوَة تَحْكي النَّعِيمَ الدَّافِئَ البَسَّاما

ما أَخْطَأَ الفَانُونُ حِين تَلمَّسُوا نارًا تُباعدُ عَنْهُمُوا الإِجْـرَامـا

فالرُّوحُ طَار بِها الهُيام فَحلَّقت كالرِّيحِ سورتُها . تَعافُ لِجَاما

والحب بَيْن مَـدَارِه ومَسَـارِه فَوق الحَيَاةِ جَلالُه يَتَسامـى

الحبُّ خَمْر الذَّائِقين شُعَاعُه يَحْمِى النُّفُوس ويُوصِل الأَرْحَاما

الحب هَدْي العالَمين إذا استَوَى أَلْغَى الجَحِيم وعَطَّل الآثَامَـا

الحبُّ إيمانُ المَشَاعِرِ لَم تَكُــنْ أَبدًا نِبالاً تُتَّقى وسِهَامــا

أَغلى الفِداءَ فلن تجفَ دِمَاؤُه إلَّا لِتَضْحِيةٍ أَعزَّ مَقَــامــا

صُورٌ تمَثَّلَها الخَيَالُ مَشَاهِــدا وَهِي الوُجُودُ أَصَالةً وتَمَامــا

الكونُ أَجْمَعُه رَضِيعُ لِبَانِها وعَلى المَدى لا يَسْتَطِيعُ فِطَاما

فَهِيَ الحَقَائِقُ جَوْهَرا ولطَافَةً وهِيَ الحَيَاةُ بِدَايةً وخِتَــامــا

• • •



طَعَنَتْ بِنهْدَيْها العُبَابَ : فخِلْتُه نِصْفًا ونِصْفَـا

وتَكسَّر المَوْجُ . . المُعَرْبِدُ ذَائِبا أَمَلًا وعَطْفَـا

وتَندَّتِ الأَزْهَار من خَجَلٍ تَمُدُّ يداً وكَفَّـا

وتـأَلَّقَتْ فِى الضَّفَّتيْن فأَحْدثَت فِى اليَمِّ رَجْفَـا

وتَبسَّمـتْ فانْهَـلَّ منه غَمامَةٌ سحَّاءِ وطْفا

وبَدَا الهِلالُ التِّمُ يَسْأَل أَيْن أَلقَاهَـا وكَيْفا

وتَنَهَّدت لَهْفَى تُعَانِقُ انجما رَغْنَاءَ لَهْفَـى

يا لَلْمَهَا لَوْ أَنَّها كالحُورِ عاشَتْ حُسْنَها فى الخُلْدِعَفًّا

مَشْبُوبَة الجمرات ضَمَّت أَهْيَفًا عَجَبا وهَيْفَـا

وتَنَسَّمَتْ أَرَجَ الخَمَائِل عَابِقًا نَشْرًا ولَفَّـا

بَيْضاءَ تَهْتِفُ لِلْمُنى المَسْكُوبِ عَسْجَدُه المُصفَّى

أَعْطافُها الدِّيبَاجُ تَقْطُرُ بَهْجَةً وتَسِيلُ لُطْفَـا

فى رَفْرَفٍ خُضْرٍ حِسَان تَقْطِف الآمَال قَطْفَـا

سَكْرى بأَنْغَامِ الرَّبِيع كأَنَّمَا أَغْفَت وأَغْفى ...

رَيًّا : مِن البَسَماتِ تَعْتَصِر الغَمَامَ هَوًى وعَطْفـا

وتَجُولُ فِي ورْدِيَّةٍ حَمْرَاء تَحْسَبُها مَع الأَحْلامِ طَيْفا

لَيْتَ الغَوَانى فِي السَّدِيف هَتفْن لِلْفرْدَوْس هَتْفا

وخَطَرْن كاللَّمحَاتِ كالنَّغَمِ الشَّجِىِّ صَدًى وعَزْفَا

وسَبحْنَ كالإِلْهَامِ يَحْتَضِنُ الرُّؤى صَفًّا فَصفًّا ...

ومشَى بِهِنَّ الهَيْدَبى عُمْرٌ وقَاه الله حَتْفَـــا

لا رَنْقَ : لا سَأَمًا يُمِلُّ ولا محاذَرة وخَرْفَا ......

تِلْك الأَمَانِى الصَّافِنات جَلْوتُها للغِيدِ وَصْفَـا

* * *





أوبرا رائعة

مقدمة :

هذه القصة من واقع الحياة فى تاريخ أدبنا العربى الصميم يسرنى أن أهديها لوزارة الأعلام تحية للتليفزيون العربى السعودي متمنياً أن ينهض مسرحه الناشئُ بأمثال هذه التمثيليات النابضة العتيدة من تراثنا العربى العتيد ومجدنا الأدبى الشامخ المجيد فليس فى التمثيليات الغربية المترجمة ما يستطيع أن يقف فى السفح من هذه القمم الخالدة وليس لى من فضل إلا نظم هذه القصة كما قرأتها مروية عن كتاب مصارع العشاق صفحة ٢٤٩ وهكذا النظم منسوخا مُتصرفاً فيه بعض الشئُ .

النــاظم

هذا الجَحِيمُ العبقريُّ سَطَا كما يَسْطو القَـدر

ومَشَى على رَجْعِ الزَّفِيـرِ يَسُـوقُه لِلمُنْحَـدَر

مُتَحـدِّيا بِهَـواه عَادَاتِ البَـداوَةِ فِى الحَـذَر

والحبُّ غَـلَّابُ يدُوسُ الصَّعْبَ يَهْـزَأُ بِالخَـطَر

يَلْـقَى الأَسِنَّـة والحِـرَابَ كأَنَّما يَلْـقَى المَطَر

* * *

هُـو : لَمْ يَلْق بُـدًّا مِنْ تَلمسِ قُربِهَا عِنْدَ السَّحَـر

فى خِـــدْرِها فى نَوْمِهـا ما بَيْن أَخْوَتِها الأُخَر

هى : فَتَحتْ عَليْـه العَيْنَ فَانْهَلَعَتْ وصَاحَتْ فِى خَفَـر

ويْلك : انْصرِفْ أَو رُحْتُ أُوقِظُهُم فَتُمْسي فى الحُفَر

هــو : فَيقُـولُ أُقْسِـمُ لَلَّمَحَـاتُ أَحَبُّ مِن وَخْزِ الإِبَر

فَلْتُعْطِـنى الكَفَّ الهَنِىَّ أَضُمُّهـا ضَمَّ الثَّمـر

هى : ويَجُـرُّ ثَانِيـه هَـوَاه إِلى ضَــوْءِ القَمَـر

هــو : لِيَقُـول هَلْ مِنْ لَحْظَـةٍ أَحْيَا بِها أَحْلى العُمر

أَدِرْ الرَّحِيـقَ ولَنْ تَريْ لِى بَعْد ذلك مِنْ أَثَر

هى : وإِذَا بِـه قَدْ حلَّ نَارًا فِى حَشَــاها تَسْتَعِـر

الحى : وإِذَا بِأَهْلِ الحَىِّ قَـد رَامُوه شَرًّا مُسْتَطَـر

وتَوعَّـدُوه فَـلَمْ تُطِـقْ صَبْرا وأَعْطَتْـه الخَبَر

وتَأَهَّبُـوا لِلْفَتْـك فِى لَيْلاَءَ تَقْـذِفُ بِالشرر

هــو : وتَأَهَّبَ الصَّبُّ المُغَامِرُ وهْـوَ ذُو كَـرٍّ وَفَــر

مُتَـوشِّحًا قَوْسًا وأَسْهُمُـــه ظِمَـاءٌ تَنْتَظِـــر

فِى مَكْمَنٍ مِنْ حَيِّــها والحىُّ يَقْدَحُ بالشَّرر

منظر : لَكِنَّ أَمْرًا مِن ورَاءِ العَقْــل دَبَّــرَه القَــــدَر

بَرْقٌ وسارِية تَبُثُّ بِمــاء مُــزْنٍ مُنْهَمِـــــــــر

طَربَتْ رُبُــوعُ الحَيّ فَرْحَى بِالرَّبِيــع المُــزدهِر

فَلَهُــوا عن الليْثِ المحرَّم فِى الظَّلامِ المُعْتَكِر

ونسُوا ، وعيداً أَرسلوه ففاتهم دركُ الوطر

ومضى الدجى إلا الأَقل فوصوصتْ تلك الدرر

وتَقشَّعتْ قِطَـــعُ السَّحَابُ عن الضِّياء المنتشِر

هى : فَتنهَّــدتْ تِلْك الحِصَــانُ تَشُــوقُها نَجْوى السَّمَر

وتَذكَّرتْ مَنْ حَــام أَلا تَدْرِيه أَوْردَ أَوْ صَـــدَر

وتَخــــطَّرت تَمْشِى الهُــوينــا لِلِّــقَاء المُنْتَظَر

نَشَــرتْ غَدَائِرَها فَصَــاح العِــطْرُ وانْتَفَض الزَّهَر

هــو : ويَطِــيرُ لُبُّ الرَّاصِــد الوَلْهَـــان يَحْسِبُها « الغِيَر »

ويُسَـــدِّدُ السَّهْــمَ العَقُــورَ لِمُهجَــةِ الصُّبْحِ الأَغر

لِهــواه للأَمَــلِ الحَبِيبِ لِخَافِـــقٍ لمْ يَسْتَقِـــر

هي : وتَخِـرُّ صَرْعى لِلِيَـــدِين يَلُفُّــها أَلَـقٌ سَفَــر
وتَضـرَّجَتْ بِـدَمٍ فَنَـــاح الشَّـدْوُ وانتَحب الوَتَر
وجَـرَى العَقِيــقُ إلى العَقِيــق وجَفَّ فى العَيْن الحَوَر
فَتَكَسَّــر الدَّمْـعُ الحَـزِينُ ونــورُ مُهْجَتِه انْكَسر
وعَوَى الصَّدَى وسَرَى الدُّجَى بِحَنِــين قَلْبٍ منْفَطِر
هــو«١» : نَعَبَ الغُـــرَابُ بِما كَرِهْتُ ولا أَزَلْـهُ القَــدَر
تَبْـكِى وأَنْتَ قَتَلْتَــــها فاصْـبِر وإلَّا فانْتَحِر
وأجال فيـــه نصـــالَه مثلَ المدي تبرى الظهر
الحى : وأتَى العُـداةُ فأَبْصَـرُوا الإعْجَـازَ فى لَـمْح البَصَر
شَمْسٌ أَفَاضَتْ للغُــرُوبِ وحَــوْلها أَغْفى القَمَــر
لَفُّــوهُمَــا فى هَــالَةٍ سَطَعتْ لِأَمْر قَدْ قُدِر
العاشقان : فَاقَا على عُمْق الحَيَــاةِ تَضِج فى بَطْن الحُفَــر
الحى : ودَرى الجَفَــاةْ بِأَنَّ سِرَّ الحُبِّ مِنْ سِــرِّ القَــدَر

* * *

هِىَ قِصَّـــةٌ عربيـــةٌ مِنْ غَابِرٍ لَمْ يَنْـــدَثِر

مِنْ واقِـعٍ جَـمٍّ الرَّوائِـع قَـدْ شأت أَعْلى الصَّور

لــو مُثِّلَتْ لَسَمَتْ عَلى كُلِّ التَّرَاجُمِ والسِّيَر

« أوبْرَا » تَفُــوقُ مُتَرْجَمَـاتِ الغَرْب إِلَّا مَا نَدَر

يَا لِيْتَــها لِلمَسْـــرح العَــرَبِىِّ فاتِحَةُ السُّـوَر

* * *

(١) البيتان من نظم العاشق صاحب القصة

قطوف وألوان

ورَشْفَةٌ مِنْ لَهِيبِ الوَجْدِ تُشْبِهُه كأَنَّها الوَجْدُ أَخَّاذًا وعَطَّاءَ
فإنْ جهنَّم حَاكَتْه لَظًى وجَوًى فَقدْ أَخَذْنَا عَليه : سَرَّ أَوْسَاء
قَالُوا هِى الدَّاءُ أَعْيَا الطِّبَّ لا حَذَرٌ يَقِى الهُيَامى ولَوْ كَانُوا أَطِبَّاء
وإنَّها السِّحْرُ لا تُبْدِي بَواطِنَه إلا مَلامِحَ تَحْكِي الوَمْضَ إيمَاء
فَقُلتُ كَم مِنْ دَواءٍ قَدْ طَوَى عِلَلًا والدَّاءُ إن رُضْتَه : لَمْ تُلْفِه دَاء

* * *

جامعى يتوسل

وَجَاءَ يُثْقِلُهُ عِبْءٌ يَنُوءُ بِه مِنْ صَحْنِ جَامِعَةٍ غَنَّاءَ لَغَّاء
وفِيه مَا فِيه هَمْسٌ لا يُكَفْكِفُه إلَّا أَسًى لَفَّ فِى عِطْفَيْه أَشْيَاء
تَلقَّفَتْه رُؤُومٌ فِى جَوانِحِها أَمَالُ راجيةٍ كالطَّيْفِ « حَنَّاء »
فَقال يَا أُمِّ هَيَّا أَسْرِعي قُدُماً صَوْبَ الَّتى حذِقَتْ أَسْرَارَ حَوَّاء

واستَعْبَرت : أَهوَى ما زِلْتَ تَعْلِكُه ... ونَحْن خَلْفَك فى عَشْواءَ لَخْياء

نَغَصَّ بِالمَاءِ نَسْتَحْـلِى غَصَاصَتَه ... وكَمْ أَسِفْنَا عَلى رَجْوَاك : لَأْوَاء

فَكَيْف نَعْتَاضُ عَنْ عَلْيَاءَ بَاسِمَةٍ ... بِبَارِق اللَّهْو فى أَعْطَافِ غَيْداء

أَهكَذا أَنْتَ تَقْضِى العُمْرَ فى عَبَثٍ ... أَهكَذا أَنْتَ روَّاحًا وغَـدَّاء

وهَبَّ يَصْرُخُ يا أُمَّاه ما دَرِيَتْ ... بِالحُبِّ نَفْسِي فِيمَن رَاحَ أَوْ جَاء

ولَمْ يُداعِبْ جُفُونى قَطُّ فِى حِلْم ... فالحُبُّ كالْمَوْتِ يَعْتَـامُ الأَعِزَّاءَ

لَكِنَّ تِلْكَ التى قَدْ رُحْتُ أَسْبِقُها ... إِلَيْكِ بالوَصْفِ مَعْنًى يُشْبِهُ الماء

فإِنَّها حَرَمُ «الدُّكْتُور» فِى يَدِها ... إِنْقَاذُ أَلْفِ فَتًى بالعِبْءِ قَدْ ناءَ

يا أُمِّ لوْ أَنْتِ قد أَبْصَرْتِ مَوقِفَه ... فى المَدْرجِ الرَّحْبِ مِثْل اللَّيْثِ عَدَّاء

وكالخِضَمِّ على أَمواجِه ثَبَجٌ ... يُغْرِي بِجَوْهَرِه المَكْنُـونِ إِغْرَاءَ

لكِنَّهُ مِثْلُ أَهْلِ اللهِ تَنْقُـله ... حَالٌ : لِحَالٍ وضَرَّاءُ : لِسَرَّاء

فإِن تَبَسَّم قُلنا اللهُ شَاءَ لَنـــا ... خَيْـراً وإِلَّا فإِنَّ اللهَ مَا شَاء

والسِّرُّ فى اللَّحْظَةِ الأُولَى لِمَقْدَمِه ... فإِنْ مُطِرْنا : بِنَوْءٍ : كَان جَوْزَاء

فَيَحْمِيَ دَارَها لَيْلا فإِنَّ غَـدًا ... مِيعَادُنَا مَعَــه لَوْرَقَّ أَنْـداء

تَلطَّفِى مَعَها فى القَوْل وابْتَدِري ... لَها الرَّجاءَ فَما قَارفْتِ نَكْراء

ما نَبْتَغي أَبدًا مِنها وسَاطَتَها ولا شَفَاعَتَها حَتَّى ولَوْ رأي ....

وكُلُّ ما نَرْتَجيه أن تكُونَ بِه رَفِيقَةً لِيَرى الأَشْياءَ أَشْيَاءَ

وأَنْ يُغَادِرَ بَيْتَ العِزِّ مُؤْتَلِقًا فِي طَلْعَةٍ بالرِّضا والأُنْسِ قَمَراء

فأَيُّ عكْنَنَة فى البيْت تُزْعِجُه تَذِيقُنا لَيْلَةً تَعْسَاءَ غَمَّاء

ويَا لهَا سَاعَةً للبَخْسِ لَوْ صَحِبَت تَمْزِيقَ أَرْواحِنا : أَشْلَاءَ : أَشْلَاء

وإِنَّ أَرْوَاحَنا الأَوراق فِي يَدِها وإِنَّ تَصْحِيحَها : تَجْرِيعُنَا : الدَّاء

واسْتَضحكَتْ أمه واستَذْكرت نِقَمًا جَرَى بِها الشُّؤْمُ أَخْبَاراً وأَنْبَاء

ولَفَّعَتْ نَفْسَها تَلْفِيعَةً عَجَبا واسْتَجْمَعتْ وهْنَها : تَنْجَرُّ : إعياء

قاضيـــة

شاهَدْتُها فوق كُرسي الحُكْم واجِمَةً فأَلْمَحُ القُرْطَ كالغِيرَانِ شَكَّاء

قولي : أُذْنِي كمْ : حَمَّلْتُهَا رَهَقا كَانَتْ لِهَمْسِ الهَوَى يَنْسابُ : دَعَّاء

قُولي لَهُ يَنْسَحب عَنْ مَوْطِن قَلِق إِلَّا على القُرْط إِشْرَاقًا ولَأْلَاء

واسْتَضْحَكَ القَلْبُ مِنْ أعماقِه وبَكَى على النُّهى خَافِقٌ مَا زَالَ بكَّاء

فَشمتُ «أَنثى» اسْتَراحَتْ فى أُنُوثَتِها تُطَارِدُ الوَهْمَ هَـدَّاما وبَنَّاء

ولوَّحَتْ باليَراع الحُلْوِ مُنْسَرِحا عَلى المَشَاعِر إِرْوَاءً وإِظْمَاء

تَقُول حَسْبِى آفَاقًا أَصُول بِهَا عَلى العَواطِف إِقْصَاءً وإِدْنَـاء

وحَسْبِيَ المَجْدُ فى حُسْنٍ أَدِيرُ به أَعْتَى الرُّؤوسِ وأُمْلِي الحُكْمَ إِمْلاء

العائدة

قالتْ إلَيْكَ فإنَّنِي ظَمْأَى لِأَيَّامي لَدَيْك

أَيَّامَ تَبْسُمُ لِي الحَيَاةُ فَأَسْتَرِيحُ رِضًا إلَيْك

وأَعُبُّ مِنْ أَلَقٍ تَهَلَّلَ بَاسِمًا فِي نَاظِرَيْك

أَنْسى العَذَابَ بلَحْظَةٍ فِيهَا أُوَسِّدُ سَاعِدَيْك

وهَوَى الحَنَانِ أَحُسُّه أَمَلًا تَرَقْرَقَ فِي يَدَيْك

وأَلَذُّه وهْمَ الدَّلالِ بأَنَّه حَقٌّ عَلَيْك

* * *

وأُحِبُّ أَمْرَكَ إذْ أَثُورُ وأَنْتَ تَحْلُمُ رَاضِيا

فَتَهُزُّ فِيَّ بِمَا تُكِنُّ مِن الوِدَادِ وِدَادِيا

لِتَقُولَ إنَّكَ قَدْ أَسَأْتَ وما خُلِقْتَ مُآسِيا

وتَغُضُّ طَرْفَكَ حَانِيًا وتَرُدُّ دَمْعَكَ بَاكِيا

واليَوْمَ شَطَّ بِكَ المَزَارُ فَضَاقَ بَعْدَكَ حَالِيا

عُلِّمْتُ أَنِّي لَنْ أَرَى فِى الأُفْقِ نَجْمًا صَاحِيَا

أَأَقُولُ عُدْ بِى لِلحَيَاةِ فَما عَهِدْتُك قَاسِيا

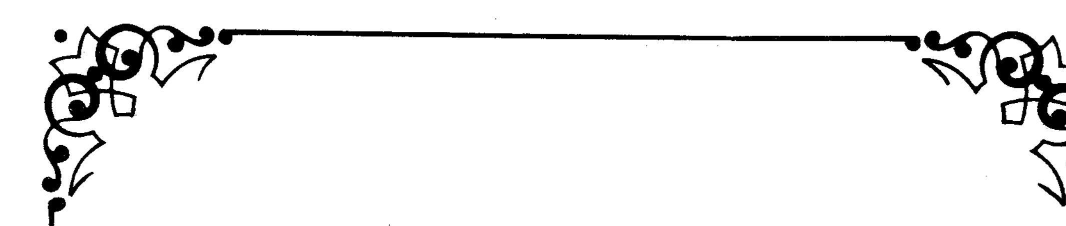
حَتَّى جَفَاكَ فإِنَّه أَضْحَى لَدَيَّ أَمَانِيا

* * *

فأَجبْتُها كالأَمْسِ واهِمَةٌ ؟ فَعُودِي ثَانِيا

بِأَبِيكِ بِالحُبِّ العَظِيم تَرفَّقِي بِحَيَاتِنا

• • •



المتشائمة

قَالتْ غَريبٌ أَنْ أَرَاكَ اليَوْمَ تَسْبِق مَـوْعِـدَكْ

مُتَخَفِّفا مِن كُلِّ قَيْدٍ « بالمَوَاجب » قَيَّــدَك

مَاذا ؟ أَمَسَّك مِنْ دَبِيبِ الشَّك سَهْـمٌ أَقْصَـدك

أَمْ طَافَ حَوْلَك طائِفٌ للبَيْنِ هَاجَ تَوجُّــدك

إنْ غَالَ يومَكَ طَارِقٌ فاسْتَبْـقِ للنُّعْمَى غَـدَك

هِي زَوْرة غَاظَت عِدَايَ ولَـمْ تُوفِّرْ : حُسَّــدَك

* * *

ومَضَتْ لحُجْرتِها وغَابَت فاسْتَطْلَعَتْ غُيَّـابَها

وعَجِبْتُ هَل للعِطْر راحَتْ . كَيْف أَطْرُقُ بَابَهـا

قَدْ كُنْت إنْ مَرَّتَ دَقائِقُ أَسَتَحِـثُّ إِيَابَهـا

فَتَعُودُ بِالأَرجِ الَّذِي فَاقَتْ بِـه أَتـرَابَهـا

عِطْرٌ تَـدِلُّ بِه إذَا خَطَرتْ تُغِيـرُ صِحَـابَهـا

نَضَحَتْ بِه أَلَقَ الشَّبَاب مَلامِحَا وَمَشَابهـــا

لمْ تَدْرِ أَن شَذى الرَّبيع على الخَمِيـلِ وَشَى بِها

* * *

وسَمِعْتُ عَنْ كَثَب أَنِينًا شَفَّ عَنْه نَحِيبُهـــا

ودَلِفْتُ أَسْتَوْحِي النَّحِيبَ طَغَى عَليْه وَجِيبُهـا

فَلمحْتُهـا سَكْـرى تَورَّدَ فِي الخُـدُود لَهِيبُها

وغَمَامَةٌ وطْفَاءُ نَضَّرَ حُسْنَهـا : شُؤْبُوبُهـــا

* * *

وَسَهِرْت أَسْتَجْدِي المَلِيحَـةَ سِـرَّها وسِرَارَهَا

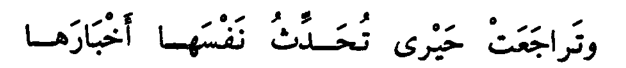
وسأَلْت لَـيْتِي ما سأَلْتُ ومَا ابْتَدَرْتُ بِدَارَها

فـكأَنَّنِي بِيَدي أَمَطْتُ لِثَامَهـا وخِمَارَهَـــا

وأَخَـذْتُ أُلْحَفُ بِالسُّؤَال فَهيَّـجَ استِعْبَارَهـا

وتَصَبَّبَتْ عَرَقًـا فَرَقْرَقَ كالأَصِيلُ نُضـارَهـا

وتَمَاوجَتْ فِي الشَّعْرِ خَصلاتٌ تَحُـلُّ ضِفَارَها



وتَراجَعَتْ حَيْرى تُحَـدِّثُ نَفْسَهـا أَخْبارَهـا

* * *

وتَصِيح عِطْرِي قُلْتُ ما لِلعِطْر أَنْـتِ عَبِيـرُه

وتـأَوَّهَتْ أَنِّي . . . فَقَدْتُ العِطْرَ : عَزَّ نَظِيـره

كُنْت الضَّنِينَ بِهِ فَلَسْتُ لِمَنْ يَكُونُ أُعِيـرُه

ورَكضتُ أَعْبِق كَيْ يَطِيبَ شَذَي اللِّقاءِ وَنَـوْرُهُ

وَقارُورَتِي[1] الخَضْراءُ سِرٌّ وِدَادِنَـا وَضَمِيـرُه

وقعتْ فَطَارَ . . . العِطْرُ طَارَ قَلِيلُـه وكَثِيرُهُ

هِيَ مِثْلُ نَفْسى إنَّها ذِكرَى الهَوى وشُعُـورُه

هِيَ أَنْتَ فى المَعْنى الـكَبِير : خَفِيّه وأَثِيـرُه

أَصْفَى مِن الرَّاح . . . . المُصَفَّى عَذْبُه ونَمِيرُهُ

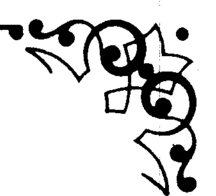
خَمْرٌ يَمُوجُ بِعِطْرِهِ كأْس عَلَيْـك أَدِيـرُه

أَفَلا أَخَاف ؟ أَلا يَحِق لِي الأَسَـى وزَفِيـره

والوَهْم مِنْ شِيَمِ المُحِبِّ إذَا جَفَـاه سُـرُورُه

* * *

(١) الواو هنا زائدة تكسر وزن البيت : فالواجب كما أرى حذفها (المحقق)



فأَجَبْتُ أَنْتِ العِطْرُ أَنْتِ شَذَاه بَـلْ إِكْسِيـرُه

أَنْتِ الوَفَاءُ جَمَالُه وسَنَاؤُه وحُبُوره . . . . . .

أَنْـتِ الرَّجَـاءُ تَشَعْشعتْ آفَاقُـه وبُـدُورُه

بِهَواكِ ما أَهْرَقْتِ مِنْ عِطْـرٍ فَدَتْكِ بُخُـورُه

قَـد جِئْتِ بالمَثَلِ الـكَرِيم يَرُوعُنَا تَصْوِيرُه

وجَلَوْتِ حَوَّاءَ . . . . الزَّمَان يُجِيرُها وتُجِيـرُه

وبَدَوْتِ عُنْوَانَ الـكِتَاب جَنتْ عَلَيْه سُطُـورُه

وطَلَعْتِ كالأَمَـل النَّضِير فَمَا يَجِف نَضِيـرُه

وشَدَتْ بِحُسنِكِ إِذْ تُغَرِّد فِي الخَمِيـلِ طُيُـوره

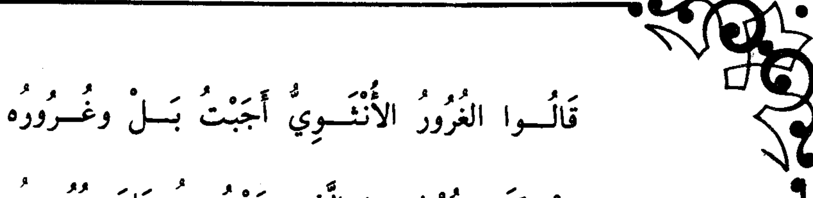
وحَـكَاكِ فى الأَلَـق النَّدِيِّ دِمَقْسُـهُ وَحَرِيـره

* * *

فَدَعِي التَّشَاؤُمَ جانِبًا فَاليُمْنُ أَنْـتِ بَشِيـرُه

حَـوَّاءُ إِنْ عَبَقَتْ بِعِطْرِك : فالخلودُ مَصِيـره

فالحُسْنُ أَنْتِ كِيَانُـه ولِيَـاذُه وَمصِيـرُه



قَالُــوا الغُرُورُ الأُنْثَــوِيُّ أَجَبْتُ بَــلْ وغُــرُورُه

لوْ كَان يُعْطِيهــا الَّذي تَرْجُــوهُ دَامَ حُبُــورُه

ولَطَابَ فِي كَنَفِ . . . الحَيَاةِ رواحُه وبُــكُوره

والحبُّ يُعْطِي القلبَ خفقا : ما أُذيبَ كُفُــوره

يَجْفُو الحَيَاةَ على المَدَى مَنْ لَمْ يُطِقْه : عَشِيرُه

* * *



صـــــورة

يا أَجْمَل الغِيدَ حُلَّــهْ وأَحْسَنَ البِيضَ « لِمَّـه »

كالفَيْءِ حَـرَّك ظِلَّـــه فى الأَثْل نَجْـم ونَجْمـه

قَـدْ حَامَ يُطْفِئُ غُلـــه مِـــن الشُّعَـاعِ بلَثْمـه

فَهَـابَـهُ وأَجَلَّـه . . . . . وبالذِّرَاعَيْـن ضَمَّـــه

* * *

مَـنِ الشِّفَا ؟ قال « يَالَهْ » فِي بُحَّــةٍ ذَات نَغْمَــة

ما شُفْت : فى الحَيِّ مثلَـــه كَـظَبْيَةٍ عِنْـد قِمَّــة

كالزَّهْـر يَرْشُـف طَلَّـــه كَالْبَدر شَارَف تِمَّـــه

* * *

سَاءَلْتُ مَنْ رَامَ وصْلَـهْ قَالُـوا نَصِيبٌ وقِسْمَــةْ

ما ضَرَّ لَوْ حَـامَ حَوْلَـهْ راعـى وفَـاءٍ وذِمَّـــةْ

فَخفَّ يُسْنِـد رِجْلَـــهْ شيْـخُ لَه نِصْفُ عِمَّـــةْ

وجَـرَّ سَيْفًـا وسَلَّـــهْ ... فَـكِـدْتُ أَشْـرَبُ دَمَّـه ..

والرِّيـم فى ظِـلِّ نَخْلـةْ ... يَـرْعـى الخُـزَامى وأُمـهْ

وصَـاح بِى الشَّيْـخ خلـه ... « فَتَى » حَـوَايـا « ونجمه »[1]

وَسَـلْ أَهْـلِـي وأَهْلَــه ... فَلَيْس فِـى الأَمْـرِ حُرْمَـة

أَتَّـى مِـنَ الأَمْـر حِلَّـه ... عَمِّـى تَلاقَـى وَعَمَّـــه

والمثْـلُ يَخطـب مِثْلَـــه ... وَنَـوَّرَتْ مِنْـه بَسْمَـــهْ

فَصِحْـتُ ذَا الْحِين : أَحْلَى ... قَالَـتْ مِـن الغَدِ . ثَمَّـة

* * *

(١) أسماء أمكنة بالطائف وضواحيها

كفكف دموعك

هَبْنِي الحياةَ وخُذْهَا أَحَسُّ فِيها حَيَاتَك

وتَلْمَسُ الرُّوحَ مَعْنَى يَغِيظُ مِنْكَ عُداتَكْ

فَطَالَما لوَّعُونى بِأَنَّ حُبَّكَ وهْم

وَلَيْسَ روْحًا لِرَوْح

• • •

فَاهْزُزْ عليهم قَنَاتَك وكُنْ صَلِيبًا عَنِيدا

ولا تَبُثَّ شَكَاتَك . . . . لِمَن يَرَي الخُلْفَ عِيدا

هَبِ الأَعادِي روانك فالحُبُّ عَذْلٌ ولَوْم

فَدَتْكَ نَفْسِي ورُوحِي

• • •

دَعْهُم وكَفْكِف دُمُوعَك ما بَيْن عَيْنِى وحِسِّي

فأَنْتَ أَغْلَى حَبِيبٍ وأَنْتَ تَوْأَمُ نَفْسِى ...

• • •

سَعادَتِي فـي هَنَائِك والظُّلم شَهْدُ وظَلْمُ
يَا بَلْسَمًا لِجُرُوحِي

• • •

الحبُّ أَغْلَى الفِداء والحبُّ أَسْمَى العطاءِ
فـي نَظْرة كَالرَّجَاء فـي فَرْحَةٍ باللِّقَاءْ
السُّقْم فِيه دَوَاء . . . . والبُرْءُ عِنْدِيَ سُقْم
صَحِيحة كَالجَرِيح
وكَمْ سَعِدْتُ بِبُعْدٍ وكَمْ شَقِيتُ بِقُرْب
إني كَظِلِّك وهمٌ فالصَّحْوُ فِي الحُبِّ غَيْمُ

• • •

رشح العناقيد

نُورُكِ العَذْبُ كَالهُدى المُطْمَئِن سِحْرَيٌّ الأَنْدَاء حُلْوٍ أَغَــنّ
تتَحَرَّاهُ فى السَّحائِبِ آهاتُ حَيَاري فَتستَهِــل بِمُـــزْن
ويَرُشُّ الضُّحَى على الأَلَــقِ الصَّاحِي عَقِيقًا مُطَرَّزًا بِلُجَيْــن
فى التَّسابِيحِ فى الأَمَان . . . السَّخِيَّات دَوَانِي القُطُوف للمُتمَنِّي
يا بِلَادِيَ وانَتِ رَشْحُ ... العَنَاقِيدِ ونَفْحُ الشَّذَى وقُرَّةُ عَيْن
شَعْشَع الْخُلْدُ فِي صِبَاحِ التَّرانِيم فَعَادَتْ رُباكِ جَنَّــاتِ عَدْن
فالصَّحارِي البَيْضَاءُ فِيكِ ابْتِهال . . سُنْدُسِيٌّ كَأَنَّه نَسْجُ لَحْن
واليَوَاقِيتُ فى فَمِ الفَجْر تَنْسَابُ أَنْسَامُها كَأَنَّها ظِلُّ جِفْنِ
والمَعَانى بِرَقْصة الأَمَلِ البَاسِم فى مَوْكِبِ الحَيَاة تُغَنِّـــى
يا سَقَا الله فى رِحَاب القَدَاسَاتِ طُيوفًا مِن الهَوي المُسْتَكِن
يا رعَى الله فى الدمُوع الكَرِيمات مَصَابِيحَ مِنْ جَمَالٍ وفَــنّ
وادِيًا أَشْرَقَتْ عليــه النُّبُوَّاتُ فكَانَتْ أَبْهى غَلَائِل حُسْــن
فإِذَا لَاح فِي الرُّؤي غيرُ ذِي زَرْعٍ فَقَدْ عَاش فى ظِلَالٍ وأَمْن
وطَنِي إِنَّها القُلوبُ حَوَالَيْك فَدَعْنِي أُقَبِّلِ الأَرْض دَعْــنى
إِنَّ فى هالَةِ الجَلَالِ جَمَالاً أَنَا أَخْشَى عَليه وَهْمِي وظَـــنِّى

• • •

قلب الحب

جاءَتْهُ يُثْقِلُهَا هَمٌّ تَنُوءُ بِـه ... حَيْرَى تُمزِّقُها أَطْيَافُها السُّود

العِيُّ يُلْجِمُها والرُّعْبُ يُفْزِعُها ... والصومُ يَبْرُقُ فى أَحْشَائِه العيد

قَالت لكَ الْعُذْرُ آثامى لَقدْسَبَقَتْ ... إِلَيْك طَارَتْ بِها الآفاق والبِيد

ولَسْتُ تِلكالتى قَدْ كُنْتَ تَحسَبُها ... مِنَ المَلَائِك تَرْعَى ظِلَّها الغِيد

فأَرْسلِ القَلْبَ فى لَأْلاءِ أَدْمُعِه ... وفِى شِكَاةِ الهَوَى بالحُبِّ تَضْمِيد

كأَنَّ إشفَاقَها تَعْوِيذَةٌ حَصَبَتْ ... بِهَا العَوَاذِلَ لَا عَادُوا ولَا عُودوا

قلتُ أَنْتِ التى أَسْعَى لرُؤْيَتِها ... وأَنْتِ فى نَسَماتِ الفَجْر تَغْرِيد

ظَنَنْتُ سُوًّا بِنَفْسِينا وما اعْتَلَجَت ... فِيك الخَوَاطِر إِلَّا وَهْىَ تَنْهِيد

فَوْق الْمَشَاجب مَعْنًى لا تُمَثِّلُه ... إِلَّا سَجَاياكِ تَحْكِيها العَنَاقِيـد

والوَهْمُ مُذْ كَان قَتَّالٌ وأَيْسَرُه ... وَهْن تَحَرَّاه شَيْطَانٌ وعِرْبِيـد

والحُبُّ أَصْونُهُ أَشْقَاهُ شَنْشَنَـةً ... قَبْلِى وقَبْلك عَانَاها المَعَامِيـد

والحُسْنُ لم يجنِ لكنَّ الجُنَاةَ عَلى ... طُولِ الطَّرِيق هُمُوا أَطْيافُه السُّود

قَدْ يَجْبُن الحُسْنُ يَالَيلى على ثِقَة إِذَا تَرنَّح فى المِضْمَار رِعْدِيد
وذَاكَ شأْنُك ماأَسْمَاه فاصْطَبِري الذئبُ يُطْرَد لَكِنْ يُكْرَم الصِّيدُ
والحبٌّ يعْتَقِل الآثامَ طَائِعـة إِذا تـأَلَّق فى مَغْنَاه صِنْـدِيد
و كلٌّ جَارِحةٍ فيه وَجانِحَة رجْعٌ مِن المَلإِ الأَعْلى وتَرْدِيد
الرُّوحُ تَخْفِقُ فى أَعْلى ذَوَابَتِه والقَلْبُ أَلْحَانُه تِلك الأَغارِيد
الله فى القلب يالَيْلى فمااصْطَفَقَتْ إِلَّا عَلى مَوْجَهِ الحُلْوِ الأَنَاشِيد
خُذِي بِه أَوْ دَعِي فالْكَوْنُ آيتُه والحبٌّ غَايتُه والشِّعْر غِـرِّيـد
مافِي الهُيُولِي وإِن جَلَّتْ سِوَيَ شَبَحٍ وَلوْ تـأَوَّدَ غصن وازْدَهَى جِيـد

* * *

الفلة البيضاء

وإشْعَاعَةٍ خِلتُها فُلَّةً تخَلَّتِ المَفْرِقَ الزَّاهِيا

فإنْ بَسَم الثَّغْرُ عَنْ مَاسَةٍ أطلَّتْ تقُولُ ابْتَسِم ثانِيا

فإنّى مِنَ الفجْر لَمَّا بَدَي هَربْتُ أُلمْلِمُ أذْيَالِيَا

فأَصْبَحْت طُرَّةَ هَذَا الجَبِين وأَلْبَسْتُه تَاجِيَ الغَالِيا

فَيَا مَازِجًا بالسَّنَاءِ السَّنَا وهَبْتَ الشَّذَى غَالِيًا عَالِيا

صدقت

صَدقتِ ومَنْ يَجْرُؤْ على غَيْر نَفْسِه تَضِقْ بِمُنَاهُ نَفْسُهَا وهْيَ نَفْسُه

رَجَوْتُك كالراجِي نداك وإنَّنى ثَريٌّ بِمَعْنى فِيكِ كُنْت أُحِسُّه

وما زِلْت لَوْلا أنَّ للوَهْم خطْرَةً يَدُورُ لَهَا قَلْبُ المُحِبِّ ورَأْسُهُ

وتَثْأَرُ للحِسِّ الخَفِيِّ جَوانِحٌ يَضِجُّ لَهَا يومُ الوِدَادِ وأَمْسُه

فما كُلُّ غَرْسٍ فى المَوارِدِ نَاضِرٌ ولا كُلُّ ظَامٍ جَفَّ فِي الرَّوْضِ غَرْسُه

جان سارتر والجائزة العالمية

يَقُولُون عَنْ « سَارْترٍ » إِنَّه تَـأَبَّى عَفَافًا عَنِ الجَـائِـــزَة

لِئلا يُقَيِّدَ لَحْنُ العَطَاءِ مَقَاطِعَ أَوْتَارِه البَـــــارِزَة

فَيُحْــرَمَ شَمْخَتَهُ الرَّاكِــزة ويَفْقِــدَ هَبَّتَــه الحَـافِـزَة

ومَا النقصُ إلا ادِّعَاءُ الكَمَالِ ونَشْوَةُ خَمْرٍ مَن الرَّاهِـــزة

ومَنْ تَوَّجُوه بِتَاجِ التمامِ تَغَلَّــفَ بِالقُــدْرَةِ العَاجِـــزة

* * *





لمن تغنين ؟

مهداة إلى كوكب الشرق ـ السيدة أم كلثوم

لِمَن تُغَنِّين ؟ للوَرْقَاءِقَدْخَفَضتْ إلَيْكِ أَجْنِحَةً . لم تَنْخفِضْ أَبَدا

مدَّتْ إليكِ «لهاة» عسْجدًا عَزَفتْ لها الطَّبِيعة : لكِنْ لم تَمُدَّ : يَدا

واللَّحنُ يَسْتَلهم الأَلْحَانَ شَنْشنةً بِها عَرفْناكِ : إلْهَاما : ونَفْحَ:نَدى

أَلْهَبْتِ فوق المَدَى كفًّا وحَنْجَرةً وهِجْتِ فَوق المدَى:صدَّاحه: غَرِدا

فما غَفَا فوق أَقْطارِ السَّماءِ هَوًى عَاطيتهِ : مِنْك مالم تُعْطِه : أَحَدا

رُوحًا : مقطَّرةً فى الخُلد ماحِيةً شَرَّ النفوسِ : الذي ما كَلَّماهَمَدا

جاءتْ لِغَسل جِراحٍ بَات يَلعَقُها مُرَزَّأُ القلبِ ضَاع العُمْرُ مِنهسُدَى

جَارَتْ عليه الليالى فى ضَرَاوَتِها مَابَيْن ذِئْبٍ عَوى أوحَاقِدٍ حَقَدا

قد صُنْتِ إيمانَه لَوْلاكِ مابَقِيتْ مَدامِعٌ فيه تَنْعى هَوْلَ ما فَقَدا

لِمَنْ تُغنِّين ؟ للأَفلاك جاذَبِها		سِرٌّ على شَفَتيْك الحُلْوَتَيْن بَدا

ومَا اسْتَحَتْ مِنْكِ أنالحبَّمُنْطَلقٌ		ما حَدّه أُفُقٌ ما ضَاق فِيه مَدى

لقَد عجِبْتُ لها حتى كَواكِبَها		تَنَافستْ فى الهوى لمتَسْترِح أبَدا

كأَنها مِثْلُنَا فىالأَرض مَاسَلِمَت		مِنْ لَوْعَةٍ مِن شِكَاةٍ تَبْعثُ الحَرَدَا

وعاذِل بينها يَنْدَسُّ : يخْطفُه		بَرْق ويَنْقِمُ منه رَاصِدُ رَصَدا

ماذَا نَقُول إذَن نَحْن الذين هُنا		على الأَدِيم نُعانى الغَدْرَ والحَسَدا

والحبُّ والليلُ فىأَهْل الهَوىعُقَدٌ		سِحْرِيَّة والجوى قد أَحْكَم العُقَدا

معَارِكٌ من خيالٍ نَسْجُها حُـرَقٌ		وحرْبُها السِّلم والنُّعْمى شَجًىورَدَي

غِذَاؤُها لَهَبٌ لا يَنْطَفِى ورُوًى		مَحْمومةٌ وَمعَانٍ كلُّهُن : فَدى

نَفثْتِ فى عُقد مِنْها وفى كُربٍ		مَوْصولة لم تَزَل آياتُها جُدَدا

تـأَرَّقَتْ أَعْيُنٌ سَكْرى وأَفْئِـدةٌ		وطَيْفُهاهل دَرَى هل ذَاقَ هلسَهِدا

لِمن تُغَنِّين : للجَافِى.وصوْلَتُه		تَشُدُّ فى عُنُق مَلْـوِيَّةٍ : مَسَدا

ويَسْتَفِيقُ على الأَنْفاسِ أَحْرقَها		ما أَحْرَق القلبَ :أَوْمَا فَتَّتَالكَبِدا

ويَنْتَشِى وهَزِيمُ الرَّعْد مُنْصَعِقٌ		كأَنَّرَجْع هَزَارٍ : فى الخَمِيل: شَدا

والمُدْنَفون حَيَاري فِيكِ آهَتُهم		ومِنكِ أَنَّتُهم لا يأْملون : غَدا

صَحوْتِ في صَحْوِهم والناعِمُون غَفَوْا ... مِلْءَ الجُفُون: وحتى لَيْلَهم: رَقَدُوا

تَمثَّلوا فِيكِ أطْيافًا مُجَنَّحةً ... تَمثَّلوا فِيكِ رُوحًا تكرهُ الجَسَدا

وهَزَّ لَحنُكِ مِنْهم كُلَّ جارِحةٍ ... فَما تَرى عينُها: أُمًّا ولا ولَدَا

لَوْلاكِ ما حَثْحَثَ السَّارِي مطِيَّتَه ... إلى الحَبِيب: وعَافَ الأَهلَ والبَلَدا

والحبُّ: يَانَبْعَه الدَّافي ومَشْرَعه ... صَفْوُ الحَيَاةِ: وهَل غَيْرُ الصَّفاءِ هُدى

* * *

لِمَنْ تُغنِّين؟ للذكْرَي مُعطَّرةً ... للأُمْسِيات: لِحَادٍ في السَّماءِ: حَدى

لِظاعِنٍ ما رأى في الكونِ أُمْنيةً ... أَحْلى عليه مِنَ اللُّقْيا: لِمَن بَعُدا

لِفَاقدٍ: وجَد الدنيا وبَهْجَتَها ... إلَّا هَواهُ - أيَحْكى: فَاقدًا: وَجَدا

* * *

لِمن تُغنِّين؟ هل للشمسِ عَانَقَها ... ضِيَاؤُها - فَوْق بَحْرٍ خَضْخض الزَّبَدا

أمْ للهَزِيعِ وقدْ خَفَّتْ كَواكِبُه ... مُنيرةً - لم تطِقْ صَبْرا - ولا جَلَدا

تَلَفَّتَتْ لِتَرَى في الأُفْقِ مبْتَهِلا ... لِحُسْنِها - عَابِدا - ما غَيْرَها: عَبَدا

آليتُ ما أَنْتِ إلا لحنُ وافدةٍ ... من السماءِ: تُغنِّى: الواحدَ: الأَحَدا

ما الكونُ ما سِرُّه ما طِيبُ بَهْجَتِه ... إنْ لَم يَذُب حُرُقًا: إن لم يَمُتْ كَمَدا

لَوْ لَمْ تكونى له دُنْيا مُوَحَّدة أَقْسَمْتُ ما عَاشَ دُنْياه : ولا: اتَّحدا

* * *

لقَدْ شهِدتكِ فى المِحْراب ماثِلَةً فِيكِ البَتُول وما رَاءٍ : كَمَنْ شَهِدا

وحَوْلك الأَكْبُدُ اللَّهْفَى مُرَنَّحَةً تَسْتَنْزِلُ الغَيْثَ : أَو تَسْتَقْبِلُ المَدَدا

وفِى المآقى وَمِيضٌ طَالمَا احْتَبَست فِيه اللآلىءُ – ما أَغْفَى ولا ابتردا

ومَا بَخِلتِ عليها أُمَّةٌ هَرَعَتْ إِليكِ تَسْقِينَها نَخْبَ الضُّحى: رَأَدا

وتَسْكُبِينَ الهوى سَكْبًا مُعَتقَـةً فِيه : الشُّمولُ فَلا غَوْلًا : ولا صَرَدا

أَشرقْتِ كالبَدْرِ فِيهمْ بَيْنما لَمحُوا فى هالةِ الحُسن: بَدْرا: يُرهِب الأَسَدا

ومَيْلةٍ فى اعْتِدَالٍ – ما تُزَحْزِحُها عن مَوْقِف العَزْلا دلاًّ : ولا : أَوَدَا

تُثْنِينَ فى خَفَرٍ غَالٍ عَلى حَذَر جِيدًا نَثَرْتِ على لَبَّاتِه : غَيَدَا

يَا مَنْ: قَسَوْتِ على المِنْدِيل فاشْتَعَلت أَطْيابه مِن شَذَى : مَا ملَّ مِنك يَدا

إِنِّى لأَحْسبُ فى المِنْدِيلِ مُعْجِزَةً مِنَ السَّماءِ . فَلوْ أَطْلقْتِه : لَشَدى

* * *

لَقدْ أعدْتِ لنَا مجْدَ العَقيق عَلى ... أيّامِه حِين طَابَتْ بالمُنى : رَغَدا

و «للْقَرِيضِ» على أَجْوائه أَلَقٌ ... و«مَعْبَدٌ»قَد تَخَطّى الكونَ:رَجْعَ صَدَى

صِنْوانِ ـ ماطَوتْ الأَحقَابُ مَجْدَهُما ... فى يَثْرِبٍ :مِن بِلَادِ المُصْطَفى:أَبَدا

كانَتْ لهم فى العَقِيق الحُلْو أَلْوِيةٌ ... مَعقُودَةٌ حَمَلت مَجْد الهَوى : أَمَدَا

وأَطْلَعتْ فى سماءِ الفَنِّ خَالِدة ... مِنَ الكواكبِ :مَنْ يُحصى لها:عَدَدا

تـأَلَّقتْ فى ضِفافِ النِّيل وازْدَهَرت ... على «الفُرَاتَيْن»حتى جَاوَزَت(بَرَدى)

وما أَمُنٌّ على مصرَ ـ فما جَحَدَتْ ... فَضْلَ الحجازِ . ولكن غيرها جَحَدا

وما أَمُنَّ فَقَدْ ردَّت جَمَائِله ... بالأَطْيَبَيْن : ثِمارَ الوَعْيِ والرَّشَدا

فَمرْحباً بالهوى بالفنِّ يَنْقُلنـا ... للمَشْرعِ العَذْبِ لم يَنْضُبْ وما نَفَدا

وأَنتِ ياكَوْكبَ الدنيا وبَهْجَتَها ... دُومى نَدُمْ كوكَبًا فى الأَرض مُنْفردا ـ

وواصِلي بَيْنَ أَبْعادِ الحَيَاةِ فَمن ... سِوَاكِ:يُدْنى الذيقَدْ شَطَّ وابْتَعَدا

• • •



إليها

وأَبْطَأَ بِي مَا كنتُ أَرْجوه لَيْتَهُ ... تعجَّلَ مِن قَبْل الرَّحِيلِ وأَسْرَعا

تَحرِّيته مَعْنًى يُهدْهِدُ مُهْجَتِي ... ويُنْقِذُ إِحْساسًا غَرِيبًا مُضَيَّعـا

تَعرَّضَ لِي فِي الحُسْنِ مَا لَا أَوَدُّه ... فَصَابَرْتُ حِرْمَانِي وَحِيدًا مُلَوَّعَا

ولِي فِي مَعَانِي الحُسْنِ لَوْنٌ مُحَبَّبٌ ... أَصُون بِهِ سِرًّا عَزِيزا مُمنَّعـا

ويَحْرُسه إِنْسانُ عَيْـني وكَاذِبٌ ... هَوًى لا يَصُون الحُسْنَ تَاجًا مُرصَّعا

أَجَلْ أَبْطَأَتْ تلك التي لَاح مَأْمَلي ... بِغُرٍّ ثَنَايَاها الوَضاءِ مُشَعْشعـا

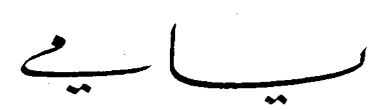
وتَحْجُب عني بالبَنَـانِ شُعَاعَه ... فيسْطَعُ من خَلْفِ الأَنامِل أَرْوَعا

أُقدِّسُ حَبَّاتِ اللآلىءِ أَبْدَعَت ... مِنَ الفَلْجِ المُفْتَرِّ حُسْنًا مُوشَّعا

وقلتُ لَهَا إِنِّي وجـدتُ لبَانَتِي ... فقالت إِذَنْ صِفْها وقُلها لأَسْمَعا

وبُحْ سرَّك الخافِي فإِنِّي أَمِينَةٌ ... ومَنْ صَان عَهْد الحُبِّ أَغْلاه مَوْضِعَا

• • •



يا ميُّ انْتَظِرى اللِّقــاءَ كأَنَّمَــا رُوحِي تَحِنُّ لِجسْمِها وتَــؤُوب
ويَلِذُّ لى أَمَل انْتِظَــارِكِ والمُنَى تَحْلو الحيَــاةُ بِظِلِّها وتَطِيب
فإِذَا قَدمْتِ مع المَساءِ فإِنَّــه صُبْح يَطُل وقد أَهَــلَّ حَبِيب
لَكنْ أَخافُ مَع الشُّروق وأُنْسِهِ لحَظَات بَيْنٍ زَحْفُهن غُــروب

— ٢ —

ومَدَّ إِليَّ البيْنُ كَفًّــا رَحِيمــةً تقولُ ومَاذَا ؟ لَوْ يَطول مَغِيب
فَقُلت لِيَ الله الَّذي صَنَع الحَشَا فَيوْم النَّوى فى الغُرْبَتَيْن عَصِيب
وَكَمْ مِنْ جِرَاح شَافِعاتٍ مُضِيئَةٍ تَبِينُ بِهِا رَغْم الظَّلام دُرُوب
وكَم شَفَعَتْ فى الحُبِّ زفرةُ واجِدِ وَدَمْعُ سَخِيٌّ لَا يَكُفُّ صَبِيبُ

* * *

كيف ؟

كَيْف يا نفسُ أَسْتَبِيحُ حِمَاها ... شَامِخَاتٍ تَرَنَّحت فى ذُرَاها

رَامَها الطَّامِعونَ قَبْلِى فأَوْدَى ... مَنْ تَحدَّى أَجْواءَها ومَدَاها

أَطْمَعْتهم فى نيلِها فتَبَارُوْا ... ثم عادُوا وكلُّهم صَرْعَاهَا

وصَفُوا لِى عِمْلاقَها وهو فى السَّفْحِ ... قَعِيدٌ يَزْهو بِرَجْعِ صَدَاها

فَتَلَمْلمتُ لاهِثًا أَسأَلُ العِمْلاقَ ... كيف احْتَمَى بِظِلٍّ حِمَاها

كيف أَدْنَته كيف حَازَ رِضاهَا ... كيف لاَقَى هَوَاهُ عِزَّ هَوَاها

ولِمَاذا ارْتَمَى على السَّفْحِ ؟ ... هَل ذلِك مَجْد الحيَاة أَوْ مُنْتَهاها؟

وتَلَوَّى كأَنَّهُ أُفْعُوانٌ ... صَرَعَتْه أَفْعَى استَحَبَّ لِقَاها

ثُم قال ابْتَعِد فَما كُنتَ للدُّنْيا ... أَلوفًا ولَن تَكُونَ هَوَاها

نَحنُ أَحْلاَسُ مَكْرِها نحن مَن ذُلُّوا ... وهَانُوا على دُرُوبِ أَذَاها

قد أَبَحْنَا ضَمِيرَنا للَّذي تَهْوَىَ ... فَدَاستْ رُؤوسُنَا قَدمَاها

وظُلِمْنا والشَّرُّ يَصْطَنِعُ الشرَّ ... كأَنَّ الزَّمَانَ رَهْنُ خُطَاها

وسَرقْنـا عِزَّ الكريمِ وعِشْنَـا   فَوْقَ انْقَاضِ عِزِّه نَتَـلاَهَى

فَدَعِ الزَّيْفَ انَّه مَجْدُ هذا الكَوْنِ   مَهْما عَلاَ ومَهْما تَنَـاهى

أَنَا مَنْ صوَّرُوه عِنْدك عِمْـلاقًا   أُداري عَارًا وأَكْتُـم آهَا

والعَماليقُ كُلُّهُمْ سَوْف يَهْوُونَ   إلى جَوْفِ أَرْضِهـم أَشْبَـاها

مِثْلَما لَوَّثُوا الحَيَـاةَ بِأَوْبَاء   إذاهُم سَيلْعَقُـونَ وَبَاها

أَنْتَ جربْت قَبْلنَا مَجْـدَها الحُرَّ   فَعَافَتْك فَارِسًا لا يُضَـاهَى

أَنتَ حارَبْتها وحطَّمتَ أَصْنَامَ   عُلاَها مَجْـدا ومالًا وجَاهَا

وارتَضَيْتُ اليَرَاعَ خِـدْنَ مَعَانٍ   وحيَـاةً كَرِيمة تَهْـوَاهَا

وتَرعْرَعتَ فى رُبَى الحبِ تَسْقِيه   ويَسْقِيك مِنْ رَحِيقِ شَـذَاها

تَتملَّى الجَمالَ والحُسْنَ لا تَنْشُدُ   فى مُنْيَـةِ الفُـؤَاد سِـوَاها

حَسْبك النَّشْـوةُ البَهِيجَـة   والخَمْرةُ كأْساً تَدِيرها عَيْنَاها

حَسْبك الدِّفْء فَاغِمًا فى حَدِيث   ما أَطَاقتْ اخْفَاءه شَفَتَـاهَا

قَد كَفَرْنا بالحُبِّ لكِن   أَنْتَ فى حُبِّها عَبَدْتَ اللهَ

* * *

التذكار

ويُسْعِدُنى لو تَقْبَلِينَ عَلى رِضا ... هدِيَّةَ رَمْزٍ تَذْكُرِينَ بِهَا عَهْدا

وإنْ كُنْتِ أُغْلي بِالمَعَانى وَهَبْتُها ... فقد صَاغَها الوِجْدانُ يامَيُّ لِي وَجْدا

وأَحْلى مِنَ التَّذْكارِ رَجْعٌ مُحَبَّبٌ ... يُسائِل هَلْ مِنْ دُونه نُحْرَم الوِدَّا

أَلا يَبْعثُ الذِّكرى سِوَاه وإنَّنى ... لأَحْسَبُ حَتَّى الصَّمْتَ مِنْ مِثْلِنا أَجْدى

أَجَلْ رُبَّ صَمْتٍ دُونَه فى بَلاغَةٍ ... بَيَانٌ جَديبٌ يَنْسِجُ اللَّفْظَ لَا القَصْدا

وأَجْمَل ذِكْرى للمُحِبِّين حَالَةٌ ... تَرِفُّ رَفِيفَ الطَّل بَلْ إنَّها أَنْدي

تُلَمْلِمُ أَشْتات الحَيَـاةِ كأَنَّها ... مَوَاكِبُ تَرْعَى الخُلْدَ أَوْ تَصِفُ الخُلْدا

مُحلِّقةً فى سَبْحِها تَنْطقُ الرُّؤى ... مُنغَّمـة لَحْنًا مُصفَّقة شَهدا

تردُّ جَمالَ الكَوْنِ أَصْلًا وصُورَةً ... لِقَلْبَيْن شَدَّ الحُبُّ بَيْنَهما شَدَّا

حيَاتُهما فَوْقَ الأَهِلَّةِ سَيْرها ... فَما عَرفَتْ قَبْلًا ولَا عَرفَتْ بَعْدا

يعِيشَان فى القُرْبَى وفي البُعْدِ مِثْلَما ... تَعِيشُ المَعَانِى تَأْنَف الأَسْرَ والقَيْدا

وكَمْ مِنْ نَوى أَدْنى من القُرْبِ بَاهِتا ... شَحِيحَ الأَمَانِى يَجْهلُ القُرْبَ والبُعْدا

فإما قَبِلتِ اليَوْم ذِكْراي فاعْلَمِي ... بأَنَّ زَمانِي أَنْتِ أَجْملُ ما أَهْدَاىَ

• • •



تَصوَّرِي موثِقاً صلْب الخُطى اصْطَرَعت ... عليه من كُرب الدنيا مواضِيها

ومزَّقتْ يدُه الأَغلالَ ما قَنَعَت ... حتى تَبَدَّى خيالًا سابِحا فيها

واثْقَلت حُجُب من فوقها حُجُبٌ ... ضِياءَ عيْنَيه فانْهلَّت مآقِيها

لكنها ادْمُع شعَّت لآلِئُهـــا ... فَنوَّرت مُهْجة لا شيءَ يُغْشِيها

وابصَرتْكِ فما غامَت بصَائِرُها ... وخاطبتْكِ فما ضَاقت مَعانيها

لقد تهاوت فلا أَنْداءَ عاطِفة ... كأَنما أَجدبت فيهم مغَانيها

ماحاربَتْه النَّوى بل حاربَتْ مُثُلا ... دانت له من مَعانِيه صَياصِيها

وما رأَي الأَسر إلا مَجْد سارِية ... رفَّت عليه وما ضنَّت غَوادِيها

وفى الظلال الوريفات الجنى «أَمَلٌ» ... حَنَّت عليه طُيوفٌ من «عَوَاليها»

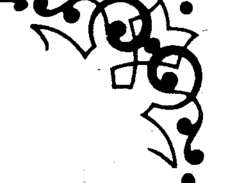
كَمْ ضاف من دَوْحِها أَطْياب سامِقَة ... من المعالى تبنَّتْـه أَعاليهـــا

وفى المَرابِع من أَعْطَافها نَهلَت ... آماله وسقَتْه من سَـوَاقِيها

مَنَابع لِقَـداسَات وألْـوِيَةٍ	مُشِعَّة تَحرسُ الدنْيا وتَحْمِيها
تَنزَّل الوحى فى أَرْجائِها أَلقًا	تَطوَّفَت بِمَرامِيـه مَرامِيها
سَقَى البريَّة من كأْس مُشَعْشعَةٍ	باليُمْن مُتْرعَـة فيه أَمَانيها
فلم تَزَل منه نَشْوَى عَبْر فِطْرتِها	تَمُد آفاقهَا الكُبُـرى مَبَادِيهـا
إن أَقْعَدَتْها على وهْمٍ قوادِمها	قَضَت علىوهْمِها العَادي خوافِيها
فَيامجَالى الهدَي والشمسساطعة	علىالنَّخيل نُضَارًا فى حَوَاشِها
تَوقَّد الشفق المُحْمر مُنْسَـرِبًا	فى «زَهْوِها» تَتَحَلَّاه مَجَانيها
مشاهد عاشها قلبى مجنحة	بها تَنقَّلْتُ فى الدنيـا أُغَنِّيها
وأَحْسُد الطير فى وُكُنَاتِه مَرحًا	يَخْتال كالحُسْن فى أَحْلىرَوَابِيها

* * *





الحارس

وحارِسٌ نُورَ عيْنٍ خِلتُه أَملاً جَرَى على قلْب من عاشُوا بِلاَ أَمَل

يصُدُّ بالرَّوْعة المُثْلى وفِتْنَتِها مَالاَ تَصُدُّ بِهِ العَسالة الذُّبل

ومِثْله حوْل ثَغْر زادَه أَلَقًا حتى اسْتَحَتْ من سَنَاه عَرْكَة القُبَل

والحُسْن لا يُتَّقىٰ عن رهْبة أَبدًا لكنَّ هَيْبَته تُغْنِى عن الأَسَل

والحُسْن ما اجْتَذَب الأَلْبَاب فانْجَذبت نَشْوى تُعبِّر عنها فَرحةُ المُقَل

وفى عُيون المعانِى سِرٌّ بهجَتِها تَحكِي معانى العُيون الذُّبَّل النجل

غَامَرْتُ يَقْدمُ بي ضَوْءٌ فَحيَّرنى فى نقطة من سَوَاد مَوْكِب الشُّعَل

* * *

مولد الطائرة

جَاءَت إليه على الغَدَاة تزُوره وتُودِّعُهْ

وتَقُول ظَرْف طارئٌ قد كُنْتُ لا أتوقَّعُه

بَهتُوا أبى عِنْد الصَّبَاح بِدَعوة مُسْتَعْجَلَه

إن الزِّفَافَ غدا يكون بِمكة بالمسْفَله

لِشَقِيقتى الكبري حَلِيمة فى اللَّيالى المُقْبِله

وترفَّقَتْ لِتُصافِحَ البطل الذي أعياه فَهْم المسْأله

كانت تؤمِّلهُ ولا تَدري فَفَارق فى ثوانٍ مأْمَلَه

فتَغيَّرت قَسَماتُه وبكَت عليه أدمُعُه

وترفَّقتْ بِحِشاه حانِيةً عليه أَضْلعهْ

• • •

لكنه اسْتَقْوى على هذا الوُجُوم بِعزْمَةٍ من صبْرِهِ

وتمرَّدَت فى نفسه آهاتُه الحَرَّي تَضِج بِصَدره

مُتَجلِّدا ثَبْتَ الْجنَانِ مغَالِبًا فى سِرِّه

واستَنْطقت عَينــاه عينَيْها لِيعرفَ رَأْيها فى أَمْره

فَبدَى له أن يُرجِىَ الإفضاءَ فى سِرِّ الوداعِ وَجَهْره

* * * *

وهو الذي مِصْرُ الجديدة فى ذُرَاها أَرْبُعُــه

وهلالُها الوضَّاءُ مَطْلَعُهاَ الحبيب ومطلَعُه

* * * *

وتَثَاقلتْ لِتَقولَ: عند العاشِرة قال المَطَارُ لهَا: تَقوم الطَّائرة

وأَعَاد: بالتَّحدِيد؟ فابْتَسمت نَعَم تــأْكيد جِدة هكذا للقَاهِرة

وجَرَى إلى الميعاد يَسْبِق خَطْوه مُتَنبِّهاً للوعْد عين سَاهِرة

فَتلاَقَيا وَسَرى الحديث مُنَمْنَماً وكأنَّه أَلَق النجوم السَّائِرة

وتَقَضَّت الساعاتُ حتى السابعة لَيْلا وعندهمَا ثَوان عابِرة

والركْب حول المايَتَيْن عَجِيجُه وضَجِيجُه وكأَنَّهم فى الاخرة

* * * *

فَتَعطَّل الجمْع المغير وأي أُذن تَسْمعــه

ودُمُوع مَنْ يَبْكى التعوُّق ساخِنَات تَلْذَعــه

★ ★ ★

إلَّا هُما فَهُما اللَّــذان تَرَاقَصــا فَوق البَشَــر

لا يَدْريان عن البَلاَءِ كأَنَّــه صــخٌّ القَـــدر

كَمْ مِنْ مريض أَنَّ لَمَّـا مَسَّـه وقْـعُ الخَطَـر

ومخَدَّراتٍ ضِقْـن بالوعْثَـاء مِـنْ قَبْـل السَّفَـر

تِلْك المصائبُ فى سِوَاهُـم عِندهـم أَحْلَى السَّمَر

لَيت الذي آذَى وأَهْملَ واجِدًا مَنْ يردَعُـه

فَعِقاب فرْدٍ فى سبيل الكل ذِكْرَى تَنْفَعُه

* * *

أشتياق

وأَشْتاقُ تَقْطِيرَ النَّدي فى رَوَائع أُدِيرُ بِهِن الرَّاحَ مَشمولةً صرْفا

مُعَتَّقةً ظَمْأَى إلى كُلِّ ظامِيءٍ ورُبَّ أُوام فاضَ بالمُزْنة الوَطفا

سُكُوبٌ بِلأْلَاءِ النُّهى رَوْنَق الضُّحَى تُصفِّق أَخْلاف المنَى أَدَباً عَفَّا

وتُطْفِئُ فى الأَخْلَاد كُلَّ نَوازع مُؤَجِّجُها مَا بَان منها ومَا استَخْفى

وتجمعُ أَشْتَاتَ المَعانى كأَنَّما تُرَصِّع عِقْدا من جُمَان قد اصْطَفَّا

لَهَا أَلَقٌ بين الشَّذى ورفيفه كَصَحْو الهَوىِ مارقَّ عزْماً ولا أَغْفى

تَلاقَى على أَنفاسِه كلُّ مُشْتهى تُعانقه مَعْنى وتَلمسُه طَيْفــا

وتَنسِج أَنْسام الخَميل غدائِرا مُذَهَّبة حُسْنا مُشَعْشعة لُطفـا

تَسيل على أَعْطَافِها فَرْحةُ النُّهى بآفَاقِه أَضْفى عليها بِما أَضْفى

تَرُوق مَجَانيها وتَحْلو قُطوفها مُهدَّلة تَسْعى لِمَن رامَها قَطْفـا

تَحُوم عليها كلُّ ورْقاءَ همْسُها حَنينُ شجيٍّ عن سَرائرهَا شَفـا

مُوَحدة المرْمى مُهذَّبة المُـنى شَأَي طَرْفُهَا المُمْتَدُّفى الحَلْبة الطِّرْفَا

أَقامَتْ على هَام السِّماكِ شَوامِخا هي المجد قَد صفَّى اللُّباب وما أَصْفى

وحلَّى بها جِيدَ الزمان فرائِدًا مُخلَّدة ضَاق البيانُ بِها وصْفا

تَساقطَ عِند السَّفْح مِنها زَعَانِفُ لَقدْ حَسِبوا الأَمجاد مَخْطوفةً خَطْفا



وجَاءُوا بِمِسْخٍ سَاءَ حالاً ومشْهَدا　　وآبوا بِنُكْر جانِفَ الذَّوق والعُرْفا
وقالوا قَرِيضٌ يقرضُ القيدَ مِلْؤُه　　فَرَاغٌ عميق يَحْذِق النَّشْروالَّلفَّا
وما فَرَغت إلا عُقُولُ عَوائـم　　على السَّطْح تَهْوَي أَنتَخِفَّ كماخَفَّا
وكانالذي شَاءَتْ فَغَاضتْقَرائِح　　وفَاضهُرَاءٌ زادَهُ جَهْلُهم سُخْفـا
وسار مَسِير العَجْز ضَحْلٌ مُهَرَّأٌ　　تَلكَّا زَحَّافاً على بطنه زَحْفَـا
وأَي سَموقٍ زاخِرِ الفَيْض تَلْتَقى　　عَواطِفه الحرِّي إذا فَقَد العُنْفا
وأَي هويً كالمُزْن عَفّ مُصفَّق　　يَجول به هذا الهلامُ الذي جَفا
وأَيُّ معَالٍ كالذُّرَى مشْمَخِـرةٍ　　يُعالِجها من يَمْلك القضْبَ والعَلْفا
وأَي هُتَاف للمُروءاتِ والنَّدى　　يَصُول به غَثٌّ على الموت قدأَشْفى
وأَي عِرَاك فى الميادين صاخِب　　إذا لم يصِفْه فى الوَغَىراعِفٌرَعْفا
هو الشِّعرمَانَادى البطولات إذْوَفَت　　بـأَمْجادها الكُبْرى رَأَتْبَطلاًأَوْفى
يُمَجِّد فى الدنيا بِتَحْطِيم شَامِخ　　فإنْ ضَلَّ مَرمَاه أَدَارَ له كِتْفَـا
تَسَامى فَلَمْ يَرخُص وعزَّ فلم يَهُنْ　　صَبُورٌ على الجُلَّى وإنْشَارَفالحَتْفا
عَصِيٌّ على غَيْر العُلا وطِلَابِها　　حَفِيٌّ بما يهوي وَفِيٌّ لِمن وفَّى
أُولئك عُقبان الجواءِ فَمَا لَهَا　　وما لِبُغَاث لم تَزَل تَعجِن الحَرْفا
لَقَد فَاتَها لَهْوُ الصِّغَارِ فأَرْقَلت　　إليه بِخَزْرُوف الوليد الذي رفا

ضاربة الودع

جَاءَتْ ملَثَّمَةً وتَنْتَزِع اللِّثـ ـامَ البسمةُ العَجَب
والنظرةُ النجلاءُ قائلةً شيئا يخالسها فَينْسرب
والصَّوْتُ لمحٌ فيه ادْمُعها فى نَبْرة منْ عُمْقِها تَثِب
مَعْنًى تُغَالبه فيأْسِرُها ويَظَلُّ يَكْرُبُها فتَنْكَرب
كَذِبا تُحايلهُ مُحايَلَةً وهى العليمة أَنَّه كَذِب
لِلعَيش يا لَلْعَيْش مَركبُه صعبٌ يزلزِلُها فَتَضْطَرِب
عِلَل وأَسبابٌ إذا بَطُلت جَمُد النُّهى وتَعَطَّل السبب
لوْلا النَّقائِض فى عَوالِمِنا مَا قِيل ذَا رَأْسٌ وذا ذَنَب
كَمْ من شُخوصٍ جَدُّ عارِيَةٍ لَولَا الثِّياب الحُلْوة القُشُب
قَالُوا الْتقَى أَصْلُ الأُصُول ومَا غَيْرُ النَّجَاح الحقّ يُطَّلَبُ
قُلْتُ الحياةُ طَرَائق « قِدَدٌ » ووسَائلُ فى حَبْكِها دَأَبُوا
ليست مَبادِيءُ مِثْل مَا رَسَمُوا ليست مَناهجُ مِثْل ما حَسُبوا
لكنْ أَساليب مُنَوّعة تَعلو وتَهْبِط والمُنى غَلَب
فالنَّاهِبُ الأَعْلى لـهُ الرُّتَبُ والنَّاهِب الأَدْنى له الحَرب
والعبْقَرِيَّة للفَتَى يَدُه تلك الصنَّاع كأَنَّها الحَسَب

هذا الحرامُ حَـــلالُــه أبدًا　　حتَّى ولو عُجِنتْ به الرِّيَب

حتى الدّم القَانى مُضَــرَّجَةٌ　　مِنْــه اليَدَان الشَهْــد والضَّرب

والسَّارق المِصْبـــاح يُنْفِذه　　مِنْ ظُلمةٍ هو وحــدَهُ الجَرب

جَاءَت ملَثَّمـــة وفى يَدِها　　وَدَعٌ تُوَشْــوِشه فينْجَــذِب

نَثَرتْه فوق الرَّمْل قائِلـــه　　زِينًا « أُبَيِّنُ » بعض ما يَجِب

سِرٌّ الصَّبَــايا لا أَبوح بــه　　إلَّا لَهن فَدُونه الحُجُـــب

وسَرائر الفِتْيـــان أَلمَحُها　　والعلم عنــد الله مُحتَجِب

فَتَقاطر الحُضَّـــار واستَبَقُوا　　و « بياضُهُم » يَجْري ويَنْسَرب

أَسْماعهــم لَهْــفى وأَعْيُنُهم　　عَطْــشى تُحاذِرُها وتَرْتَقِب

فَتَســاقَط الدُّر الذي نَطَقَت　　بِجُمــانه الحَســناءُ يَنْسَكب

* * *

قَالَت لِهِنْـــد وهى واجِمة　　لَكِ غائب أَحــوالُه عَجَب

مَرَّت به فى عُمْــره مِحَنٌ　　وله عَــدُوٌّ « ربعــةٌ » ذَرِبُ

وَورَاءَه أُنْــثى لهــا ولــدٌ　　إن تَنْأَ عنه فمِنْك يَقْترب

وشُموع عُرْسٍ وسَطَ منْزِلكم　　سَتُضــاءُ دُون سَنَائها الشُّهب

هى « نُقْطة » أَو « نُقْطتان » إذا　　ذَهَبَتْ سيذهب عنكم التَّعَبُ

* * *

وتحفَّزتْ لُبْنَى وسِحْنَتها ... تُوحى بِهَمٍّ فيه تَصْطَخِب
فتَلفَّتَتْ ذاتُ اللِّثَام إلى ... تلك القَنيصة وَهْيَ تَنْتَحِب
لِتَقولَ يا أُختاه أَنْتِ على ... كَرْب تضاءل دُونه الكُربُ
تِلك الطَّويلَةُ فوق وَجْنَتِها ... « خَالٌ » وبالمنديل تَعْتَصب
حَسَدتْكِ من يوم الزِّفاف على ... سُوءٍ يُحرِّكُ ضِغْنَهُ الأَرب
« عَمَلًا » خَطَوتِ عليه جَمْرَتُه ... حَرَّاقةٌ يا أُخْت تَلْتَهِب
فتَصبَّرِي فَلأَنْتِ طيِّبَةٌ ... وعلى الحَسُود « العكسُ » يَنْقلِب

* * *

قد كُنْتُ عن كَثْب أَراقِبُهم ... متحَمِّسًا حتى إذا ذَهَبُوا
أَسرعتُ نحو رفِيقَةِ الوَدَع ... والشرُّ فى عَيْنَيَّ والغَضَب
وَزَحمتُها من أَنْتِ ؟ ما هَوَسٌ ... هُو فى حَقِيقة أَمْره لعِب
فتنَهَّدَتْ وكأَن مُهْجتها ... قِدْرٌ يَفُورُ وخافِقٌ يَجِب
قَالت ذكاءُ البدْو فِطْنَتُهم ... فَمِن العُيونِ أَخذْتُ ما أَهب
فالعُتْبُ ليس عليَّ يا رجل ... لكنْ على مَنْ رامَنِي العَتَبُ
وإِذَا أَردتَ الحقَّ لا عَتَبٌ ... حتَّى عليهم « كُلُّنا » عَرَب
لا تَعْترضْ إن الدُّنَا خُدَعٌ ... لا تَنْزعِج فالدَّهْر يَنْقلِب
كَمْ قِيل للأَصدَاف ذِي دُرَرٍ ... والدُّر قالُوا عَنْه مُخْتَلب

* * *

تلك الخيام

في كلِّ ما ازْدهَرَتْ به الغَبْراءُ	زَهتِ الحضارةُ يَبْسُهَا والماءُ
وتـألَّفتْ فيه الحياة يؤُزُّها	أَزًّا هَدِيرٌ . كُلُّه أَضْواءُ
ومرابِع جُدد كأَن أَدِيمَها	سُحِبت عليه رَفَارِفٌ خَضراءُ
ما غَاب عن عَيْن الوفَاء وظِلِّها	تِلك المَضَاربُ نجْعُهن صَفاءُ
مَمْدودة عبْر الفضاءِ بُناتُها	أَرْسُو مَراسِيها كَما قدْ شَاءُوا
الكونُ مُنْتجَع لهم ما حَدَّه	حَدٌّ ولا ضاقَت بِه أَمْداءُ
القبة الزرقاءُ سَقْفُ بِنَائهم	والكهرباءُ الأَنْجُم الزَّهْراءُ
فى كلِّ يوم مَنزِلٌ صَوْب الحَيا	خَفر يُنَمنِم وشْيَه وَحَياءُ
وهَوىً كصافى المُزْن يَقْطُر حاليا	ومَهًا يُبَاكِرُ فَجْرَها الأَنْداء
والعُشْب بين مُفَوَّفٍ ومُهَفْهِف	تَرْعى مَرَاعيه مَها وظِبَاء
شعر تُصَفّقه الطبيعة انَّها	للشَّاعر المتَعَمِّق الهَدَّاء
صِدْق الحَقِيقة كمْ لا يَرُوع خيَالُها	وخَيَالُها لِجَمالِها أَصْداءُ

بِئْس الحَضَارة شعرها كِظِلالها مَخْبُولة فيه الرُّءى شَوْهاءُ

تَتَقلصُ الأَظْلال فيه كأَنَّها قُبْح الجنِين تَعافُه الأَحْشَاءُ

لا بِدْع إنْ ذَهَب القريض وأَقْفَرت أَحْياؤه وتَفَزَّع الأَحْياءُ

فَلَقد فَقَدْنا الصَّحْوَ يوم تَلَبَّدَت بِقَتامِه وظَلامِه الأَجْواءُ

ولقد بَكَيْتُ الصَّفْو يوم تكَدَّرتْ بِدُخانِهم من حَوْلِها الصحراءُ

الْوَاحةُ البيضاءُ فى أَعْرَاقِها أَرَجٌ رَعَتْه الدِّيمَة الوَطْفاءُ

ومن النبات الحلْو فى أَعْطَافِها نَسْج حَكَتْه الحُلَّة السِّيرَاءُ

والجدْوَل الثَّرار فى أَعماقِها فَجْرٌ كأَنَّ خُيوطَهُ الدَّأْمَاءُ

يَهَب القُلوبَ حَياتَها وَسِماتَها فإذا الهوى رِيٌّ لها وَرُوَاءُ

خِصْب على خصب وفَضْلُ سَماحة تَشْدو بِها وتُغرِّد اللأْلاءَ

ما عَابَها بُطءٌ وطولُ رَوِيَّةٍ إن الوِصال يزينُه الإِبْطاء

أَمْلاَ الدِّلاء بِطاؤُها ولَرُبَّما فرحت بِرَيْثِ سحابِها الأَنْواءُ

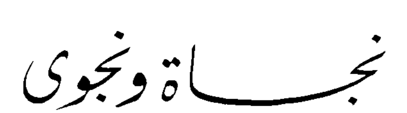
رَعْيا لِأَيام الخِيام وعهْدها الحَاءُ رغْرَع حُسْنها والبَاءُ

فَلَكمْ شَدى وادي العَقيق بِمَعبد وعلى المَشَارِف « عِزَّةُ » الحَسْنَاءُ

ولقد ذَكَرت النَّابِغيَّ ولَيْلَه وعُكاظ حول خيامِهِ النُّبَغاءُ

ولَمحْت عن كَثَبٍ خِبَاءَ سكينة وسَكِينة من قَبْلها الخَنْسَاءُ
ولقد نَظَرت البحر بيْن مَداره ومَسَاره وكأنه الصحراءُ
خطَرت جوارِيه الحِسان حَملنها عِيسٌ تَماوَجُ تَحتْها البَيْداءُ
فكأنَّ إشعاع الهَوادِج هَالَةٌ ضَفَرتْ ذَوَائب حُسْنِها القَمراءُ
وبدَتْ بُدُور التَّم يلْثم ضَوءَها أَلِقُ الثُّغور فَترقُص اللَّألاءُ
وعلى الرَّوابى الخُضْر عَسْجَد مُزْنة أَسْكُوبُهَا الأنداءُ والأَشْذاءُ ؟!
فى كل مُرتَبع هَوىً وخَمِيلَة وبكل مُنْتَجع يَرِفُّ لِواءُ
الحُسْن يسطع من مَعِين صَفَائها يجْلو سَنَاه الشِّعْر والشُّعراءُ
حَاشَا القرِيض يَصول فى حَلَبَاتِه خَاوي الوِفاضِ مُنَمَّق وشَّاءُ
قَلِق الإهَاب تَرُوع فى لَمَسَاتِه صُور معثَّرة الخُطَى شَلاَءُ
خُدَعٌ كَمغْسول الوُعُود كِذَابها رقصت على أَصْباغِها شَمْطَاءُ
صَانوا خِضَاب الغِيد فهو مقَدَّس وعلى هَوَاهم تُسْتباح دِماءُ
يَا لَيت سَكْرة زَعْفِهِم ومُجُونِهم إنسانةٌ يُغْرَى بِها النُّدماءُ
لكن خُمار الفَرْد دَارت رأْسُه فتكشَّفتْ نزَواته الحَمْقَاءُ
مَنْ لِى بأَيَّام الخِيام فإنها أَمل لقد طَارت به العَنْقَاءُ
الوِدُّ كان أَليفَه وحليفَهُ وحُماةُ موثِقِه هُمُو « الحُلَفاءُ »
واليَوم يومُ المخْلِفين عهودَهُم أَرأَيْتَهم وكأَنَّهُم خُلَفَاءُ

* * *



نجـــاة ونجوى

بِلحْنِك يا نَجوى مُنًى وابتِسامة أَضَاع الهَوى أَيَّامَها وأَعَادَهـا

طَوَاها وما تُطْوى ولكنَّ عارِضًا من السُّقْم يا نَجْوى أَصَمَّ فُؤَادَها

تحَيَّر فيها الحِسُّ حَيرة واهِـنٍ ثَقِيل الخُطى لا يسْتَخِفُّ وِدَادَها

جَفَتْه فجَافَاها وقد مَرَّ حُلْوُهَا فمَا كَان مِنْها لَو أَلَانَتْ قِيادَها

معانٍ تُديرُ الشِّعر صَبهاءَ حُـرَّة مَثَانِيَ تَسْتَسْقى الكُرُوم جِيادَها

صنَاع لقد رَامَت من اللّفظ لحنها ومن هَمَسَات الحِسّ صاغَتْ مُرادَها

وما اللَّحنُ إلا الشِّعْر جَرْساً موقَّعاً وغَمغَمةً قدْ حَاوَرته فَصَادَهـا

أَلَا يا رَعَاك الله سوقاً كأَنَّمـا يُنازع صَبْهاء الدِّنان عنادَهـا

ويسكُب فى اللَّحنِ الطَّروب مَراشِفاً تُلامِس أَوتَاراً أَضلَّت رَشَادَهـا

يقولون عَزَّ اللحنُ فى الشِّعْر فابتغى نَضَاوى هزيلات تُدارِي كَسَادَها

أَشَاحوا عن الحيِّ النَّطوقِ وجاوَرُوا من العيِّ صَمَّاءَ النُّهى وجَمَادها

وأَيّ « مهاً » تـأْوي لِغَير كناسِها وأَيُّ عَروس لا تَطيقُ مِهَادهـا



أَلَا شَعْشَعِيها يا نجاةُ لِتَبْعَثى	مَلَامِحَ صَانَتْ جَوَّها وبِلَادَهـا
فرُبَّ حنانٍ يغمر اللحْنَ دِفْئُـه	ويَسْلُب من جَفْن اللَّيالى رُقَادها
ورُبَّة مَبْغومَ اللُّهى عَسْجَدِيِّهَـا	أَفَاضَ على الأَلْحان حُسناً وزَادَها
وداوَرَها حتى استحَالَت نَدِيَّـةً	ولايَنَها حتى استَلانَت فَقَادَهـا
أَلَا إنه سِرُّ الحياة فصفِّقِـى	مُنَاها وناغِى هَضْبها وَوِهادَهـا
فَكمْ صَوَّحتْ مُذْ صَوَّح الشِّعرأَربَعٌ	وكَمْ قد سقَاهَا الغَيْث قَبْلًاوجَادَها
وكُونى لها فى دَوْحة الشعر نَغْمةً	فقد رَاعَها جَدْبُ البيان وآدَها
وما نَادَم القِيثار إلا أَنِينُـه	وما شَكَت الأَحْبابُ إلا بُعَادها
ومَا هاجَتْ الورْقاء إلَّا شُجُونها	وما الحُب إلا ما اعْتَراها وعَادَها
ولم تُرد الهَمَّ المُبَرِّح إنمـا	على الرغْم منها يا نجاةُ أَرَادَها
بَيَاض اللَّيالى فى خِداع سَرَابها	يُضاحِك أَطْياف الدُّجَى وسَوادها
تحِنُّ إلى اللُّقْيا على غير مَوْعد	وتَنْشُد مِيعاد الهوي ومَعَادهـا

* * *

لا تكوني

يا فَتَاةَ الجزيرة العربية لَا تـكُونى للعابِثين ضَحِيَّـة

إن مجدَ الفتَاة أَكْبَرُ مِمَّا صَوَّرُوه فى بَهْرجِ المَدِنيَّة

فى السِّياج الخَفِىِّ تحميه أَحدَاثٌ فإمَّا أُمْنية أَوْ مَنِيَّـة

شَرَفٌ باذِخ تُتوَّجهُ الدهرَ من الصَّون هالةٌ عَسْجَـدِية

فالخُدُور التى تَضُم على الحُسْن عُروشا هى الحُصون القَوِيَّة

كاللآلِئِ المحجَّبَات بِجَوف اليمِّ مكْنونَةُ الجَمَال نَقِيَّة

وتَحُوم الشُّموسُ تَنْهل نَهلًا من شُعَاع الحقيقة الأَزليَّـة

وسِهامُ النِّصال تَبْرُق كالحُسْن المُدَجَّى بالفتنةِ السَّمْهَرِيَّة

ذَاك مجدُ الفتاة فى عَالَم الحُسْن وفى مشرِقِ الحياة الأَبِيَّة

فى الحَيَاءِ الشهِىِّ يَنْبِض بالعِزَّة قَعساء لا تُطِيق الدَّنيَّـة

* * *

فى الحَنَان الأَبِىِّ يَبْذُله القَلْبُ لأَحْـلى ثِمَارِه الشَّاعِرِيَّـة

فَلذَاتُ الحَشَا وأَفْلاذُه الزُّغب ومَرْعى الأُمومَة العاطفيَّة

لا تَغُرَّنْكِ بالخِداعِ العنَاوِينُ كَلَمْع السَّرابِ فى سُوءِ نِيَّة

إنَّها إنها مصَائدُ للعِفَّة تَرْمى شِـراكها بِالبَلِيَّـة

إنَّ مجدَ الفَتاة فى غَرْسَة النُّبْلِ سَقَتْها الشَّمائل النَّبَوِيَّة

فى الهُدَى تَسْتريح فى ظِلِّه النَّفْس وتَنْأَى عن الشُّرُور الخَفِية

فى بِنَاءِ الحيَاة تُشْرق بالأَسرة فيها الأَواصِرُ العائِليَّـة

كلُّ من يَتَبنَّى حَضَارة بَيْت مُسْهِم فى الحَضَارةِ العالَمِيـة

عِنْدنا من خَديجة المثل الأَعْلى ومَجْلى المَفَاخِرِ الأَبَدِية

آزرتْ بِالحَنان والحب والخيْر فِداءً من أَنْقَذَ البشَرِيَّة

ملأَتْها ثِقافـةُ البِرِّ والخير بأَسْمى ثِقَافَة عبْقَرِيَّـة

وقَفَا إِثْرها صواحبُ كالأَقْمار ضَحَّيْن للمعانى الثَّرِيَّـة

فأَضَأْن السماءَ والأَرضَ إِيمانًا وحَلَّقْن فى الجَوَاءِ القَصية

هل تَنَاسيْتَ خَوْلةً وعُلاها فى مَجَال الوَغَى ومجْلى الحَمِيَّـة

دَنْدَنوا بالخِداع كَيْما تَخُوضين مع العابِثِين بالوَطَنِيَّة

كُلُّه كلُّه هُرَاءٌ ففى دينك لوْ تعلَمِين أَسْمى قَضِيَّـة

لَيْسَ بَعْد النبي أَحمد يا أَختُ نبِيٌّ مُؤَمَّلٌ أَوْ نَبيَّـة

• • •



يا حبيبي

يا حبيبي الذي محّضت لـه الوُدَّ شُعورًا كأنَّه إحْسَاسُه

وتَصوَّرْت ذاتَ نفسى فى ذات هَوَاه كأنَّها أنفَاسُه

قد جَرَت فى مِزاجِه فهو خَمْرٌ بابِلِيٌّ وعسْجَد الحُرِّ كاسه

لم أُحاوِرْه لم أُدَاوِرْه لم أَبْغِ مجازًا حَقِيقــتى نِبْراسُـــه

حِين أَهْواه ما هَوِيتْ حيــاة أَحْــكَمَتِ نَسْج عُمْرِها أَمْراسه

لم يَكُن غَالِيا بِما فى يديه أَو بِتَاج فَاقَ الجواهِر ماسُــه

إنَّه الحُبُّ ليس غيرُ: وقَلْبِي لِسِوي الحب لا يَلين شِمَاسُه

* * *

ومَشَى الناس فى مَوا كِبه الغَرَّاءِ شعْثاً كأَنَّهُم حُرَّاسُــــه

هَتَفُوا والهُتَاف للصَّولَجَان الحُـلْو يدَوِّي ولا يَكُفُّ حَمَاسُه

فَتلَقَّى ذاكَ الضَّجِيج بتَصْفيق المَثَانى كأَنَّها أَجْرَاسُه

واهبًا نَفْسه وما تَمْلك النَّفْس وفِيها أَمْجَاده وغِرَاسُه

نَغماتٌ قد أَسْكَرَته وزَهْــو المَجْد تُرْضى غُرورَهُ أَعْرَاسُه

وَهَجٌ فى طِباعِه لسْتُ أَنْســاهُ ولكن تَلَوَّنَتْ أَجناسُــه

حينَما شَابَه الطِّلاءُ وغَذَّاه الطلى شَبَّ وقْدَها جلاَّسُه

وسَمَا الوصْل عِنده فَوُجُــوه القِوْم أَحْري والكونُ أَغْنَاه نَاسُه

خَيرُ أَكْفاء حُسْنِه المُتَصدُّون ومَنْ فى رِحَابِه أَحْلاسُه

فَهُمُو عنده النُّجوم الدَرَارِي تَزْدَهِى بِاجْتِــلائِها آماسُه

حُبُّنَا فى الكُؤُوسِ أَبْيض كالعِهْن يُوَارِي شُعاعةَ دِيمَاسُه

وتعرَّضْت فى الزِّحام وهَمِّي أَنْ أَرَيِ هل يَشِذ عَنِّى قِياسه

فإذا بِى أَراه أَصْدَق منْ وَفِىَّ وقَدْ شَاب فى التَّجارِيب راسُه

إنه الوَهْم طَالما ضَحِك الوهْم وغشى صَحْوَ المآقى نُعاسُه

إنَّها إنها حَقَائِقُه الأُولَى فَمَا نَاقَض البِنَــاءَ أَسَاسُــه

ثـم قال الحَسُود مِيعَادُه الخَيْر إِذَا طَال بالبَــلاءِ احْتِبَاسُه

قُلْت ما شَاقه الخصب ولا عَافَ جَدِيبا انْحى عليه ارْتِكاسُه

إنَّما الخِصْب مُذْ رآه تهــداه أَلِيفًا يُرُوقُــه إِينَاسُــه

والجَدِيب الجديب أَخْصَبُ فى كَفَّيْه يَدعو لا عادهُ إِغْلَاسه

ثـم ثَابَ النُّهى إلى الرُّشْد واسْتَذْكر أَن البَلاءَ فى الكون نَاسُه

* * *

بالمعانى الكِبارِ ضَمَّخَها الإيمــان فى مِثْل ضوئِه وانْعِكَاسه

فى الذي صَاوَل الزمانَ فلم يَقْهَرْه إذْ طَال بالحياة مِرَاسُه

والكريم الكريم تـأْسِرُه الرِّقة منْ قَوْمه مَتَى عَزَّ بَاسُه

هُوَ كالماء إذْ يَسيل وكالقْنِّ الذي قَاد خَطْوَه نَخَّاسه

قومُه عِزُّه وفيهم هَــوَاه ذَاب فيه اتِّقَاؤه واحْتِراسه

فَهُم الغَابُ يَحْضِن اللَّيْث إعْزَازًا كما يحْضِن الغَزَال كناسه

حِين يَغزو اليَقين أفْئِــدة الأَحْباب يَغْزُو قُلُوبَهم التِبَاسه

لا تَلُومُوا المُحِبَّ فى النَّهْب والسَّلْب فإن المُحَبَ يَحلو اخْتِلَاسه

إنَّ من يرشِفِ الضِّياء كَمنْ يقبِس مَعْنى يَلُوح فِيه اقْتِباسُه

أَحَرَام إذا تَفجَّر بالسَّلْسال نَبْعٌ يُحْي النُّفُوسَ انْبِجاسُه

أَنا أَسْتَغْفر الإلَهَ مِن الذَّنْب الذي كَادَ أن يَغُولَ افْتِرَاسه

* * *

النادمة

قالتْ جَهِلتُ عناصرَ الزمن وعِرَاكَها فى الرُّوح والبَدن

وحَسِبتُ أن الحُسْنَ مُتَّصِلٌ أَقْوي من الأَهْوال والفِتَن

ورَعَيْتُــه لِأَعيشَ نُضْــرته جُهْــدي أُخَلِّــده ويُخْلِدُنى

لا إلْفَ يَعْصِر كَرْمَه فَإذا أَصْفى تَنقَّل فى ذُري القُنَنِ

إلْف يُخَلِّفُنى على ضَعَــةٍ فى حَوْمة الأَطْلال والدِّمَــن

إلفٌ يقول بغير ما خجل إنى قبَضْتُ أَطَايِبَ الثَّمن

دَانَــتْ لُبــانَتُــه فهوَّنهــا لِتَظلَّ بعْدُ رهينَةَ السَّكن

لِيَقولَ نفحُ الزهر يُسْكِرنى وزَفِيفُ لَحْنِ الطَّيْر يَجْذِبُنى

ويقُول ماذَا لوْ أُمَــاثِلــه فأَميلَ مِن غُصْن إلى غُصن

مِنْ أَجْل هذا عِفْت كُلَّ هَوى إلا هَوَايَ الحُرُّ يحرسُــنى

لَا زَوْجَ ، عَيناه تُحاصِــرُنى كمُعَلَّبٍ زَخَــرُوه للزَّمَــن

لَا نَسلَ لَا ولَدٌ رِضاعَتُــه فَتَّــاكةٌ كالجَمْرِ تَحْرِقنى

وَاليومَ قد أَوَّبْتُ من سَفَر		فى رحلةٍ كالطَّيف فى الوَسن

وإذا الإهابُ الغَضُّ مُبْتَسِر		لـمُحنَّطٍ درَجُوه فى الكَفَن

والرُّوحُ حتى الروح جَارَ على		إشْعَاعها جَذْبٌ مِنَ الوهن

فأَرِقْتُ منْ كَدَر ومِنْ ضَجَرٍ		وسئِمْتُ منْ سَهَرٍ ومنْ حَـزَنِ

وبَكَيْتُ عُمْرا كُنْتُ أحْبسُه		عَنِّى فعاد اليَومَ يَحْبِسُنى

ونظرتُ فى المِرآة فاختَلَفَتْ		حتى هِىَ الأُخْري تُضَايِقُنى

وكأَنَّنِى من قَبْلُ لمْ أَرَهَا		وكأَنَّها من قَبْلُ لَمْ تَرَنى

وأَسِفْت لَيْتى ما حفِلتُ بِه		وَهْمًـا أُصارِعُـه ويَصْرَعُنى

يا لَيْت لِى ظِلاًّ أَفِيءُ لـه		فى غَمْرةِ الأَحدَاث والمِحَن

يا لَيْت للماضِى الذِّي انْصَرمَت		أَيَّامُـه رَمْزاً يُذَكِّـرنـى

رَمْزاً أَري فى عِطْرِ زهرته		عُمْري يُجَدِّده . . . يجددنى

ذهب الشبابُ بِكُلِّ زَحْمَتِهِ		والحُسْنُ غَيْر بَقِيَّة الشَّجَن

* * *



ولَقَدْ شَمَمْتُ عَبِيــرَها ‏ ‏ ‏ واللَّيْــلُ حَتَّى الليل نَائِمْ

إلَّا أنَا وأَنِينُ مَظْـلومٍ ‏ ‏ ‏ وأَنْفاسٌ مُصَعَّــدَةٌ لِظَالِـمْ

ولَمَحْتُ طَيْفــا كَالسَّنَا ‏ ‏ ‏ كَالبَدْرِ ما بَيْنَ الغَمَائِم

قَال اتَّئِــدْ إنَّ الــتى ‏ ‏ ‏ تَهْوَى تَحُفُّ بِها النَّسَائِم

نَشْوَى بِفِتْنَتِها وأَنتَ ‏ ‏ ‏ بِسِــرِّها لا شَــكَّ عَــالِمْ

فَرجَوْتُه أَنْ لا تؤرِّقهــا ‏ ‏ ‏ الظُّنُون وأَنْ أَعِيشَ الدَّهْرَ حَالِم

وأَظلُّ بَيْنَ خَيَــالِها ‏ ‏ ‏ رَجْعَ الصَّدَى أَو وَهْمَ واهِم

أَنتَ المَلاكُ العَــذْبُ أَو ‏ ‏ ‏ هِيَ أَنْتَ فَارْفُــقْ بالتَّوَائِم

وابْسُط لها الظِّــلَّ الظَّلِيـ ‏ ‏ ‏ ـلَ فإنَّه الأَمَلُ المُــلائِم

يا طَيْفُ تَحْسُدُها القَطَــا ‏ ‏ ‏ يَا طَيْفُ تَنْفُسُها الحَمَائِمُ

أَمَّا هَــوايَ فأَنْ أَكُــ ‏ ‏ ‏ ـونَ وفيَّها خَلْف العَــوَالِم

وأَصُــونُها فى جَفْنِ صَاحِـ ‏ ‏ ‏ ـى القَلْبِ أَوْ أَحْلامِ نَائِم

فَهِى الأَثِيرةُ بِالهَوَى الغَا ‏ ‏ ‏ لِى وَلَــوْ لَامَ اللَّــوَائِم



كُلُّ يَومٍ له مَعَـزَّةُ عامٍ ... فَسلِي الجُمْعَتَيْنِ عنْ إلْهَامِى
كَيف فَاقَ السِّنِـينَ تَرْكُـ ... ـضُ بِالعُمْرِ سِراعًا أعْدَى منَ الآرام
كيف حَلَّ الوثَاقَ مِنْ زَحْمَـ ... ـةِ الأَسْرِ وكَمْ عِشْتُ فى عِرَاكِ الزِّحام

* * *

كلُّ يَـوْمٍ له مَعَـزَّةُ عَـامٍ ... أَنْتِ يا كَرْمَتِى وكَأْسِى وَجَامِى
وحَيَـاتِى التى وجَدْت بِها الرَّو ... ض نَدِيًّا مُفَتَّـح الأَكْمَام
بَدَّد الوَحْشَـة الكَئِيبَة فانْزَاحـ ... ـتْ لَعَمْري سَحَائِبُ الآلام
إنَّها جُمْعَتَـانِ بَلْ لَحَظَـاتٌ ... مُشْرِقَاتٌ مَرَّتْ كَطَيْفِ المَنَام
والْتَقَيْنَـا خَلِيَّـةً بِشَجِى ... هَمُّهَا في رِيشَـةِ الرَّسَّام
ولَهَا عُـذْرُها فكَمْ مَوْرِدٍ عَذْ ... بٍ جَهُـولٍ بِلَاهِثٍ أَوْ ظَامِى
وأَنَا اليَوْمَ قَدْ حَمِدتُ لظَى الحِرْمَـ ... ـانِ فى بُطْئِها وفى الإِحْجَـام
عِنْـدما أَشْرَقَت عَلَىَّ كَفَجْـرٍ ... عَبْقَرِيٍّ يَفُلُّ جَيْشَ الظَّـلام
عِنْـدَما أَقْبلت عَلَىَّ رَبِيعًـا ... صَاحِيَ الزَّهرِ ، صافِيَ الأَنْغام
ورَوَى النَّرجِسُ المُشَعْشَعُ عَنْها ... مَا رَواه سَاقى الطِّـلاَ والمُـدَام

وانْتَشَتْ مُهْجتي بِسُكْرَيْن سِحْـرِ الفَنّ في لَفْظِها وسِحْرِ القَوام

حَائِرٌ بَيْن لَهْفَتِي وهُيَامِي ورَحِيلي مِنْ بَعْدِ طِيبِ مَقَامِي

ورِيَاحُ الزَّمانِ تَهْـزأُ بِالصَّفْـوِ وتَجْرِي جَرْيَ اللَّظَى في الحُطَام

فَصِفي لِي يَا أَمْنُ كَيْفَ أُلَاقِي عُسْفَ دَهْري وقَسْوَةَ الأَيَّام

سَوْف أَرْضَى من أَجْل عَيْنَيْك يَا أَمْـنُ وأَطْوِي عَلى هَـوَاكِ عِظَـامِي

فَمُنَى مُهْجَتِي رِضَـاكِ وحَسْبِي أَنْ تَدُومي فِي بَهْجَـة وابْتِسَام

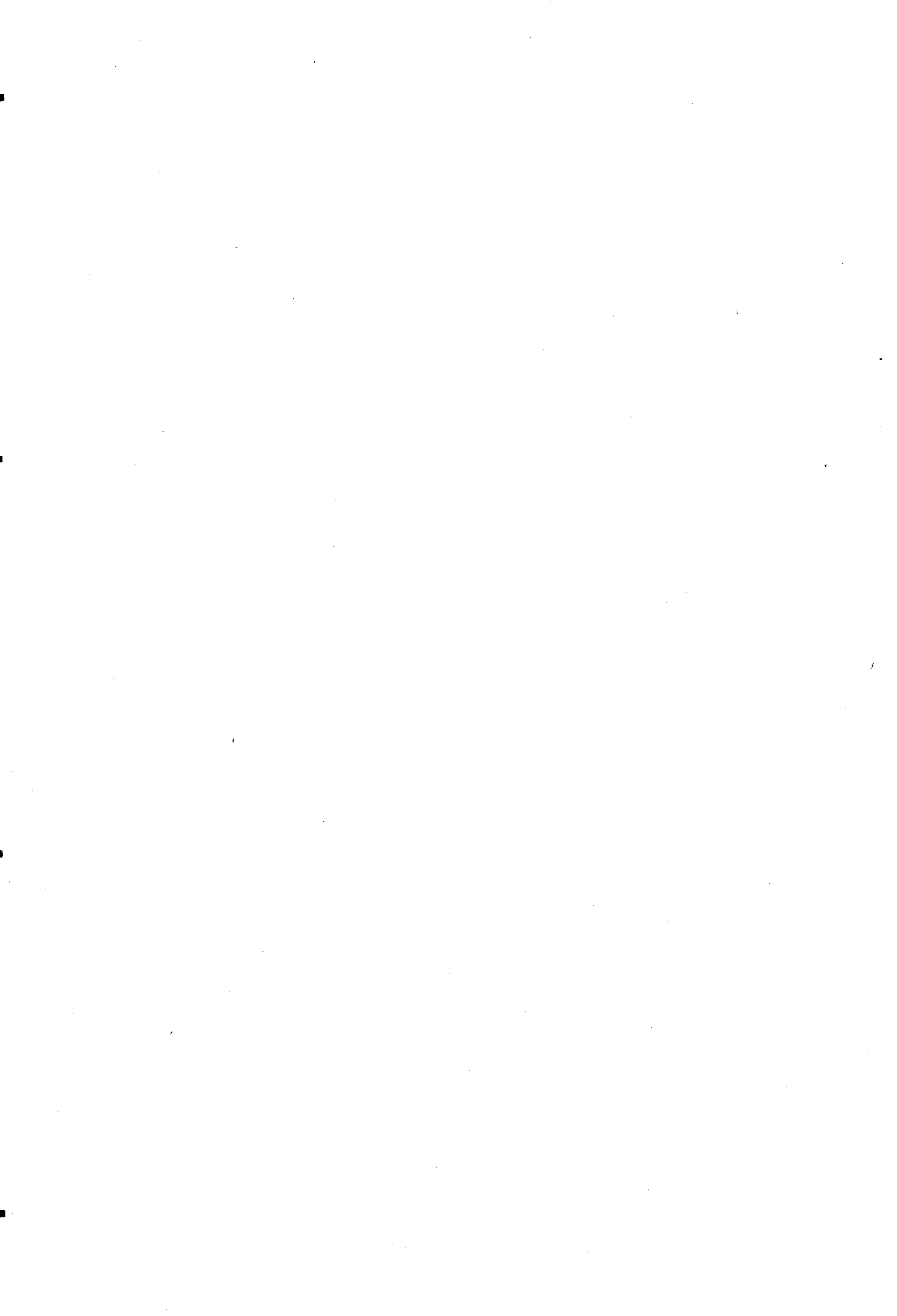
وحَمَاكِ الزَّمانُ مَا لا تَـوَدِّيـنَ وسُهْدَ النَّوَى ولَذْعَ الغَرَام

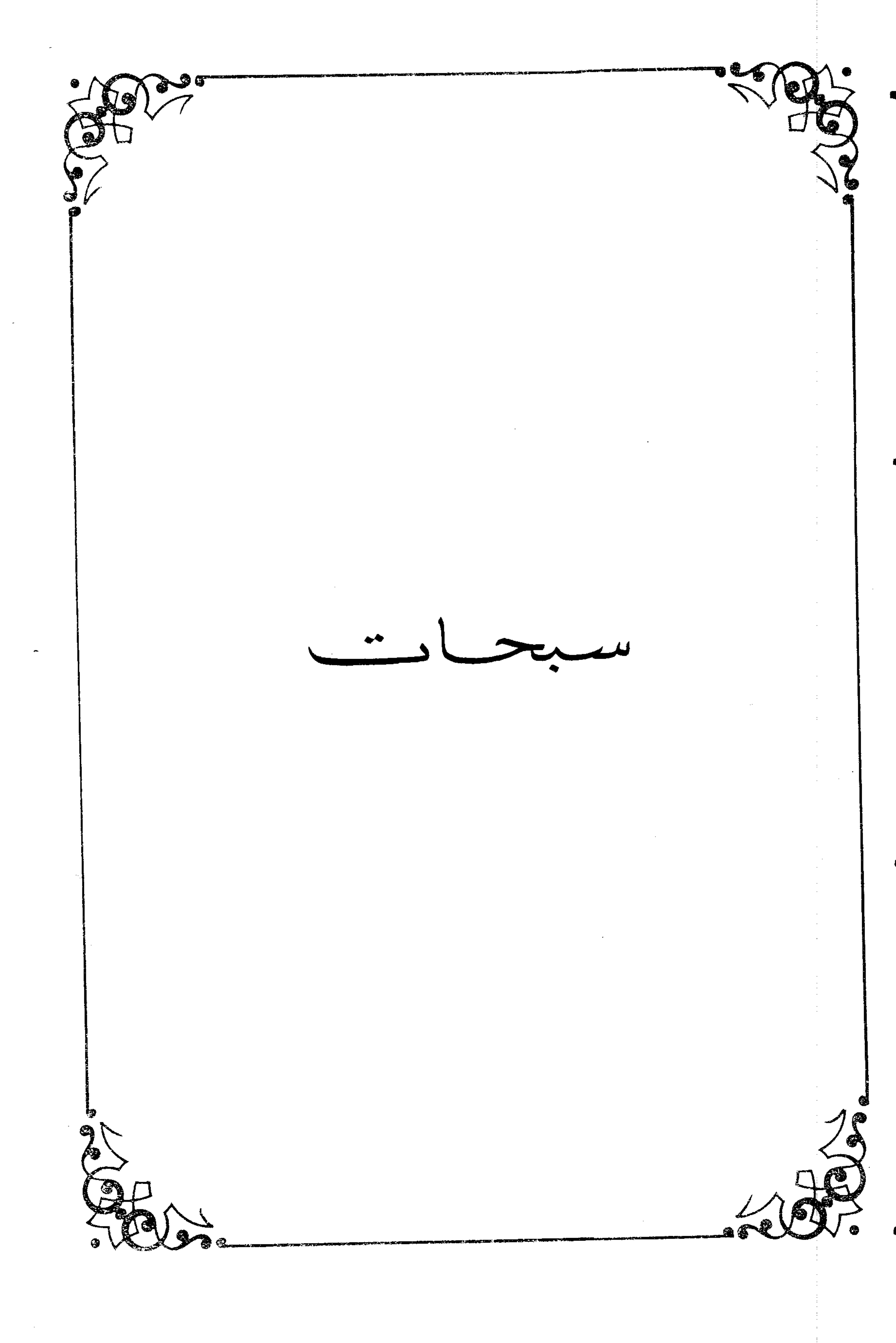
ورَعاكِ الإلـه يَا أَمن بالحُـبِّ نَقِيـا عَذْبا كحَبِّ الغَمَام

وإذَا مَا سَمِعتِ صَـدْحَ كَنَارٍ فَهو مِنِّي تَحِيَّـتي .وسَلَامي

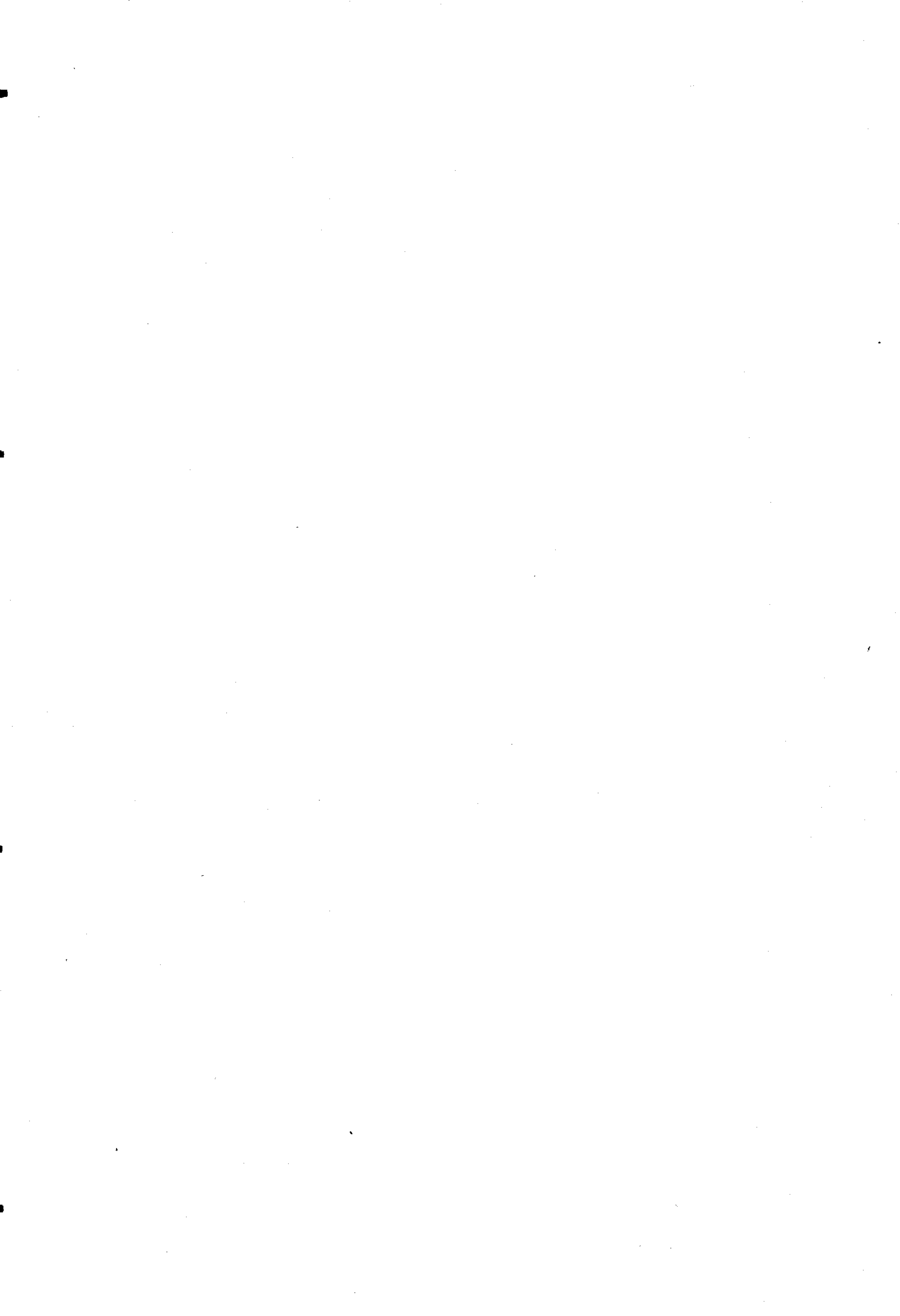
واذْكُرِيني فإنَّ ذِكْـر المُحِبِّين شِفَـاءٌ مِن الضَّنَـا والسَّقَام

• • •





سبحات





يا ظَلامَ الذُّنُوبِ ضاقَتْ بكَ النَّفْسُ وضاقَتْ بذاتِها الآثام

وحُرِمْت المنى وكُنَّ نِهايات رجَا ئِي وفي الرَّجَاء مُقَام

أين تِلك الآمَالُ يَكْرُبُنى اليوم صَدَاها كأنَّها آلام

طالَما قد حمَلْن في قلبِيَ الوَاهِي قلُوباً أصْحُو لَها وتَنَام

أحْسَنَتْ بي ظُنُونَها وبِحُسْن الظَّ ن يا رب كَمْ تَدانَى مَرام

أطْمَعَتْني إفْضَالُه فتَدلَّلْت وزاد الإحْسَان والإنْعام

قُلْت يا ربِّ لم تُضَمْ برَجائِيَ النفس إذا رجَوْت أُضَام

وتَغَالَيْتُ في الرَّجاء وما زلْت فَهَلْ ذلك الغُلُوُّ حرام

رب : لَوْ ضَاق باللَّئيم كرِيمٌ أيُّ معْنًى له يعِيشُ الكِرام

* * *

حنين لبيت الله

فــؤادٌ يعِجُّ بأَشْجــانه لِـدَرْكِ الحجيـجِ ورُكْبانهِ
وذِكْرى تَثُـور فيَطْغَى الشُّعور ويزْهـو فَخُـورًا بِوجْـدانهِ
وللذِّكْريـاتِ الصَّـدَى العبْقَريُّ يُثيرُ الشُّجون بأَلْحانه
وبالذِّكْريـاتِ يُعِيـد الفَتى حنينًـا تَقَضَّى بأَزْمـانهِ
وبالذكريـات يَجِدَّ السرور ويَطْـوي زمـانا بأَشجانهِ
فؤادِيَ أَقْصِر فَإِنـي أَراك مُعَنًّى يَـذوبُ بِتَحْنـانـهِ
وقد جاوز الرَّكْب وادِي النَّقا وجـازَ العقيـق بِوِدْيـانهِ
وما إن عهِدْتك نَضْـو السَّقا مِ ترامَى الغَـرام بأَحْضانهِ
وجاذَبَه الشوق نحْو الحِمَى ووادي (زَرُودِ) بِغِـزلانـهِ
هل الشوق مِنْك لتِلك المواقِف بين الحَطِيم وأَركانهِ
مواقِف يَحْيَا لدَيْهـا الشُّعور ويصْعدُ فيهـا بإِيمـانهِ

ويسطع فيهـا ضِيـاءُ الرجا ء كَعِقْد يضيءُ بِمُرْجـانهِ

تُجلجِلُ فيهـا وُعودُ الصَّفا ء ويَهْمي السرورُ بِهْتَـانِهِ

وتحْظى قلوبٌ بِصَفْو الوِدا د ويَسْعدُ شَعْبٌ بِجيرانـهِ

صعِيـدٌ توحَّـد فيـه الشعو ر فَضَمَّ الحجِيـج بأَوْطانه

صعيـد توحـد فيـه المَرا مُ فأَذْكَى القـلوب بِنِيرانه

لتَمْثِيـل دين رفيـعِ العما د يُظِلُّ الشعـــوب بأغصانه

سَــدَاه اتِّحـاد لِشَــــدِّ الأَواصِر بين الحجيج وبُلدانه

ودُستـــوره الحقُّ هَدْيُ الرسو ل ونهْجُ الكتاب وفُرقانِه

وهدْمُ الفـوارِق أما الحُنُوُّ وأَسْـوُ الجراحِ فمِن شانِه

مبادئُ خرَّت لديها الجِبـا هُ ومُلْك تُدِلُّ بتِيجـــانه

وذاك لعَمْـرِيَ عصْـر الحيا ةِ تُبـاهي الحيـاة بأَزمانه

وبعد فإني أُزجِي الهنـــا ء لرَمْز الجِهـاد وعنْــوانه

أُولئك قـومي أَشْـدُو بِهم كَمَا الطَّيْر يشْـدو بأَلحانه

لقد ثَار شَجْـوي وخَـفَّ الحنـين ودقَّ الفـؤاد بِشِريانه

وإنا لنَرْجـــو دوام اتِّصَا ل ولاء الحجيــج بإخْـوانه

ونرجو التَّضامن في مبْدءٍ يتِمُّ النجاح بإعْلانه

فحتّام خُلْفٌ يُذيب القلوب ويصْلِي النفوس بنِيرانه

وحتّام لَوْعَةُ هذا الفِراق تَقُدُّ الفؤاد بِصَوَّانه

أَجَلْ أَزِف الوقتُ فى وَحْدَةٍ وهذا البشير بِتِبْيانه

فهلا نَثُور لِحفْظ الذِّمار وردِّ العدوِّ بِعُدْوانه

وهلَّا سبيل لدَرْك الفخار وفي العُرْب أَبناء تِيجانه

وهلَّا سبيل لِخَوض الغِمَار وسحْقِ الدَّخيل بأَعوانه

وللغرب مِنْ حولِنا ضجَّة يجوس الدِّيار بطُغيانه

وللشرق نَوْح كنوح الحمام وللوهْن رجْعٌ بآذانه

ضعيف القيادة رهْن الأَسار فأَنَّى يثور لسُلطانه

رقيق الحَواشي وما أَنْ يصُول بغيْر الصَّرامَة في شانه

عجيب أَتَخْطُوا الشعوب وتَسْمُو وذا الشرْق يلهُو بغِزْلانه

أَمَا ثار فيه حَمَاسُ الجُدود وأَذكى الدِّماءَ بِشَريانه

وذَا العَهْدُ أَبْلَج عَهْدُ المِليك يفيضُ علينا بإحْسَانه

ينير لدينا سبيل الرجاء ويلوي الزمان بِحِدْثَانِه

في رحاب المدينة

جاهَدْتُ شوقي وكابَدْتُ المنى لَهَبَا ... ما عالجَتْها دِرَا كا أوسعُ الحِيَل
معــروقة بأَمانِيها مُرَقرَقَة ... كأنها في المآقي حَيْرَةُ الأمل
وَجُدْتِ بالقرب من مَغْناكِ فأُتْلَقت ... نفس ترُوم المنى في فُسْحة الأَجل
فما أَطَافَت من القربى بشاشتها ... ولا اسْتطابَتْ وِصالًا فيك لم يَصِل
فَمَا وَهَتْ بِمعَانيها مَجنَّحــــة ... ولا استعارَت حُسَام الفارس البطَل
ولا تَلَمَّس فيها السرَّ مُطَّلِبٌ ... نـأَتْ به وَمَضَاتُ البارق العجَل
ولا تَهَرَّب منها الحُسْن في ترفٍ ... من البيان طَروبٍ راقصٍ ثَمِل
ولا استَطَار النُّهى إلَّا هَوىً كِلَفٌ ... بِحُسْنِك الفذِّ لا بالأَعْيُنِ النُّجُل

* * *

تلَمْلم الحِسُّ فى أَشجان مُغْتربٍ ... أَصْفى : فلا دَمْعَ مكْروب ولا جَذِل
وصاح بالحب يستَجْدِي روافِدَه ... فما أَصاخَتْ لآلامي ولا عِللى
وَعُدْتُ باليأْس تطْويني مواجِعُه ... أُكذِّب النفْس في ماضٍ ومقْتَبل
أُناشِد الرحمةَ الكبرى سرائرَهَا ... فكم تفيَّأْتُ منها وارِفَ الظُّلل
وما رَضِيتُ لنفسٍ أنت بارؤها ... من الغَنيمةِ يا مولاي بالقَفَل

* * *

أَجَلْ لقد عُدْتُ لم أنبس بِبادِرة ... مُكَبَّلاً حصِرًا لم تنطفِىءِ غُلَلي

سَبَحْت بالنفس تُضْنيها مواجِدُها ... سَبْحَ امرِىءٍ لا أَخَا وهَنٍ ولا مَلل

وجَمْجَمتْ بالمعاني لا تُدِرُّ لها ... أخلافها إن تَحامَتْ زحمة السُّبُل

حتى تيمَّمْت أَرضًا في مرابِعِها ... ربْعٌ يحوم عليه قَلبُ مُبْتَهِل

وأَعْيُنٌ كَرَفِيفِ النـــور يلثمها ... ضياؤها - لم يُرِمْ عنها ولم يحُل

عِفْتُ المرابعَ لم تكلف بها مِقَةً ... والطَّرْف في غيرها أَقسمْت لم يَجُل

حِسٌّ أَهِيم به مَعْنىً أَعيش له ... سِرٌّ تَلَمَّسْت فيه مُنتهى أَمَلى

وشيَّ الربيعُ الضحوك الحُلوُ سُنتُه ... كأَنه كلُّ يومٍ منه في حُلَلَ

هوًىً تَلُثّ عليــــه كُلّ سارَية ... وطَفَاء راوِية فى العَلِّ والنَّهَل

موصولة بيَــد الرحمن واصلةٌ ... حباءَها : فوق سَهْل الأَرض والجبل

وَصَلْتُ رُوحي هنــا بالخِصْب فاتَّصلَت

ورُبَّ منفَصِـــلٍ يَدْنـــو بِمُتَّصِـــل

وأَدركَتْ نفسِي الحَيْري حَقِيقَتَها ... بِحِكمَة حِينُها المخبوءُ لم يَطُل

فقد أَهَلَّ رسول الله حين بَدَا ... هلال مولِدِه في حُسْنٌ مُكْتَمَل

وشمت فى الأُفــق المجْلُو عَيْلُمُه ... مواكبَ النور فى أَعياد مُحتَفَل

* * *

مكة الحب الكبير

هَبِينِي أَ نَى واهِبٌ لك روحَه — أمَا تلتقي عند الفِـداء الجَوانِح

أمَا تستوي فى المورد الحُلو أنفُسٌ — ظِمَاءُ وأُخرى في النعيم سَوابِح

وكلٌّ له فى ذِرْوة الحب منْزلٌ — تَنَافَسَ في معْناه غَادٍ ورائح

فماذا تُسمِّين الهـوى وبـلاءَهُ — أكُلٌّ شَجٍ يامِيٌّ عنـدَك صادِح

أمَا يتَجَلَّى الحب بالحب ليْتَه — تجلى لغنَّتْك الرُّبَى والأَباطِح

إذن لَدَريْتِ السِّرَّ لا ذقْتِ كربَه — فما لذَّة الأَسرار وهْيَ بوائِح

خُذِيه من الأَنْفاس حَسْبُك عِطْره — وحَسْب الهُيَامى ما طوتْه الجَوارِح

خُذِيه من الورْقَاءِ فى الفَجْر آدها — ثقيلُ الخُطَى والليلُ للهَمِّ فاضح

تذوب الحَواشي في حواشِيه والمدَى — بعيـدٌ واسْرَاب المُنَى تَتَلامح

ونفْحُ الخُزَامى مِنْك ينْضَحُ لاالنَّدى — ولا الطَّلُّ ، إلا أَكْبُدٌ تتصايح

فرُدِّي لبُقْيا « كالثُّمَالة » رُوحُهَا — تطالِعْك حبَّاتُ الدموع السَحائح

حنانَيْكِ يا ذات الوِشاحَيْن إنها — وَشَائج في اللَّبَّات منْكِ وشائح

وتلك الحَنايا لو مسسْتِ شعاعهَا — تهلَّل ملْهُـوف وأَوَّب نازح

وكالنَّاس آمالُ النفوسِ فَتَارَةً — دوانٍ وحينًا قاصياتٌ نوازِح

وكالزَّهْر أعمارُ المحِبِّين تلتقى عِطَاشٌ على أَفْيــائه ونواضِح

وحسْبُ الهوى في بؤسه ونعيمِه مرابِــع أُنْس أَقْفَرت ومسارح

وحسْبُ المعاني الراقِصات طُيُوفُها دلِفْنَ قِصارًا والأَماني سوانح

ذكرتُك والدنيا بِكَفَّيْك رخْصَة سحائبُها إلا عليــك شَحــائح

وللعِزِّ أَكنافٌ موطَّأَةُ الحِــمَى تَشَهَّى الندى فيها الزَّمانُ المُسامح

تقُولِين هلَّا طاف بالبيت طَائِفٌ «ومسَّح بالركْن اليمانيِّ ماسح»

أَجَلْ والذي سوَّى الحطِيمَ وزمزمًا ونَافَ «ثبيرُ» والهِضَاب الصَّحاصح

فمَكَّة من فــوق العُرانَيْن هالة سواء مُمَاس حولها ومُصَابح

هي المجد مجْد الله ضحْيان ساطعٌ صحَت في روابيه النُّهَى والقَرائح

وما عَشِيت إلا قلوب كثيفــةٌ وما أَبْصَرت إلا عُيون صحَائح

وهذِي الصَّحاري المخْصبات بجَدبِها لوافُح إلا للهُــــدى فَنَوافح

هُمُو الناس أَهلُوها مقاما ومحتدًا مغاوِير أَمَّا في العُلَا فجَحَاجح

سيَأْوِي إليها المسلمون وإِنَّهــا لجامِعَة في ظِلِّها نَتَصــافح

أَلا فابْعَثوها من حِمَى البيت صَيْحة فما عَزَّ إلا من حِمَى البيتَ صائح

هُنا البيْعة الكبرى. هنا سِرُّ أَصْلها هُنا فَضْلُها والحق أَبْلج واضح

هُنا تَشْمخُ الرَّايات زحْفًا مقدَّسًا هنا تشْرَئِبُّ العاديات الضوابح

• • •

إلى الحبيب الأعظم

رحمةَ الله هاكَها تنشُد الرحمةَ نَفْسٌ شفيعُها أنت ذَاتُك

إنَّها رحمــةٌ مُجَسَّدَة السِّــر بِنُــورٍ مِشْكاتُه مِشْـكاتُك

إنها نفحــةٌ تَجَلَّى بهـــا الله وفاضَت مِن فيضِهـا نفَحَاتُك

وصِفاتٌ من بارِيء الكَوْن في الكون على كُنْهِهِ تدَلُّ صِفاتُكْ

سيِّدي سيد الأَنَام ولا فَخْــر نِداءٌ به يَلُظُّ عُفــاتك

من قلوب توجَّهَت بك لِله وحتْمًا مرضـــاتُه مرْضاتك

مالَها مالَها سِوى حُسْــنِ ظنٍّ وَشَفِيعٍ يا سيِّدي أنتَ ذاتُك

والرِّحابُ المعطَّراتُ التي سِـرْتَ عليها فأَشْــرَقَت خَطواتُك

والذي ضَمَّ موطِنَ السِّرِّ في السر حيــاةٌ دلَّتْ عليها حَياتُك

والثَّرى نافَسَتْه فِيـك الثُّــريَّا حينما طَيَّب الثَّـرى سَجَداتُك

سيدي ضِقْتُ بالذي أنت تدْريه فَقُلها تُشْـرِقْ بها بَسَـماتُك

وقليلٌ من عفْـوِه يَسَع الكُلَّ وحَسْبي شفـــاعةٌ نَظَراتُك

وصلاةُ الإِلَــهِ مَا ذُكِرَ الله وما أَشْرَقَت علينـــا هِباتُك



بُرعمة الزهراء

برْعُمـةَ الزهـراءِ والأَزْهَرِ   وفَرْحَـةَ النيِّـرِ والأَنْورِ

رَقْرَقَكِ النــورُ بأَمْجاده   سَلْسَلَهـا الأَكبـرُ للأَصغر

ثم انْجَلت تسطـع في وَحْدة   وامتَـزَج الأَصغـرُ بالأَكْبر

أَبصرها المُبْصِـر فِيما يرى   يَسْبِقـه منها شَـذَى العنْبرِ

عِقيلةُ الأَعْلاق في معقِـل   حَصَّنَـــهُ سيفُ الأَبِ القَسْوَر

وحاطه الجَدُّ الذي في السَّما   من جَدِّكِ المُمْتَدِّ في الأَعْصُـر

فَعَظِّمى ما شِئْتِ مَن شئتِـه   ومجِّـدِي العُنْصُـرَ بالعنصر

وقَرِّبى المحْـرُومَ من مـورِدٍ   من دُونِه الكَـوْثَرُ في الكوثر

إِن الذي أَعطَى حظُـوظَ الوَرَى   قد خصَّكُم فى الحظِّ بالجَوْهر

لِيسْـأَلِ المحْبـوبُ محبوبَه   وَيعْلَقِ المُعْسِـرُ بالمُوسِر

قالوا حُرِمتمُ زائـلا فانِيًـا   وخُضْتُمُـوا الأَبحُرَ بالأَبحر

شرِبتُمُ الكأْسَ على قَسْـوةٍ   وأَكْـدَتِ الضُّمَّـرُ بالضُّمَّرِ

فاعتصَمتُم الخُلْد مقام العُلا — وصُنتُمُ التاريخَ فى الأَدْهُر

وقال مَن تدرِين عرفانَه — باللهِ فى المظْهَر والمَخْبَر

القادر العتْرة أقدارها — بِسِرِّهِ من سرها الأَظْهر

ولا يرى الفَضْل سوى أَهْلِه — ولا يَرَي النورَ سِوَى الأَنْور

ولن تَرَوْا مِنَّة ذِي منَّةٍ — فإِنَّها قاصِمَةُ الأَظْهُر

فَخَبَّأَ المكْنون من عِزِّه — لِعِزَّة الموقف للمحْشَر

للعالَم الموصول فى عالَمٍ — نائي المَدَى عن عالَمٍ أحقر

تعْرِفه الأَرواحُ في كِنِّها — مربوطَة الأَوَّل بالآخر

* * *



الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

سيِّدَ الكائناتِ فَخْرَ النبِيين ... سلاماً من مُسْتَهامٍ شَجِيِّ

لم أَشَأْها نوى طَوتْني على البعدقَصِيًّا ... ولم أكُنْ بِالقَصِيِّ

هِيَ سِرُّ الإله واللُّطْفِ والخَيْر ... فأَعْظِم بلُطفِهِ المخْفِيِّ

ها كَهَا والحَنينُ يَضْرِمه الشَّوقُ ... حَنيناً إلى المَقَام السَّنِيِّ

هى مِنِّى تحيةُ الأَملِ الظَّامِىءِ ... يهْفُو إلى الشَّذى النَّبَوِي

* * *

دار الهدى

لي في رُبَاكِ الخُضْرِ أَحْلامٌ ومِيثاقٌ وعهْدُ
ذِكْرى تُقَرِّبُهَا السِّنو ن فيَسْتوي قُرْبٌ وبُعْد
الذِّكْرياتُ مثَارُها في النفـ ـس آمالٌ ووَجْد
شَوْقٌ تُهَدْهِدُه المُنى ويُثِيره بَرْقٌ وَرَعْدُ
وهَويً إذا هَتَفَت بـه وُرقُ الحِمَى لهبٌ ووَقْد
يا مَهْدَ أَحْلامي وأَحلامي لَدَيْك مُنًى وسَعْد
ومَجَالَ آمَالَ الشَّبَا ب ومالَها في القلْب حَد
لم أَنْسَ والذِّكْرى الحَبِيبةُ في الجوانِح تَسْتَبِد
أَيَّام استَبِقُ الحيا ة ورَوْضُها عِطْرٌ وَنَد
أَقْضِى لُبَاناتِ الفُؤا د وهزْلُها في القَلْب جِدُّ
الشِّعْر يخْطر والهَوى والمُلْتَقَى جَزْرٌ ومَد
ورِحابُك الفِيحُ الحِسَا نُ على رُبَاها الطَّيْرُ تَشْدو
وظِباؤكِ العُفْرُ المِلا حُ تَرُوح لاهِيَةً وتَغْدو

نِضْوٌ على عَهْد الهوى يُضْنِيه تَحْنانٌ وَسُهْد
يهفو به أملٌ ويقعـ ـده عن الآمال جهد
للمسلمين الأكرمين هَوًى بروْضِك يَسْتَجِد
طَهَ ذخيرتُه ومَبْعَثُـ ـه وَوَرْدُ الحب وِرْد
مجدٌ إرادَتُه المشِـ ـيئَة دُونَه فى الخُلْد مَجد
مَا إنْ تَعِيثُ به السِّـ ـنُون ولن يَصُولَ عليه حَد

* * *

منزل الوحي

جادَكِ الغيْثُ أماناً وسلاماً ... ورِضاً سمْحاً ويُمناً وابتِساما

يا دِياراً حَلِمَ الغيْثُ بها ... يتحَرَّاها سحــابا وغَمَامــا

فإذا ما انطلقت أَضْــواؤهُ ... ذَاب حبًّا فى مغَانيها وهَاما

شامَهــا بارِقَــةً مَمْطُــورَةً ... شَمَّها جبريلُ مِنْ قَبْلُ وشَاما

الشَّذى يـأْلِقُ من لأْلاَئها ... والسَّنا ينْضَح عِطْرًا وخُزَامى

والدُّنا تسْبح في أَفلاكها ... تَغْبُر النُّور الذي يُنْسِي الظَّلاما

إنها الأَضواءُ في دارِ الهُدى ... بَهَرتْه فرأَى الـبرْق جَهَاماَ

ورأَي القَطْر الذي أَرسَلَه ... في الرِّحَاب البِيض في السَّفْح ثُماما

عاد مطوِيًّا على أَعجـازِه ... لم يطِقْ في زحْمة السِّر مقاما

لَكَفَانا أَن نرى أَطْيافَهَــا ... وَنَريَ فيها لِياذًا واعتِصَاما

ونراها لمْحَةً مــن قَبَسٍ ... يغْمُر الـكَوْنَ جَنُوبا وشَآمَا

ونرى الآثارَ من آثــاره ... مَنهجًا حرًّا وحبــا ووِئَاما

ودعاءً وابتِهَــالا ورِضــا ... واصطباراً وصلاة وصِيــاما

إنه الحبُّ إذا أَوْرَيْتَـه بِاللَّظَى خاض عِراكاً وزِحاما

فإذا الأَبْعاد من آمـادِهِ قد طواها القُرْب وصْلا وانْسِجاما

والهَوى الظامِئُ رَيٌّ ومُـنى يُبْرِد اللَّهْفة حَرَّى والأُواما

رُبَّ قوم هُجِّرُوا واستعْبروا وَأَغذُّوا السَّير وقْدًا واضْطِراما

سلَكُوا الدَّرْبَ طويلا والضَّنَى يُنْهِكُ الجسمَ نُحُولا وسَقَاما

وضِعـافٌ وُصِـلوا بالمصطفى حيث كان الوَصْل بالحُبِّ إمَاما

المعانى البِيضُ من إشْراقه والسَّمَاحاتُ أَمـانيُّ عِظَـاما

والبُطولات التى قد رَكَّزَتْ فى السِّماكَيْن من الفَوْز حُسَاما

حزَموا الأَمجاد حتى استوثَقَـت حين شدُّوا فى الميادِين الحِزاما

إنَّهم أُسْدُ الشَّرى مذ أَقْدَمـوا رَفعوا بالنَّصْر تِيجَانًا وَهَـاما

الزُّحُوفُ الحُمْسُ في ساحِ الوغَى دَعَمَتْ جيشاً من الصِّدْق لُهَاما

مَثَلَتْ قائدهـا فاستَمْثلتْ وانْقِيادُ الحبِّ يـأْبى أَن يُضَاما

كيف لا تـأْمَنُ في أَعطَـافِه منْ عوادِي الدَّهْر غَدْرًا وانْتِقاما

كيف لا تَفْرحُ في سُلطَانِه أَعْيُنٌ نامَتْ بِقَلْبٍ لنْ يَنَـامَا

دوْلَة سلطانُها الحُبُّ ومـا غيرُه يضْمَن خُلْدًا وَدَوامـا

لا تَروعُ الفَضْلَ لا تُنقِصه لا ، ولا تُبْصِرُ في النَّقْص التّماما

لا تُخيف الحُرَّ في مأْمَنِه لا ترى الحِلَّ على الشعب حَرَاما

يا أبَا الزهْراءِ يا خيرَ الوَرَى نفْحَةً توقِظُ فى الكون النِّيَاما

يا أبا الزهراءِ لن أَسْطيعَها زفْرةً فَحَّتْ لهيباً وضِـرَاما

قصُرت أنفاس من ترضَاهُمُو من كِرام وَسِعُوا مثلي اللِّئامـا

قدَّموا بين يدَيْ نجواهُم طَيِّباً سمْحاً وقدمتُ أَثَـاما

وجدُوا أنفسهم في وَجْدِهِم ووجدْت النَّفْسَ نُقْصانا وذَاما

رحمةَ الله التى فَجَّـرهـا من معانيك أجَاوِيد كـراما

مثلُوا الخيرَ الذي تَرْضَى به مِثْل ما أنت ثِمَـالٌ لِلْيتَـامى

وَرَعَوْا حقًّا وَأَحْيَوْا أنفُسًا مِنْ ضِعافٍ وشُيوخ وأَيامَى

جبَرُوا الكسَر وحَدُّوا من أذَي زحْمـة الفَقْر قُعُودًا وقِيَاما

لم يجودُوا رَغَباً أو رَهَبًا بل رَعَوْا في الله إلاًّ وذمَاما

كمْ أَيادٍ في الندى مرْدُودَةٍ وكَلامٍ ليتَـه كان كِلاما

وَمَنَاناً أَنْ نَرى في حُبِّهِم حُبَّك الصاحي بَرْدًا وسَلاماً

فابْسُطِ الظِّلَّ عليهم وارِفًا لِيكُونُوا بِك رِكْنًا ودِعَاما

وَهَبِ الرَّاجين ما يرْجونه رحمةً منك وحظًّا ومَرَامـا

سيدي عنّي وعنهم معْشَرًا أَوْثقَتْنا عُروةٌ تأْبى انفِصَاما

من تَحَايا الحب من أَعْرَاقه لهْفَةً حرّى وأشواقا جِسَاما

لَمُصَلاَّك إلى مِحْــرابه لِرُبى سلع الذي يشفِي السَّقَامَا

لقُباءٍ لمَغَاني أُحُــدٍ سفْحهُ المُمْتدُّ أَمجادًا عِظَاما

للعقيق الحُلْو من عقيــانِهِ رَقْرَق الفَرْحَة شَهْدًا وَمُدَامَا

والهوى العذْرِيُّ في أَرْجائه طالَمَا أَطْرَب في الأَيْكِ الحَمَاما

والنَّدامى وَالْخُزَامَى والدُّجى ضَجَّة تمزجُ بالنور الظَّلاما

جحَدت فجْراً وعافَت أَنْجُما ترقُب الأَسرارَ نجْوى وغَرَاما

والمَغَانى ذَوَّب الشِّعْرُ بها سِحْرَه فانسَكَبت جَاماً فَجَاما

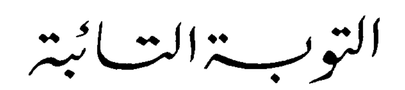
عرْبَدَت بالْفَنِّ نهْباً والدُّنَا تنْطَوي في نفْسِها عاماً فَعَاما

معْبد في اللحْن من معبَدِها وغَرِيض لا تَسل عنه الخِيَاما

إنهـا صورةُ أُنْسٍ غامِـرٍ زمْجَرَت بالحب عُنْفا وَعُرَاما

لم تكن إلاَّ دعاةً جَـائرا لم تكُن إلا صلاة وسلاما

* * *



التوبة التائبة

أَتوبُ من التَّوبة الخائفة وأَرْجوكَ توبَتَك العاطِفَة

لأَن مَتَابِي إليك مُريب مَتَابُ الحَذُورِ من العاصفة

وجَرَّبْتُها يا إلَه الوَرَي زَوَاجِر للشَّهْوة الزَّاحِفَة

فعِنْد اشْتِدَادِ الكُروبِ الثِّقَالِ أَمِيل إلى التَّوبةِ الخاطِفَة

فَدَعْني أُنِبْ يا إلَهي إليك من التوْبة الفجَّةِ الهائِفَة

• • •

وأَحْلى المتَاب الذي يُشتَهى مَتَابُ التَّعَبُّد في الطَّاعة

كَمُسْتَغْفِرٍ فَرِح قانِتٍ وأَعْظِم بها نَشْوة القانت

دعاءٌ هُو الذكر تجري به قلوب مِن الشَّوق فى زحْمَة

وبِى حالةٌ غامِضٌ أَمْرُها أُحسُّ بها أَعمَقَ الذِّلَّة

غداةَ أُقارِفُ ما لا تُحبُّ أُحاذِر ذِكْرك من كسْفَتى

وينعَقِد القلب حتَّى اللِّسان وَأَغْرَقُ في أَلَمٍ صامِت

وأَخْجَلُ من لفْتَةٍ للسماءِ لأَسْتغْفِر الله من زَلَّتى

وتُثْقِلنى ظُلُمات المعاصي عن الفرْض فَضْلا عن السُّنَّة

فجاوزْ بِنا العدل إنا ضِعَاف وسَعْنا بعفْوِك والرَّحْمة

أحلى ربيع

بِالّذي فيكِ يا سماءُ أَطِلّي حسْبُنا يوم عِيده أن تُطِلّي

إنَّه أَنت يا سماء وسِرٌّ المجْد باقٍ في كلِّ جُزْءٍ وكُل

فأَهِلّي بالخير نُوراً لعينيهِ وقُولِي لكل وطْفَاء هِلّي

وابسُمي تبسمِ الحياةُ ويَفْتَرٌّ دجَاها عن فجْرِه المخْضَلِّ

إنَّه إنَّه الربيع المصفىّ ناسِج النور من هُدًى وتَجَلّي

باعِث الحب قوّةً من قوى الخير تَلاَقَى فَرْعٌ عليه بِأَصْل

نَتَرَجَّى ربيعَ مولِدِه الحُلْو وميعادَهُ بفَرْحَة طِفْل

نَتَحَرَّىٰ ذاك الضُّحَى الأَبيض السَّمْح صباحَ الهدَى السَّرِي المُطِل

العيون الظَّمأَى إلى ورده العَذْب تَرَانيمُ حَالِمَاتٍ تُصَلى

والصَّبايا على الضِّفَاف المُطِلاتِ ظِباءٌ تَرِفٌّ رِقَّة ظِل

والمَهَا العِينُ حولهُنَّ تواثَبْن وَطُولُ السُّرَي يُمِرُّ ويُحْلِي

والْتِئامُ الكُروب في هجْعَة اللَّيل التئَامُ الحياةِ شَمْلاً بِشَمْل

ولِقَاء القُلوب وحَّدَها الخَطْبُ صدى نورَّتْ مجاهلَ سُبْل

قد وهَنّا ولم نَهِن حسْبُنا الصَحْو فما كَان ضعْفُنا ضَعْفَ ذُل

نَتَحَدىٰ ولا يَطِيقُ التَّحَدِّي غيرُ مسْتَعصِم بأَوْثَق حَبْل

نتحدّىٰ عناصِر الشَّر زَحّافًا على أَرْضِنا بِخَيْل ورَجْــل

نتحدىٰ قَذَائفَ الوبلِ تنْصَبُّ انصِبَاب الشُّواظِ كالمُهل يغْلِي

إنه الشوقُ يا سماء إلى الغيْث فوقِّيه وا كِماً غيْر ضَحْل

ابْعَثيه هدِيَّةَ المَولِد الأَسْمى فطه يُهْدِي الجميلَ ويُوْلي

وابِلاً هادِرَ الشُّعاع كما أَهداه من قَبْلُ وابِلا غير طَــلِّ

وابْعثيه سخِيَّة فأَبُو الزهراء خِصْبُ في كلِّ حَزْنٍ وسهْل

نحن أَهلُوهُ وهو من قبْلُ أَوْصَى خيرُكم خيرُكم لِرَبْعٍ وأَهْل

إيهِ ربَّ السماءِ شفِّعه هل غير حبيب السماءِ أَرْضَى لِسُؤْل

قد لَوتْنَا الحياةُ مُذْ صرح الشر فعِشْــنا أَنضــاءَ لَيٍّ وَمَطْــلِ

وشرِبْنا على القَذَىٰ وشَرَابُ الهِيْم[1] أَوْدَىٰ[2] بِكُل قلبٍ وعَقْــل

وركَضْنا إلى البَلاءِ وما زال جَحيمًا يكْوِي النفوس ويُصْلِي

واستَرحْنــا بَلاَدَةً وغبَــاءً لِهَوى النفس والضَّلال المُضِل

وانتَشيْنا بِالرَّاح دارَ بِها الواغِل في عِرضنــا بِغَيٍّ وجَهــل

(١) الهيم : الابل العطاش .

(٢) أودى : أهلك .

ورقصْنا على الأَنين فَعُدْنا كَصِغَارٍ تهفُو لِزَمْرٍ وطَبْل

ونَسِينا تلك العَرَاقَة أَخلَيْنا ذَرَاهَا لِكُل أَهْوَجَ نَغْــلِ

وشُغِلنا عن النِّضَالِ عن الخَير وهِمْنا في حبٍّ نُعْم « وجُمْل »

ومشَيْنا فىرِكْبِ مَنجانَفَالقَصْد عُتُلٌّ يقول فينـا ويُمْـلي

واستَبحْنـا نفوسَنا فاستَراحت لِهَويً كاسِرٍ وعُجْبٍ وبُخْل

أَيُّ حبٍّ فى الكون ما شَعْشعته شَمْسُ طه فى صحْوِها المُشْتَعِل

فإذَا هامَ بالرَّبيـع أُناسٌ ثُمَّ عَبُّوا عَيْبَ نَهْلٍ وَعَـلّ

وإذا أَغْفَت الطبيعة نَشْوَى بين أَحضان ياسِمِينٍ وفُـل

وجَرَي فى اللُّحاءِ من خالِص المُزْن رُوَاءٌ كالعَسْجَد المُنْحل

وتناجَت حمَائِمُ الأَيْك تَنْسَابُ حنِينًا فى عُنْفُــوانٍ ودَل

وتَلاقى الأَصِيل بالشَّفَق القَانِي شعَاعًا يمُوج فى غُصْنِ نَخْـل

كرَحيقِ الحنان كالدِّفءِ كالبُرْءِ كخِصْبِ الحياةِ من بَعْد مَحْل

فهي إِشراقَةُ الربيـع السَّماوِي تَجلَّت في سِرٍّ بَعْدٍ وَقَبْـل

في الجَمال الصَّاحي الكبير تهدَّاه جـلال بادِ المحجَّة رسْـل

المغـاني بَيانُه والمثَـاني عَطِرات أَلا لنفْحِهِ المُنْهَـل

لاَ تغِبْ يا ربيعُ بالروح نَفْحاً فذُو الفضْل لا يَضِن بفَضْــل

لا تغِب يا ربيع إنَّا إذا غبْت حَيَارٰى ما بين فَصْل ووَصْل

لا تغب يا ربيع إنا إذا غبت يتَامى كأنَّنا صَمْت لَيْل

مزَّقتْنا الأَحداثُ تمْزيق أشلاء تهَاوت ما بيْن عُدْم وثُـكْل

كنْ ربيعَ القلوبِ يامولِدَ الخير وبارِكْ صِدْقَ الحديث بِفِعْل

كَمْ تمنَّيتُ أن أكون كما أهْوَى بِروحي ـغِرِّيدَ أعْظَم حَفْل

غَيْر أن المقامَ أسْمى لَعَمْرُ الحقِّ منى فاقْبله جُهْد مُقِــــل

لم أُرِدْها تهانِئاً بل صلاة وسلاماً فَذَاك أحْرَي بِمِثْلي

فاقِد الرُّشد طَالع الخَطْو آثامِي كِبار فى كل موْطِىءِ رِجْـل

قَعدتْ بِيَ الذُّنوب حتى إذا ما صِرْتُ ظِلاًّ لِهيْكل مُضْمحِلِ

نازَعَتْني إلى الرِّحاب الكرِيمات رَجَاوَي شــيْخٍ ولوثة كهْـلِ

غيرَ أنِّي وقد تولَّى زماني حائرٌ حَيْرَةَ الزَّمانِ المُوَلِّي

فأنا اليوم عند بابِك يا رب بَريئاً من كلِّ حَوْلٍ وطَوْل

سابحاً في العُبابِ أجْأرُ مَنْ لِي . يا إلٓهَ السماءِ غيرَك منْ لي

• • •

هاهنا الملتقى

ها هُنا المُلْتقى وَثَمَّ المَآبُ ليس فى هذه الرِّحابِ اغْتِراب

ها هنا الوُحْدةُ التى فَرَضَ اللهُ وميثاقُها الهُدى والكِتابُ

هدَفٌ واحدٌ وظِلٌّ ظَليل لا افْتِراقٌ لا ضَدَّةٌ لا كِذاب

لا طُقُوسٌ ولا مَراسيمُ رَعْنَاءُ ولا جَوْقَةٌ ولا أَرْبَاب

فَدَعوا للنفوسِ فِطْرتَها الأُولى فقد فُتِّحَتْ لها الأَبْواب

فى السماءِ السماءِ حارسُها الأَعظم لا تَسْتَريب . لا تُسْتراب

صانَها المَنْطِقُ الحضَاريُّ بالإيمان لا راهِبٌ ولا إِرْهَاب

أَطلِقوا هذه الرِّحَابَ فَمَا فوْق عُلاها على الأَديم رِحاب

نبْعها يلفِظُ القذَى وسَناها عبْقريٌّ النهار . غَضٌّ شباب

والسَّحابُ السحابُ ريٌّ هواها وحْدها وهو فى سِواها خِلاب

والهدى اشْتاقها فأَسْكنه اللهُ رُبَاها وللطِّلاب طِلاب

شُعلةٌ سهلةُ الروافِد لا تنْفَكُّ مشْدودة إِليها الرِّغاب

والرِّيادات والقِيادَات فى الآفاق موصولةٌ بها الأَسْباب

والقَرَابينُ والضَّحَايا لِمَن ذَلَّت لـه وحدَه النُّهَى والرِّقاب

آمنتْ واليقينُ أَبْلجُ لا تسطعُ إِلا بنوره الأَلْبَاب

• • •

موْكِب الروح لا تَحُد مراميـه حُدُودٌ إن الحدودَ سَرابُ
موكب الروح شأْوُه فوق ما تُلْمَح تلك الذُّرَى وتلك القِبابُ
الرَّواسى دِعامُه والاواذي مُلْتقـاه والآصراتُ عُبَابُ
والهَدِير الجَبَّار زمْجَرة الإيمان ماجَتْ فى دَفْقِـه الأَصْلاب
والشَّذى من كَيانِها ضَمَّخَ الكونَ فما مِثْله شَذًى . أو . مَلاَبُ
شَائعُ النَّفْحِ لا الكُهوفُ تَوارتْ عن سَناه ولا تَنَاءت . . شِعاب

• • •

ها هنا ها هنا تُوَفَّى الموازينُ كما تمَّ بالكمال نِصَـاب
ها هنا تسْطعُ الحقيقةُ لا يعْبث فى ضَوئِها العَظيم ضَبـاب
ها هنا ينطقُ الوُجُودُ فلا يحجُب أَسرارَه الكِبارَ حجَـاب
إنَّها إنها تَعَاليمـه الأُولى وأَحْقَـابُهـا هى الأَحْقـاب
لم تضِق بالنفوس لكنَّ نفوسَ الناس ضاقَت فَمَسَّها الإِجْداب
واخْضِرارُ القلوبِ كالشمس لا يعْبَث إلَّا بِدفئها الإِخْصَاب

• • •

خَاب مَنْ يربِط المَهازِلَ بالدين فَزَيْفٌ طِلاَؤُها . وخِضَاب
والصَّفاءُ الصفاءُ لا يَلِد الرَّنـقَ ولا تسْتفِــزُّه الأَوشَـاب
لا يَضُرُّ الآجَامَ فى الغابِ إذْ تعْـوي ذِئابُ أَو أَن تهِرَّ كِلاب
ها هنا المُلتقى صَعيدٌ طَهـورٌ تتَـلاقى فى ظلِّهِ الآرَاب

وقلوبٌ كأنها ألق المُـزْن تَساوَى شُهودُها والغِيـــاب
وحَّدتْها جوامِـعُ الكَلِم الطَّيِّب بارَى إيجازَها الإطْنــاب
فالتَّعاليِمُ فى مَهَابط وَحْي اللهِ عَـدْلٌ وحِكْمَـةٌ وصـــواب
والهُداة الهُداة آطَامُه الكُبري يُدَوي بها الدُّعاءُ المُجَـاب
لا دُعَاةٌ تهزُّهمْ عَنْعنَـاتٌ قِيل عنهم بأنهم أقْطَـــاب
إنْ أقطابَنـــا الدُّعاةُ إلى الله فلا طَامِـعٌ ولا نَهَّـــاب
لم يدُم فى رُبوعِنــــا الفيحِ دَجَّالٌ ولا خَادِع ولا نَصَّاب
قَد تَهاوت أصنـــا م مكَّة لم تَحْمِ حِماها الأَزْلامُ والأَنْصَاب
يا ضيوفَ البيتِ الذِي فى مغانيهِ أمانٌ ورحمةٌ ومثَـــابُ
مِنْ هنا جَدِّدُوا العهودَ فعهدُ الحب طبعٌ لا خلسةٌ واغتصابُ
بايعوا اللهَ من جديد كما بايعَ فى عهد أحمــد الأَصحابُ
واحزِبُوا أمركمْ وثِيقًا فحــزبُ اللهِ تفنَى من دونهِ الأَحزابُ
إنَّنا صَوبَ قِبلَةٍ تَســاوىَ فى حماهَا الأَعجامُ والأَعــرابُ
وطن المسلمينَ شرقًا وغربا ليس فى موطِن الهُدي أغرابُ

* * *

يا ضيوفَ البيت الذي فى مغانيهِ أمانٌ ورحمــةٌ ومَثَــابُ
إن فَوْق الإحْساس بالحب إحسَــاسا عمِيقا هو اليَقِينُ العُجَاب
كَيْف لا تَسْطع القلوبُ وفى الموكِب طَه ولِلْأَحِبَّا اصطِخَاب

والمُلَبُّون في ذُرَي عرفاتٍ باركَتْهم وديانُها والشِّعاب

وتَحرتَّهُموا الملائكُ أسْرابا تَبارتْ في شوقها أسْراب

يا لَهَذَا الرَّكاب سالَتْ بها البطْحاءُ زَهْوا هل مِثلكُن رِكاب

لم يُخامِرنيَ ارتِيَابٌ بأَن الله مَعَنا والابْتِهالُ مُجَاب

نحن في ساحِ قَبْضَةٍ نَتَحَرَّى كيف نُثْني أعطافَنَا ونَهَاب

كيف لا نَقْبض الزِّمام ونَسْتَنْجِزُ وعْدًا قد طال فيه ارتِقَاب

إن مَضَى العمرُ دُون قَطْفِ جَنَاه سوف يَجْنِي ثِمَارَه الأَعقاب

فالظلامُ الظلام طال دُجَاه وتوالت بعدَ الصِّعاب صِعَاب

وعُدَاةُ الإسلام قد وسَّعُوا الخَرْق وغرَّتْهمُوْا البُروقُ الكِذَاب

وغَرَتهم من الضَّلال أباطيل فَسَاروا كَما يسير الغراب

إنها راية الضلال تغشَّتْهم ظَلامًا وطعْمُها الأَقْماب

إنهم في البَلَّاءِ أَعْدى وأَنْكَى إنهم للضِّرَارِ ظُفْرٌ ونَاب

* * *

إيهِ ربَّ الحجيجِ قدْ مسَّنَا الضرُّ ومستْ شِغافَنَا الأَوصابُ

كل يوم في المسلمينَ نشازٌ رجَّعتْ لحْنه السِّنُونَ الغِضابُ

وجَرَت في الدماءِ من دمِ ساقيهِ زُعَافٌ يفْري الكُبُودَ وصَاب

فَهَبِ المُحْرِمين شُعْثا لأَعْتَابِك رحْمى فإنك الوهَّاب

ما خلَت أُمَّة النَّبِيِّ من الخير وما زَال فيهُمُو الأَنْجابُ

عَلَّ في الحج نُخْبَةً قد تقبَّلْتَ دُعاهم فَيَشْفع الأَنْخاب

* * * *

يا إلَهَ الحجيجِ نَفْحًا فإنَّا في طَنين كما يَطِن الذُّباب
فوقَ هذا الثرَي مشى صحبُ طَه خلفَهُ والهدَى عليهمْ قِبابُ
فأَضاءُوا كمَا أَضاءَ الشهابُ وتهادوْا كما تهادَي السحابُ
أيُّ تِبْرٍ هذا الترابُ الذي ساروا عليه إذاماتحدى التراب
وإذا فَاتَنَا ادِّكار المَواضى في وغَاهُم فالقَوسُ والنَّشَّابُ
إنه رمز قُوة والْيَقِينُ الحَق في الحرب زادُهم والشَّراب
وسِلاح الإيمانِ أَمْضَى فما تَقْوي على فلِّه الْقِنَا والحِراب

* * *

إيه رب الحجيج سِعْنا بِرُحماك ومن رحمة الكريم الحِسابُ
يا إلَهَ الحجيج صَال البُغاث النُّذْل فينا لمَّا جَفَانا العُقابُ
ورضينا الهَوانَ والمؤمن الحُرُّ عَيُوفٌ فَهَل دَهَانا المُصَاب
يا إلَهَ الحجيج جاءُوا : بإفْكٍ لم يُنَزَّلْ به علينا كِتاب
ادَّعُوها حضارة وعَمَاراً وهْي في الحقِّ فِتْنةٌ وخَراب
ورَمُوْا بالْجُمودِ مَنْ لم يُزَعْزِعه انحِراف أَو يعْتَريه اضطِراب
وتَغَالَوْا فأَنْكَروك جِهارا واسْتَبَاحوا ما تستَبِيحُ الدَّواب
إنهم بَاطِلُ يزول ويَبْقى وجهُك الحقُّ والهُدي والصَّواب

* * *

يا إله الحجيج عَوْنًا يُؤَلِّفنـا بما لَمْ تُؤلِّفِ الأَنْسـاب

كل من نازَعَتْـه للحكم نَفْسٌ فالمَفَـاتيحُ ثَـوْرَةٌ وانقِلابُ

والضَّحايا غَنَائِم والقَـرابِين لَعَمْرِي هاتيكُمـوا الأَسْلاب

* * *

يا إله الحجيج إنْ عَجَز القول وحيدا هل يعْجَزُ القرضَاب

رُبَّ حَرْبٍ يؤُوب بالسِّلْمِ والغُنْم وسِلم على الخُنُوع عَذاب

يا إله الحجيج إنّا على الباب وُقُـوفٌ ولن يَضِيـق الباب

فأَلِظّى يا أُمـة الخيـر بالنَّجْـوى دعاءً وليَضْرع الأَحباب

إن أَسْلافنا الأُلَى رفَعُـوا الرَّاية بالحب قَبْلنـا ما خَابوا

والمُلَبُّـون أَقْرب الناس لِلرَّحْمَى وما يُخْطِئُ القلوبَ الجواب

لا تقولوا جَلَّ المُصَاب فَلُطْفُ الله أَرْجَاه إذْ يَجِلُّ المصاب

* * *

وصلاةٌ على الحَبِيب الذي حنَّتْ حَنِينـا له الجُذوع الرِّطَاب

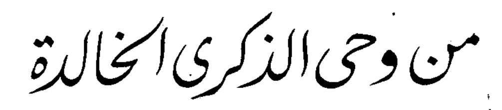
والذي سبَّح الحصى والتُّرابُ فى يَدَيه كأَنَّـه الترحاب

ثم غَنَّتْ شوقا إليـه الرَّبَاب فشَجَاه حنينُها المُنْسـاب

وبَنَاتُ النَّجَّار لحْن جميـلاً هَدْهدَته أَرواحُهُن العِـذاب

أَبْشِـروا إنكم طلَائعُ نَفْـعٍ طَاب فيها السُّرَى وطاب الإِياب

* * *



من وحي الذكرى الخالدة

يا مَنْ رأي مَجْدَ السَّماءِ وَنُورَهُ ... مُزنا تَضَاحك فى أسَرة أحمد

ورأي الكواكبَ والبُدُور تـألَّقت ... بجَبينـه المُتَشعْشِـع المتَوقِّد

فالرَّحمة الكبري تُغرِّد فى يد ... ونُبُوة الأَمجاد تسْطَع فى يَد

وإذَا العَوالِم غايةٌ ووسيلَةٌ ... موصُولَتَـان بِمجْده المُتَجَدِّد

فَروى الخَلاَئِق للخَلائِق مَشْهدا ... عجبًا تعلَّق يومُه بِضُحى الغَد

وتطَاولَت أفلاكُها وتَسـامقَت ... واهْتَزَّ سَامِرُهَا لِبُشْرى المولد

والحالِمُون على السَّحاب تَندَّروا ... فلقَا يشِـع بِسُنْدُس وَزبرْجَـد

وهَفَتْ ملائكةُ السماء وشَاقَها . . ... مَا شاق كل مُسبح ومُغـرِّد . .

وسَرَتْ على الأَكوانِ فى غَسق الدُّجى ... نَسَماتُ فجرٍ عبْقـريٍّ سَرْمد

وتعانقت أَرواحُهـا وتخاصرَت ... آمالها فى رحمـة وتَوَدُّد

واستبشَرت حتى الأَجِنَّة أَفْصحَتْ ... عنها وُجوه الغانِيات الخُرَّد

* * *

يا من رأى سِرَّ الوجـود كأَنَّه ... شَمْسٌ ترنَّحُ فى غِلاَلَةِ عَسجَد

الله فى الرُّوح الأَمينِ مَشَى بها ... فى ذاتِه : لِتَكُون ذات مُحَمَّد

الله فى إيمـانِه وأَمانِـه ... الله فى إبداعِه المتفـرِّد

الله في أخلاقه منفوحة بشذى من القرآن حُلو المورِد

طَابت بها في الخلد كل أَرُومةٍ كَرَم النجار على كريم المحتدِ

وترعرعتْ في المشرقين خمائلٌ رُويت بمجد في الزمان مُخلَّد

واستأثر الوجْد المليحُ بأنْفس لهفَى تحيط برَكْبِه المتوجِّد

نضاحَة القَسَمات تهتِف بالمُنى عظُمت فَفَاض بِها هوَى المُتَزيِّد

زفّت إليه الحب مِلْءَ جوانح مَوَّارة بِلُجَيْنها المُتَوردِّ

سكبَت عليه الراحَ من نشوَاتها أَلِقُ الضُّحى في السَّمهريِّ الأَملَد

وترفَّقت بالطَّيف في سُبُحَاتِها فإذا الخَيالُ حقيقةٌ في الموْعد

وإذا صَحَا أَملُ القلوب على النُّهى بلغ المدى في أوْجِه المتَمَرِّد

وشأَى السِّماك كأَن في آفاقِه هَدَفا : تمثَّل في : أوابدَ شُرَّد

هدفُ العظائم في العَظيم رسالةٌ هان الفِداءُ بها وعزّ المفتدِي

ومضى بها نُورُ اليَقِينِ يَصُونها هَادٍ أَمينٌ لا يضيقُ بِمُهْتَدي

بالحِكْمة المُثْلى سِلاحُ جهادِهِ لا باللَّجَاجِ ولا بِحد مُهنَّد

بالحب عَاطف بينهم في مَشْرَعٍ صَفْوٍ يروح على الوِدَاد وَيَغْتَدي

وهَبَ الحياةَ عزيزةً وَسَرى بِها مَسْرى الجَدَاول في الظِّلال المُيَّد

تصِل الوشائِج بالوشائج فى هَوى ... سمح ٍ كمَنْغُوم اللقاءِ مُهَدْهِدِ

وعَلَى المواكبِ للمشاعل فرحةٌ ... تجْلو المباهِج مَشْهدًا فى مَشْهد

لا تَسْتفيق من السُّلاف : حلَالُه ... أبْهى وأمتعُ من سُلَاف مُعَربِد

كلُّ الرَّوائِع مِنْ مَناهِل كفِّه ... دَفْق حَكَاه متهم عن مُنْجِد . .

وخصَائص وسِع الزَّمان حِبَاؤُها ... حَطمَت سُدود مُقيَّدِ وَمُحَدِّدِ

ومُنى الكريم : كرَامةً يسْمو بِها ... إنْسَانها عن حَيْرَةِ المُسْترفِد

ما كان دِينُ محمدٍ شَكْلًا ولا ... رَسْمًا تضاءُ له شُمُوعُ المَعْبد

لكنَّه الإِنسانُ فى أبعادِه ... فى مجْدِ معْنَاه السَّرِيِّ الأَبْعد

فى كنْزِه المذْخور غير مُهَدَّر ... فى رُوحه الرفَّاف غير مُصَفَّد

فِيما يشِفُّ له الْوَلَاءُ مُمَحَّضا ... لا فرْق بين مَسُودِه والسَّيِّد

فى الآصِرَات تجمَّعَت وتآلفَت ... فى الأُمنِيات على السُّرى المتوجِّد

للموطن الأَسْنى عقيدةُ وامِقٍ ... فى موقِفٍ جَمِّ الْفَخَارِ مُؤَيِّدِ . .

وحي العقيدة فى مهابِطِ وحْيِها ... من بيته المعْمور حتى المسجِد

متنفَّسًا لهوى الشباب وعهدِه ... ومدارِجِ الاحلام مَرَّت فى«دَدِ»

ليسَتْ سِواه حقيقة فى صُورة ... مشدودة لِكَيانه المُتوطِّد

ليسَت سِوى الحب الأَصيل مُجرّدا ... للمصطفى فى الموقِف المتَجَرِّد

حبُّ اليقين تدافعت أمواجه لا حُبَّ مضْطَرب الحشَا مُتَرَدِّد

نديٌّ البراعِمِ والأَزاهِرِ والسَّنا والظِّل فى صُبْح أغرَّ منَضَّــد

وسَقَى العُهــود الوالِيَات لِعَهْده عَذْبا صَرَاحًا منــه غير مُصَرَّد

فصَحَت على صَحْو الربيع حدائقٌ أَحَدَاقُها مــن حُرْقةٍ وتَنَهُّــد

ومشَى بها التاريخُ يغسِل نورُهُ بُقْيا أثَامٍ فى ضلالِةِ معْتِــد

ويجول فى الأَعْمَاق يزرع سِرَّه بَين القِفار الجرْد : بين الفَدْفَد

حتَّى اسْتراحَ الخافِقَان لِراية بَيضاءَ : إلاّ طُغْمةً من حُسَّدِ

عاشَتْ على الداءِ الدَّفينِ حماقَةٌ موروثةٌ فى خامِلٍ أو : قُعْدَدِ

بالمكر تنفُثُ سُمَّــها وتُرِيشُه سَهْما يَلوكُ ضَغِينــة المتَلَدِّد

حتى تكسَّرت النِّصَال ولم تَزَل تَنْدسُّ فى اللهَب القمىءِ الأَسْود

محروقة القَسَمَات أَجْفل «طعمُها» من صيْدها فى خَيْبَــةٍ وتبَلُّد

ومَضت تنوح على الرِّعان هزيلة كالبسْمة الصَّفْــراءِ فى المُتَجلِد

واسترْجَعَت مقْــرورةً : فى رأْسها أَملٌ إلى الرُّجعَى لِنهْج محمد

لِرحَابةِ الفيحِ المــلاءِ رَجَاحَةٌ للشَّوكة العظْمى التى لم تُخْضَد

لِعدَالة كونيَّـــة شفَّافــة . . إبداعُها فى المَسْلك المتَعَبد

لحضارة معروقَةٍ مبْهُـــورةٍ فَتَحَتْ مَغَالِقَ كُلِّ بَابٍ مُوصَد

بالفتح جَلْجل فى السماءِ دويُّه　　كالرَّعد بين مُصَوِّب ومصعِّـد

للأَمْسِ للتـاريخ فى أَجْيـالِه　　لِغَدٍ لِعهـدٍ قادم لم يَبْعُـد

للحق تُشْرق من جدِيد شمسُـه　　بِمُحمـد فى عِزٍّ أَوْجٍ محمد

ولَيـأْفلَن : الغرب بعد شُروقه　　ويعودْن ما ليس بالمُتَـعَـوِّد

« أزف التَّرحُّلُ رَغْمَ أَنَّ رِكَابَهمْ　　لمَّا تَزَلْ برِحالِهم وكأَنْ : قَد »

فَمُحمدٌ رغْم الجُحـود محمـد　　وهِباتُه كَحَيـاته لم تنفُـد

ويَؤوبُ عِزٌّ المسلمين وإنَّـه　　يومٌ قَرِيبٌ ليس بالمستَبْعَد

تتَوحَّـد الدنيا على أَظْلالِه　　أَنفا وتزْهَق رُوح غير مُوحد

وسَيَنتهى عهد الضَّـلالةِ والهوى　　إِذْ يطلُع الغَرْس النَّقى ويبْتَدي

وعلَيْك يا خَيْرَ الأَنامِ تحيَّة　　هِىَ مِن صلَاةِ الله : عِطر المولد

* * *

رحلة في رسالة

يا قِبــابَ الفيْحاء يا بسْمَة الــرُّوح ويابَهْجَةَ الْفُؤادِ الشجيِّ
لَثم الحُب ذاتَه وتَغَنى الشــوْقُ فى صَمْتِه الجَلي الخــفيِّ
وتَهادَتْ على مشــارِف سَلْعٍ . . نَفَحاتٌ من الشَّذى النَّبَويِّ
وتبدت « قُباءُ » والألَقُ الضَّاحى وشَاحُ مِنْ عَسْجَدٍ عَبقَري
وبناتُ النَّجَّارِ يَضرِبْن بالدُّف ابتِــهاجًا بِمَقْدَم الهاشِمِي
النَّبِيُّ المبعوث فى خيْر أرْضٍ . . صانَهَا مِنْ منَافِق ودَعِي
دعوةُ الحقِّ لم تَزَل مطْلَع الشَّمس إلى غَربها هَوَيً كلِّ حَي
أزَلٌ سَرْمَدٌ أفاضَ عليها النُّــورَ أعظِم بهدْيِها السَّرْمَدي
يا لَطَه وصحْبِه الغُرِّ في طِيبَةَ دارِ الأَمانِ مثْوَى النبي
مسجِدٌ زادَه المَليكُ اتِّسَــاعا زَانَ أفْقَ اتِّسَاعِه الرُّوحي
فَعَسَى نَفْحةٌ تُطِل على الدُّنْيا فَتقْضى على الصَّدي الوثْني
فإذا النَّبْتُ حالٍ وإذا الشَّمْلُ جَميعٌ على الصِّراط السَّوِي
وإذا الرَّايةُ التى ظَلَّل الكَوْنَ سَنَاها فى كَفِّ قرم ذَكِي
عَبْشَمي السِّمات ينْمى إلى الصِّيد فَخارًا وإن نَـأَي عن نمــي
والجدِيبُ الجديبُ من خلق المجد قَصيٌّ وإن نما فى قُصَي
إننا فى هوَي الحبيب سَموْنا عن هــوى . عَزة . ولِينى ومَي



أسام التشريق

«أَيها الراكبُ المُيَمِّم أَرضى   أَقْرِ بَعْضَ السَّلامِ مِنِّي لبَعْضي»

«إن جسمى كَمَا علِمْتَ بأَرضٍ   وفؤَادي وساكِنِيه بِأَرْض»

* * *

وإذا الليل قد شَجَا وغَفَا اليَمُّ وَبَرْقُ الحِمى أَهلَّ بوَمْض

عاودتْنِي الذِّكري إلى أَرَجِ الخَيفِ فَلَنْ تَفْرَحَ العُيُونُ بِغَمْض

أَتجلى الأَطْياف فى وهَجِ السُّهْد وفى زَحمةِ الأَنِين المُمِضِّ

وإذا أَغْضتِ النَّسائمُ عَبْر الفجرِ رفَّافةً . على البعد أُغضى

وإذا سَالَت البِطَاحُ بأَعْنَاقِ المَطَايا أَكادُ واللهِ أَقضى

وإذا الصَّبُّ راحَ يُفْضي إلى الليل بِنجوى فإنَّنى لَسْتُ أُفْضى

أَنا والليل عاجزان فَلا الصَّمْتُ يُوَاسى ولا التَّجَمُّلُ يُرْضى

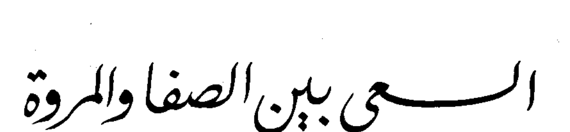
قَطَراتُ الرَّذَاذِ أَشْهى على الظَّمآن مِن هَاطِلٍ بِذُلٍّ وَخفْض

* * *

عرفات

الأَغَاريدُ في السمـاءِ نِـداءُ والرِّحـابُ الخضْراءُ والأَضْواءُ
والحُشُودُ التي أَطَلَّت مَـع الفجرِ على المَوقِف العظِيم دُعَـاءُ
والحَيَارَى والراقِصون على السُّحب أَظَلَّـت أَفياءَهُم . أَفيـاءُ
والثَّراءُ العريضُ والجاهُ والمُلْكُ خُطَاهُ على الثَّرى . مَشَّـاءُ
والمغـانى الفَيْحـاءُ ناعمةُ الظِّـلِ وآسـادُ غابِها . والظِّباءُ
والمَقَاصِيرُ والخِيامُ قُطْعَان حِمَـاها مـع الرُّعاة سَـواءُ
يَا لَعَيْني يا قُرَّة العيْـن مِـنْ مَشْهدٍ يومٍ له الحيـاةُ فِـداءُ
قَدَرٌ نَسَقتْ يـدُ الله مَغْـزاه فلِلأَرض والسَّمـاءِ لِقـاءُ
والأَنِينُ الشجىُّ والنَّغَم الحُلْو ورَجْـع السمـاءِ والأَصْـداءُ
كُلُّها . كُلُّها إلى عرفـات الله هَمْسٌ مُعَـبِّرٌ وَدُعَـاءُ
فاذكُـري الله يا بُنَيَّة أَنَّى كُنتِ فالذكرُ مُتْعـة وغِـذَاءُ
وصِلِيـه . . يصِلْكِ فالغَفْلَةُ عـن ذكْـرِ منْ نُحِبُّ جَفَاءُ

• • •



السعي بين الصفا والمروة

وكبَّرْتُ بين المَرْوَتَين تَهُزُّني ... مشاعِرُ ضاءَت فى الحَشَا وشعائرُ

أَحِنٌّ إلى الأَمْواج دفَّاقَة السَّنا ... تَساوَى صِغَارٌ عِنْدها وأَكَابِر

وعَجٌّ وفجٌّ للحَجِيج كأَنَّما ... تَجَاوَب صَيَّالٌ لديها وهَادِر

وذابَتْ فُرُوقٌ كُنْتُ أَرعى سِماتِها ... فما ثَمَّ إلا خاشعُ القلبِ ذَاكر

فَلَاالحُسْنُ جذَّابا ولاالطَّرْفُ زائِغا ... إذا هِندُ نَضَّتْ جِيدها أَو تُماضر

وهرْوَلْتُ يا نور الفؤاد كأَنَّنى ... إلى حَوْمة الهَيْجاء لَيثٌ مُغامر

وهاجَت بِى الذِّكري إلى عهد هَاجَرٍ ... وفى المَهْد إسماعيل ظمآن حائرُ

تُهَدهِده تَسْترفِدُ الأَرضَ مَاءَهَا ... فأَشْرَق غيْثٌ من ثَرَى الأَرضِ هَادِرُ

وهلَّت بِوادي الخيْرِفى سَعْيِ هاجرٍ ... فَعاشَتْ مع الذِّكْري الحبيبةَ هاجَرُ

* * *



باب السلام

بابُ السلامِ وهـذِه شُرُفاتُـه ورتَاجُه . أإذا . انْتَشَيْتُ ألام

ولقد مثلْتُ فضاق بالأَمل النُّهى فإذا الرُّؤيَ وكأنها أحْلام

وتعلَّق الإمْساءُ فى إصْبـاحه وتعَانَـق . الإيحـاءُ والإلْهام

وسمِعْتُ من كَبد السماء مَثانِيًا فى البيْتِ فَاضَ بشَدْوِهِنَّ حمام

والبيتُ أَمْنُ الخائِفِين وإنَّـه بَرْد على أكْبـادهم وَسَـلام

والطائِفُـون الحَائِمون تَعَاقَبَت دَوْراتُهم ما صدَّهُنَّ زِحـام

سِرُّ الحياة ورمز كُلِّ مَسِيـرةٍ فالكَوْن أجْمـع دورةٌ ونِظـام

والشُّهْب حول الشَّمْس فىأفلا كِها دَوَّارة . ما لِلحياةِ دَوَام . . . .

أَدَب تُشَعْشِعُهُ القداسةُ صافِيًـا لا السيف يُقْحِمه ولا الضِّرْغام

والطَّيْرُ آمِنةٌ تـروح وتَغْتَدي كَظِباء مكَّة . صيدهُنَّ حـرام

يا رب زِدْه محبةً وجَـلالَـة فَلَكَ الْجَلَالُ الحقُّ والإعْظـام

* * *





حراء

ولمَّا تنوَّرْنا حــراءَ واطْلَعــتْ ... طوالُعُه . ذَاكَ الجلالَ المعتقــا

وقفْنــا وأَوْقَفنا المَطِيَّ مَهابةً ... ولاح أَبُو الزهراءِ فى الغارِمُشْرِقا

وَمِزْوَدَةٌ مطروحة و « ركيــةٌ » [1] ... بها فَضْلُ ماءٍ قَدْ صَفا وتَرَقْرَقا

وطَيْف تَبَدَّي كالرَّحيقِ شُعاعه ... يُناجى هَوًى عذْباً وعَهْداً ومَوْثِقا

وفى الأُفقِ جبريلُ الأَمينُ كأَنَّما ... يُبَــارِكُ حُلْماً عَبْقَريا تَحَقَّقَــا

وفاحَ عبِيرٌ لا الخُزَامى ولا الشَّذَي ... فَقد كان من نَفْحِ الفَراديس أَعْبقا

تُواكِبُه الرُّحمى وتُوقِظُه الرُّؤي ... لِيَجْمعَ فى الأَكْوانِ شَمْلا تَفَرَّقا

ويِنْسِجُ من أَهْدابه الوطْفِ أُمةً ... على مجْدِها : عافَ الكَرَى وتأَرَّقا

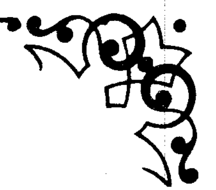
فَهدهَدَ إِعْصارا وشَقَّ من الدُّجى ... مصابيحَ حَيَّاها . الحَيَا . مُتأَلِّقا

فَلِلَّه أَرْوَاحُ على الجَدْبِ أَخْصَبَتْ ... ولِلَّه عَزْمٌ ما وَهَى أَو تَمَــزَّقا

• • •

---

(١) اشارة الى أن ركوة رسول اللهصلى الله عليه وسلم هى تمده بالماء مهما طال تحنثه كأنها ركية أى بئر .



ذكريات عزيزة

إلى صاحبي الجزيدة الجليلين أعتذر عن القصور الكبير إزاء الواجب العظيم هذه (الكليمة) فى خجل مزيد معتقداً عدم تكافئها مع العدد الممتاز آسفاً على حيلولة الفرص الضيقة بيني وبين إيفاء هذا الأمر حقه ، الناظم .

يا سَارِياً راحَ يطْوي دَارَةَ الشُّهُبِ   فى مُهْجةٍ سَبَحَتْ فى عالَم الحُجُبِ

جدَّتْ بهافى الهَوَى العُذْرِيِّ مَوْجِدَةٌ   ولَجَّ منها هُتَافٌ جَدَّ فى الطَّلبِ

فجاذَبَتْ شبَحاً ضنَّت بِه زَمناً   ثم انْثَنَتْ جَذَلاً فى الوخْدِ والخَبَبِ

كأنَّما روحُ صَبٍّ شايَعَتْ أَمَلاً   بعْدالنَّوي فَبَدَتْ تخْتالُ فى طَرَبِ

هذي الدُّنا صُورٌ شتَّى إذا ابتَسَمت   يوماً ففى آخر وقْدٌ من اللَّهَبِ

ما الذكرياتُ على أبهى غضَارتِها   والكأْس قد نَثَرَتْ مَنْظُومَةَ الحَبَبِ

وما الهوى وأمانِيه وإن عَذُبَت   موصولة الأُنْس فى زَاهٍ من الحُقُبِ

والرَّوضُ قد بَسَمَت فيه أزاهِرُهُ   كالطَّلِّ أَو ضَرَبٍ فى طَيِّب الشَّنبِ

ما بَيْن فاضِحَة للشمس إن برزَتْ أو غَادَةٍ بين سرْبٍ جدَّفي الهَربِ

والحُبُّ مؤتلقٌ ضاف مخيِّمه يرمي الحِبَالَةَ عن بُعْدٍ وعن كَثَبِ

والقَوْمُ فى نشْوَة يجْتَثُّهم أَملٌ فى هالة البدْر أوفى دَارَة الشُّهُبِ

أسْمَى وأرْوع من ذِكْري مؤثِّرةٍ فى النفس باقيةٍ مَمْدودَةِ الطُّنُبِ

تغْدُو اللَّيالي وفي أَطْوائِها أُمَمٌ ما بين منْصَدِعٍ واهٍ ومنْشَعِبِ

وتلك حَافِزةٌ للدَّهْر عابِقَـةٌ فى الذهن ماثِلةٌ فى القلْب لم تَغِب

للمسلمين بهـا عيد يؤَلِّفُهم ويجمع الشَّمْل فى عِقْد من النَّسَبِ

رمْزُ الأُخُوَّة لا عُجْبٌ ولا صَلَفٌ رمز التَّكافئ بين العُجْم والعَرَبِ

حقِيقَةٌ من يُرِدْ غضًّا لجوهَرِها يَنَلْ مِنَ السَّوءِ أَقْسَى منْتَهى الغَضَبِ

حفْلٌ وَمُؤْتَمرٌ تَزهو بطالِعِـه بنُو الحنيفية الغرّاءِ فى أَدَبِ

يستَذْكِرون به دِيناً مُعزَّزَة أركانه بالقَنَا الخطيِّ والقُضُبِ

وموقفاً لرسول الله تَمَّ به نَصْرٌ تأيَّد فى الأنْباء والكُتبِ

ما بين مبْتَهِلٍ للحق فى أَمَلٍ وضَارِعٍ لإِله العرْشِ فى رَهَبِ

هذا بِتَهْليلِه تَدْوِي الجبالُ وذا يَرِنُّ منه صَدَى التَّكْبير فى الهُضُبِ

شَعَائِرٌ تجْتَلى منها النفوسُ سَناً كالبدْر يُشْرِق فى ماسٍ وفى ذَهَبِ

فكَان مُنطَلَقَ الأَشْجان فى فَرحٍ   وكان مثْوى الهُدى في صالح القُرَبِ

كأَنَّما نحن (بالقصْواء) مُمْعِنَةً   تَنْحطُّ سارِيةً فى أَجْمل الصَّبَبِ

والمُصْطَفَىٰ ثَائِرٌ للدِّينِ أَنْجُمَهُ   للحق يَنْهَضُ فى عِلمٍ وفى غَلَبِ

لكنَّ أُمنِيَةً من بعد ما عَبَرَتْ   خيرَ القرون تَهَاوت بَعْدُ فى النُّوبِ

فهَل نراها وقد شِيدَت مآثِرها   وهل نراها سَمَتْ فى ذِرْوة الرُّتَبِ

ثم الصَّلاة على المخْتار ما بزَغَتْ   شمسٌ وما انْسَكبَتْ وطْفَاءُ بالسُّحُبِ

* * *





هـــذه النخـــلـة

هذه النخلةُ مِنْ بَطْحـــان فى مُلْتَقَى وادي قُبَـاءِ الأَفْيَح
مِنْ ثلاثيـن خلَت ماثِلَــةً فى خَيـالى . . سَرحُها لم يَطْلُحِ
أَلمَحُ الأَظْلالَ من أفْيـائِها كَشُـعاع الشمس وسط القَدح
والتحِيَّـــات التى أعهَـدُها من قديمٍ لم تَحُلْ . . لَم تَبْرح
والصَّبا ذاك الذي تعطِفُه صـوْبَها عطْفَـةَ رِيم . . مُسْتح
إنه نَسْج عبِيـر سَجْسج من رحيق الفجْـر رطْبٍ . .مَرِح
رفَّت الأَمـلاكُ فى أعْطَافِه رفَّةَ شَـادٍ صَيْـــــدح
تَتَلقَّـــاك بِوْمـضٍ كاشِف بُحتَ بالأَسرار . . أَوْ . . لم تُبح
وإذا شِئْت فَـرُوحٌ نَضْـرة أَو تسهَّيت فَظِـل . . الشَّبح
وسأَلتُ الطَّـل عن آماقِها قَال لِى سَلْها . . وإنْ لَم تُفْصِح
وتأَمَّلْتُ رؤىً مَطْـــوِيةً فى حَفِيف كَنَهِيج المَطْلح
يَتَحـــرَّانى كَمَـنْ يُسْمعنى نـأْمـة الوجـد الخفِى المُبْـرح

أَوْ جِراحات أَبىٍّ مُتْخَـــن رابِطِ الجأْشِ كأَنْ لم يُجْرَح
يُرْقِئُ الدَّمْعَــةَ فى مَحْبِسِهَا لَمْ يَرِمْ عن وِدِّه . . لم يَبْــرح
والأَسَى يَصْرُخ فى أَحشَائه كَيْفَ خَاب السَّعيُ .. سَعْىَ المُفْلح
كَمْ أَنِينٍ فى الدُّجَى مُنبعثٍ من حنين الجِزْع فى الخَطْب الوحى
رُبَّ شدْوٍ نابِــعٍ مِنْ فَرَح كَهديل نابع مِنْ . . تَرح
هل سَوَاءٌ جارِحٌ عهْدَ الهوى والذي يأْسُو .. ولمَّا .. يجرح
والذي يسْمح بالرُّوح على سِرِّها الغالى ... ومنْ لمْ يسْمح
فى حُطَــام كُلُّــه مُبْتَسَــرٍ من ضَعيف النَّبْت . . فَجٍّ . . دَحْدح
ثم أَبْصَرت دموعًا ثَــرَّةً مِثْل حبِّ الطَّلْع . إِذْ لمْ . يَنْفَتح
فتذكَّرتُ عهــودا سَلَفَت يومَ كُنا فى جِــوَار الأَبْطَح
نخْطَف المُزْنَــة لا يهْصرها فى السَّحاب الجون .. غَيْرُ .. الأَرْيَحى
ونُراعِى شفقًــا مُضْطَّــرِباً مثل قوس هَارِب . . مِن قُزَح
ولِدَاتُ العُمْــرِ حولى رتَّعــا بين حُلْو « التكْو » أَو مُنْسَدح
والذي يَهمِس للبـــدر على خِلْسَة . . لا يرْعَوِي . . للنُّصَّح
والذي يَشْبِــرُ آفَاق الدُّجَى كالثُّريَّا بالجُفُــون . . القُرَّح

* * *

إِيهِ يا نخْلَةَ بطحــانَ لَقَــدْ مزَّقَتْنــا الرِّيح . . لم نَسْتَرح
فَمُقِيمٌ نازِح . . مُحْــرنجمٌ وبعــيدٌ حبــه . . لم يَنْــزح

بالمنى البَيضاء مَا زَالَتْ على وقْدِها لمَّا يَجِده أو تَجْنح

والذي قدَّر أقْدَار الورَى سِرُّه في الغيب . . لم . . يَنْفَضِح

كم صَدِيق خانَ عهْدي وانتَحَى فلَعَاً . . ألْف . . لعًا . . للمُنْتَحى

علَّهَا الحَظْوَة أقْصته ومَن يغفِر الزَّلَّات . . لم يَنْتَزِحِ

* * *

أنتِ يا نخلةُ رَوْضي كُلُّه بالهَوى نَفْحٌ وإنْ لَم يَنْفَح

مِن جَنَا . . الفِرْدَوْسِ لوْلَا سِرُّه عِشْت فى دُنْيَاي عَيْش المزْرح

قد أَبْحتِ الناس ظِلاًّ وارِفًا مَنْ يَجُدْ جُودَك أَوْ منْ يُبح

العَثَاكِيلُ التى هدَّلتِها فرَحٌ مُنْسكِب فى فَرَح

كبَنَانٍ حُلْوة مُحْمَرةٍ تَجْتَنى «زهوك» جَنْى . . المُسْتحى

أَصبح « الزَّهو » على إصْبَعِها يالهَيْمان ! ! بها مُصْطَبح

وأيادٍ قَذَفتْها بِالحصا كان أَحْلى الرد دَفْق البَلَح

إيه يا نَخْلة ذَاكَ المُنْحَنى فى قُبَاء كالأَديم . . الصَّحْصَح

عند ما زُرْت هُناك المسجِدا طِرْت شوْقًا للصَّبَا المُنْفَسِح

وتَمثَّلتك أيام السَّنا فى فُؤَادي لَاح أَو . . لم يَلُح

قلبُك الغضُّ الكبيرُ انْتَلَفتْ	فيه أَشْتاتُ الهوي المُنْطَلِح
فَغَرامٌ جامِح مصطَفِق	وبَقَايا هَيْكَل . . مُنْطَرح
والمنى الطَّافِحُ أَوْدي حَرَقًا	ومَضَى بالصَّفْو . . مَنْ لَمْ يَطْمَح
وطيورٌ عَشَّشَتْ حائِمَةً	وصِلال جَنْبَها . . لم تَصح
صَدَحَتْ لَمْ تَدْرِ مَنْ جِيرَتُها	لَيْتَها فى العش لمَّا . . تَصْدح
والصِّلالُ العُضل فى قدرتِها	ويْحَها قُدْرَة . . مَنْ لم يَصْفَح
لا تلُومِى نازِحا أَرَّقَه	عارِضٌ من برقِكِ المُنْسَرِح
وعُيُون جَفَّ مِنها دَمْعُها	غَيْرَةً من دمْعِك المُنْسَفِح
قُلْت لمَّا عزَّنى دَرْك المُنَى	ليس غمر الماءِ مِثْل الضَّحْضَح
إن مَنْ يحْيَا على ضَنْك الهوي	غَيْرُ منْ يَحْيَا . . بِعَيْش رَحْرَح
والذي خَاضَ تَبَاريح اللَّظَى	ليس كالخَائِض لُجَّ . . المَسْبَح
إنَّها الحُرْقة أَوْرَت زِنْدَهَا	حُرقًا لولا النَّوى لم تُقْدَح
والذي أَشْرق فى صحْو الفضا	غَيْرُ من يهضِبُ فَوْق السَّحْسَح
فَهِبِى يا نخلتى حُلْوَ الْجَنَى	مَنْ يَذُقْ مِنه مذَاقًا . . يُفْلِح
واقبَلى منِّى تحيَّاتِى إلى	رَبْرَب الغِيد وسِرْب المَسْرح
وقَطِين بين هَاتيك الرُّبَى	بارِع النُّكْتة عَذْبَ المُلح
ولَيَالى الْجِزْعِ حَيَّاها الحيا	كَمْ حَبَتْنَا بِجزيل . . المِنَح
كَمْ طعِمْنا البَزل فى أكنافِها	آه لَو عادَت . . بِكبْش. أَمْلَح

من أغاريد رمضان

يا هِـــلالا مبـــاركًا ربُّـك الله ربُّنَـــا
أنت واللهِ بِشْـــرُنا أنـــت واللهِ حِبُّنَـــا

* * *

حين أقبَلْــتَ أقبَلَــتْ نفحـــاتٌ تُظِلُّنـــا
وتَـــوارَت غَمـــائم دَجْنُــهَا الدَّجْنُ لَيْلُنـــا
وتبـــدَّتْ سحـــائب للأَمَـــانى تُقِلُّنـــا
يا صفَـــاءً نُحِبّـــه ورَجَـــاءً يُحِبُّنـــا

* * *

أَلْفَ أهـــلًا ومرحبـــا بالذي طـلَّ مِنْ عَلِ
مِن سنـــاك المُـــرفَّلِ من هـــداك المُهَـلَّل
من تَجارِيب ما مَضَى قـــد رسَمْنـــا لِمُقبل
وهَتفْنـــا لِحاضـــر سـابِـــحٍ فى التَّأَمُّـــل
أن يَرَي فى حيـــاته عِبرَ الأَمْسِ : تَنْجَـلى
إنَّهـــا نـــورُ فَجْـرِهِ إنهـــا خَيْـــرُ مِشْعَـــل
ربُّــك الله ربُّنَـــا يا هِـــلالا نُحِبـــه

* * *

أنت شهـــرٌ جَلالُه لم يُطِقْــه جمـــاله
وصَفـــاءٌ . كَمـــالُه حِيــن يَبْــدو هــلاله
المعـــانى ثِمـــارُه والمغـــانى ظِــلاله
والمَواجيـــد حالُـــه وذُراهـــا مآلُـــــه
والتّرانيـــم موطِـــن والشّـــحارِير آلُـــه
لا ســرابٌ بِقِيعــــة يخْــدعُ العيــنَ « آلُه »
إنه الحـــق صـــادِع شامِخَـــاتٌ جِبَـــاله
صـرَع الوهْم فَأَخْتفَى ثم ولّى خَيـــــاله

* * *

ربــك الله ربُّنـــــا يا هِـــلالا نُحبـــه
أنتَ يُمْـــنٌ مُحَقَّـــق أنت عَهْـــدٌ ومَوْثِـــق
ونفـــوسٌ تُحَـــلِّق وقـــلوب تُصَـــفِّق
الصِّغـــــار البَراعِـــم لك تَهْفـــو وتَخفِــق
والزهـــور الفَـــواغِم بِك تَنْـــدى وتَأْتَلِــق
والهَـــوَي الحُـــر صائم بِشـــذى الطُّهْـــر يَعْبَقُ
ربــك الله ربنـــــا يا هـــلالا نحبـــه

* * *

لا تَدَعْنـــــا فإننـــا إن تَدَع وَجْــدُنا : يَنَم
لا تدعنـــا فَمَا لَنا بعْــدَ مَسْراك مِن قِيَـــم

لا تدعنـــا فإننـــا إن تَغب تَقْصِف : التُّخم
قَسَمًا بالــذي هَـــدَى وبِقُـدْسِيَّـة القَسَـــم
سوف نحْيـا على الهدى في صِيام عن الحُــرم
في وِصَـــال نعيشــه للقَــرابَات والرَّحِـــم
ستَرَانا على المَـــدي مِشْعَـل الهَـدْي للأُمَـم
مِثْـلَ ما كان دأبُنَـــا في القَـدَاسات مِنْ قِـدم
مَشْقَةُ السيــف . مِثْلها مشـقة الطِّرس بِالقَــلم
فبِهـا تُخْطَـب العُـلا وبِهَـا يُرفـع العــلم

* * *

ربــك الله ربنـــا يا هـــلالا نحبــه

* * *

أنت شـــهر الحَقيقةِ في النفـوس الرَّقِيقــةِ
في القَــلوب المَفِيقَـة في العُقـــول الطَّليقـة
وقْـدُها البِـرُّ والتُّـقى للـــوَرَى للخليقـــة
في الثَّـــوانى تَواثَبَت بِخُطَــاها الرَّشِيقـــة
مُحْكَمَاتٌ دقيقـــة في الفُهُـــوم الصَّفِيقة
أنت في الكـون كلِّـه آيـــةٌ للحقيقـــة
وسـلوكٌ موحَّــــدٌ للحيـــاةِ السَّمِيقَــة
طاعــة أنت سَمْحــةٌ للنفـــوس المُطِيقَــة
ليـس بالعِــرْق إنما بالمعـــانى العَرِيقــة

* * *

يوم الاثنين

فِدَاك الهوي كُلُّـه كلـه حقيقَتُه : رسْمُه : ظِلُّـــــه

معَانِيــه أَناقُــهُ الواسـعات : مَجَاليــه : أَنْسَامُه : طَلُّــه

حيــاةُ الوُجــود بمـا فى الوجــود بِسابِقِ فَرْضِ الهوى : نفْلهُ

ذُرَاه مرابِعــه الحانِيــات منابِعُـه : عَلُّــه : نَهْلُـــه

فَيَا باعِث الْحُـبِّ لمَّـا بـدَا صحَـا. فجرُهُ ، وامَّحَى ليلُه

حبيبي وَيا حَـبَّ هـذا النِّـداءِ تـألَق بالغَيْــث مُنْهَلُّــه

تَرانيمُــه هَمَسـاتُ القلـوب وأَصْـداءُ إلهامــه رُسْلُـه

إذا وَمَض الحبُ بالذكـريات ونافس دَلَّ الهــوي ذُلُّــه

وغَرَّد باللحَظـات الحِسـان ربيـعٌ تفَتَّح مُخْضَلُّــه

غــداةَ تـأَلَّـق وادِي العَقيــق وهَدَّل أَغْصَانَهُ نَخْلـه

وضــاءَت ثنِيَّــاتُه الحَـانِيات وشَعْشع فى « رَامَــةَ » أَثلُهُ

فذِكراك تَلثُمها النَّيراتُ ويحلُو : بهــا عُمْرُنَا : كُلُـه

فَيَــا واصِــلاً بالحياة الحياةَ وما زَال : يُسْعِدنا : وصْلــه

ويا ناظِمًــا سَمْط هــذا الوجـود وما الْتَام من قَبْله : شَمْله

ويا باعِث الروح مجْلُــوَّة توهَّـج فى سُؤْلِهــا : سُؤْلُــه

أُحِبُّـك يا يومَ مِيـلادِهِ ويااليتَــنى دائِماً : أَهْلُـــهُ

وكل « اثنين » ميـلادُه المفْتَـدي سَلَـوْت الوجود ولم أسْلُه

وكل « الأثانين » أحْبَبْتها وما صَدَّ من عـاذِلٍ عَذْلُـه

فَسَاعاتُهـا نَفَحـاتُ الهدي كأَنَّ شَذَى نفْحِها مِثْلُـهُ

فَذَاك هـوى جَهِلتْـه الجُفَـاة وكم هـالِكٍ غَالَهُ جَهْله

أُحِبُّ « الأثَانين » مَنْ لِي بِها ومَنْ لِشَجٍ حَائِرٍ مَنْ لَـه

مَلَلنـا حياةَ الهدى والعُلا ومَنْ ملَّ مَجْدَ الهدي ملَّـه

• • •

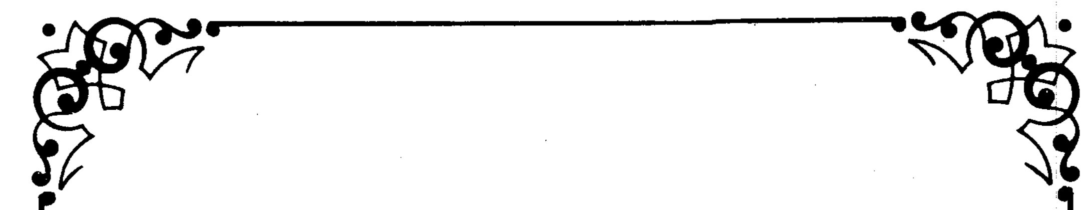
فذَاك الذي قَدْ زَهَا غَرْسُـه من الحب حين سَمَا أَصْلُه

حَمَاه مُطَاوَلةَ النابِحين كما طَاشَ مِن نَابِل نَبْلُـه

فَمِنْ نورِه العَذْبِ لا يُقْرَب كَنُودٌ يعـاف السَّنا عقْلُه

ففي نفسـه غَثَيـانُ الظَّلالِ وفي الوَحْل : قد رَسَخَت رِجْله

• • •



لمحتك

لمحْتُكِ تمْشِين الهُوِيْنا إلى الصَّفا بِنجوى مُغِذٍّ للمَقَامِ وزمْزم

فقال صديق ما لِعيْنيكَ زاغتَا أأبْصَرْتَها ؟ كيف اهتدت لِمُلَثَّم

فقلت نعم لاحتْ وما غاب طيْفُها أعانِقه في كُرْبتى وتَأزُّمى

وألْمسُه لَمْسَ القَرِيبِ لأنَّه قريب على رغْم النَّوى المُتجسِّم

نعم إنها العيْنُ التى فى ظِلالها أرى كلَّ معنى فى وُجُودي وفى دمى

وما نام فى جَفْنِ المحبين ساهِرٌ رقِيبٌ على النَّجْوي من العَيْنِ والفَم

• • •



من وحي الهجرة

اذكُري يا بِطاحُ كيف أقام الله مجدًا مخلَّدًا في بِطَاحِك

صافحَتْه السماءُ فانتثَرَت فيه نجُومًا تألَّقَتْ في وِشاحِك

ثُمَّ ألقتْ على الأديم من الفجْر شُعاعا مقطَّرا في صَباحِك

وادِيًا أسْفع الرُّؤى غير ذِي زرْع . . محِيل ضمَمْتِه بِجناحِك

فتَندَّى كأَنما اعْتصر الفجر سُلافًا من البُدور الضَّواحِك

وتَنَدَّت حصْباؤُه من عقِيقٍ . . خاضِبًا لونُه زكيٌّ جِراحِك

خَضْخض السُّحْب فاستهلَّت تعاطيه نُضَارا مُصفَّعًا في قِداحِك

نهَلته الحياة أحلَى من الشَّهد وروَّت به كريم صَفاحِك

وهْيَ نشْوى به . . بمعناك . . بالماء نقِيًّا سَلْساله مِنْ قَراحِك

وهَفَا بالحَمَام لا عِجُ شوْق عبْقريٍّ هديلُه من صِدَاحِك

شادِيًا بالأمان في الحَرم الآمِنِ من بَعْد شدْوه بنُواحِك

إنها فَرْحَةُ الهدى يَتراءى تتَخطَّى الدُّجى على أفْراحِك

• • •

ساريًا هادِيًا يُسامِرُه . . النجْم ويمْشي في ظِله غيْر وَاني . .

يَتحرَّاه مستمِدًّا هُداه يَتَملَّاه في السَّنا الأقْحُواني

ضارِبًا فى الرِّمال ساخَتْ بِها أقدام شَانٍ مُقامِرٍ أُفْعُـوان . .

بعثَتْه قريش عيْنًا على الهادِي فزلَّتْ بِسعْيِـه القَـدمَان

والرسول العظيم يَمْضِى لِمَرْماه رضِىَّ الفؤادِ ثَبْتَ الجنَان

ما : قَلَا مكة وما فَـرَّ منْها هارِبـا هائِمًـا على الـوِدْيَان

كيف يخشَى الأَهْـوالَ من سدَّد الله خُطَاه فهَابَهُ الثَّقَلان

هل يُراعُ الإِيمانُ والمَبدأُ الحُرُّ سِلاحٌ يصُول بالإِيمان

ضلَّ قَـوم توهَّمُوا الضَّعف فيـه سَبَقَ السيف عَذْلَهُم بِتَوان

أنها هِجْرةُ اللُّجوءِ إلى الله لِدَعم الكَيانِ فوق الكَيان

ولِقَاءٌ على المبـادِىءِ . . . والدعوة هاجَ الحمـاسَ كالبُركان

ترك المصطفى عليًّـا مُسَجًّى فى فِراشِ النُّبُوة الأَضْحيان

ومشَى بالصِّدِّيق لا بُدَّ للشِّدة من صاحبٍ كحَدِّ السِّنان

يمزِجُ الحُبَّ بالفِـداء لِيَبْقى غُرَّةَ المَجْـدِ فى جَبِين الزَّمان

ثَانِىَ اثنين فى مَغَارة « ثور » ثانىَ اثْنَين فى العُلا والجِنَان

خُدْعةٌ فى الحروبِ شرَّعَها الدين وأَغْلى مقَامَها الهِنْدَوانى

خُطَّةٌ للجهاد سبَّاقةٌ . . العـزِمِ المُجَلِّىَ مرصُوصَة الْبُنْيَانِ

• • •

واخْتَفت يثْرِبٌ بِمكة فانْحَــازَت جِهاداً تُجِلُّهُ : العَدْوَتَان

وتَلَاقت أَمواج نهضــته الكبري فَلمَّت أَمواجَها الضفَّتَان

وتـآخى الكماةُ فى طِيبَة الـغراَّءِ فى ظِلٍّ دوحِها الفَيْنَان

أَثْمرَ القوة الرَّهيبــة قد صَالَتْ وجَالَتْ فى سائِر الأَكْوان

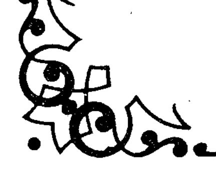
ومَشَت رايةُ الأُخُــوَّة فى الدُّنْيا على ضَوْءِ رايَة القُــرآن

والتقتْ مكةُ وطِيبةُ فاحْتَلَّتْ رُبَى الكونِ كُلَّــهُ قُوَّتَان

وصَفَا الجوُّ حَاليا فالأَمانِى باسِماتٌ فى غِبطة وأَمَــان

والهُدي والجَمالُ والْخَيْرُ والحُبُّ كِتَابٌ عُنْوانُه «البَلْدَتَانِ»

* * *





يا طير

يا طَيرُ هل يشْكو الطَّلِيقُ كما شَكَى القَيْدَ الأَسِيرْ

ويئِن مُنْبسط الجَنَاح ويَمْرح الطير الـكَسِيـرْ

وتُغَـرد الدنيا لِمَفْؤُود ويكْتئِـب القَرِيـر

* * *

يا طيرُ لو فَتَّشْتَ عن أَسْري المخـابئ والقُبُـور

لَوجَدْتَ أَشْذاءَ الرغَـام أَلَـذَّ مِن أَرَج الثُّغُـور

وَوَجدْتَ فى الكَفنِ المعَفَّرِ ما خَلتْ منه القُصُـور

نُعمى على دَعَـةٍ وأَطياب من الرُّحمى تَمُـور

عِـزٌ تُوا كبـه الفَـرا قِـدُ والأَهِلَّـة والبُدور

عِـزٌّ فَرائده العظَائم لا تَجِفُّ ولا تَحُـور

هُنَّ العَرائس فى رِحـاب المجـد فالْتَمَس المُهُور

مِنْ أَسْر منطلِـقٍ بِآفاق يَـدور ولا تَـدُور

وعَواطِفٌ مشبوبة مِن دُونها وَقْدُ السَّعِير
وضَمائر كانت تُجِيرُ فَراعَهَا أن تَسْتَجِير

* * *

يا طيرُ رُبَّةَ سَابِح فى الجَوِّ فى اليوم المَطِير
والصاعِقَاتُ المحْرقَاتُ تَؤُزه الأَزَّ الخَطِير
والمُفْزِعات الواغِلات مع العَشِيَّة والبُكُور
نَزَعتْ به للأَسر أُمْنِية كأُمنية الأَسير
هذا يَحِنُّ إلى القُيُودِ يَزِفُها السجن الصغير
كرَهِين محْبَسه الصغير يَحِن للسجن الكبير

* * *

يا طيرُ هل فى الرَّوْض من حُسْنٍ إذا جفَّ العبِير
أَلَقُ الصَّحَاري المُجْدِباتِ على المَدَى نارٌ ونُور
فإذا جَرَتْ بالشَّر عُقْبانٌ وضاق بِكَ المَسِير
ودَلِفْتَ تَلْتقِط الحُبُوب وتَسْتريح إلى الغَدِير
فَنَزلْت قَاعاً صَفْصَفا لا رنقَ فيه ولا نَمِير
ماذا ؟ أَتَصبِر للهَلاكِ لِكَيْ يُقال هو الصَّبور
أَو تَسْتبِيح من المحَارِم ما تَضِيق به الصُّدور

أَو أَن تُقَامِر بالحَيَاة مغامِرًا بيْن الصُّقُـــــور

لِتُواجِـه الموْتَ المْرِيرَ أَلذَّ مِن عَيْش الحَقِيـــر

فإذا قَضَيْت وَهَبْت للهِ الحَيَـــاةَ ولِلضَّمِيــــر

وإذا وقَعْت أَسِير ظَلَّامٍ فإِن الأَسْرَ مفْتَاحُ المَصِير

* * *

يا طيرُ غنِّ لنا وللأَيَّـــام باللَّحْـــن المُثِيـــر

يا طير أَنْتَ بَقِيَّـــة الإِنسان فى الدنْيا الغَــرُور

يا طير أَنت الفَنُّ أَنت بَشِيرُنا أَنت النَّذِيـــر

يا طير عَزَّ الوحْيُ والإِلهـــام وانْطَلَق الصَّفيـــر

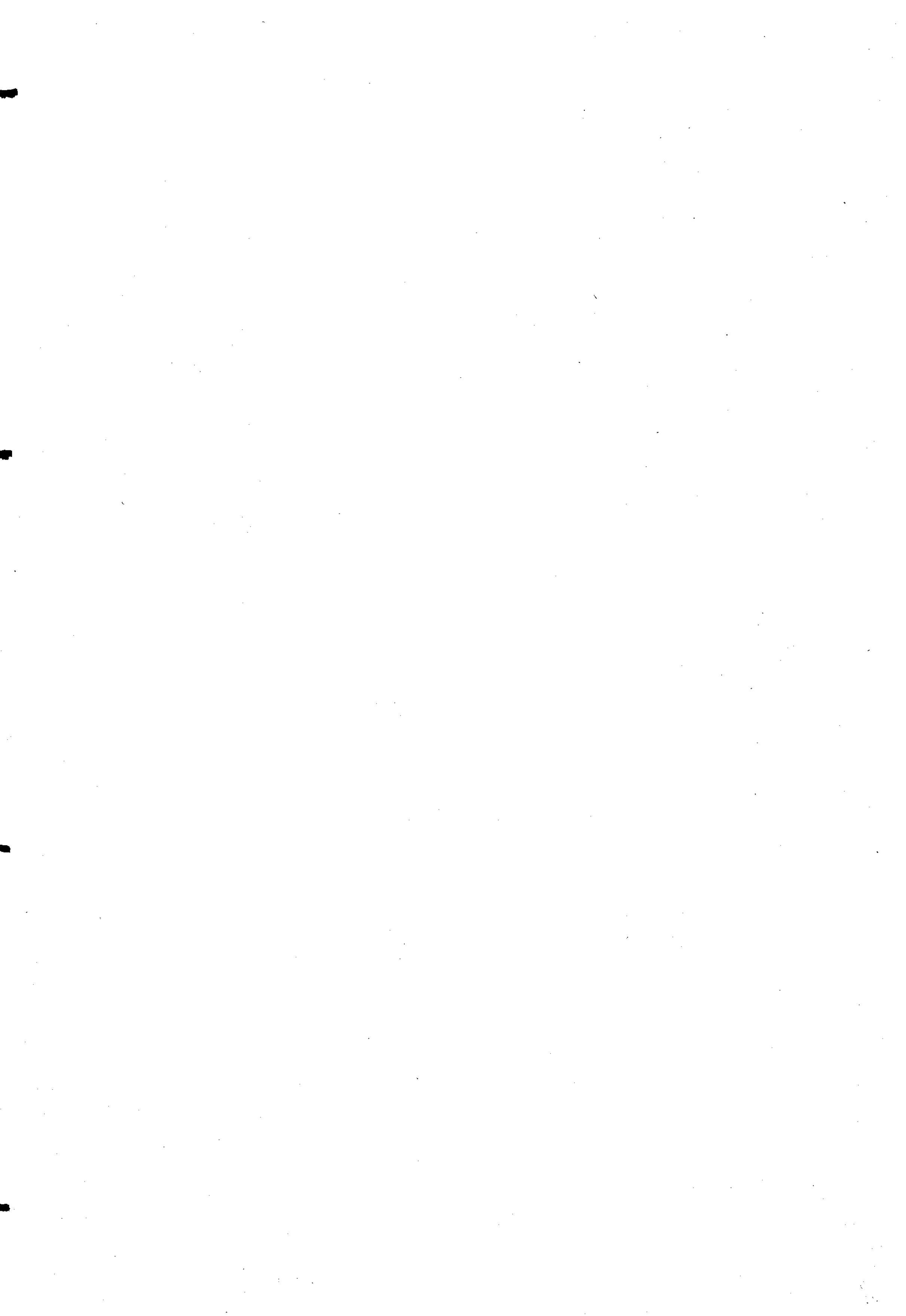
وتَناوَحت عـــبْرُ الجَـــواءِ عَواصِفٌ هُوجٌ تَثُـــور

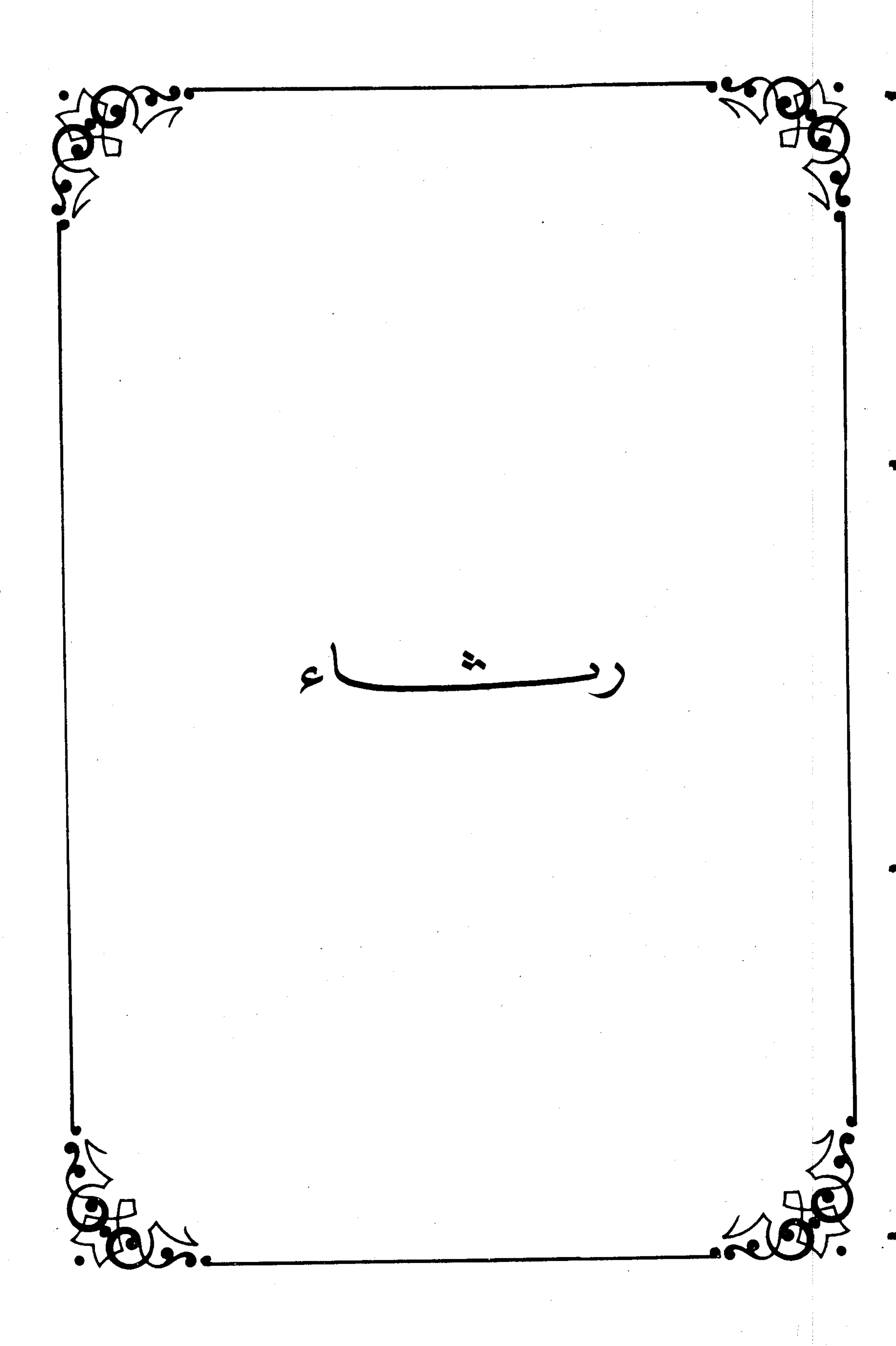
فَتَعثَّر المَسْرى وسَاد الصمْتُ وانطَفَأَ الشعُـــــور

يا طيرُ فاصدح بالشُّجونِ فَأَنْت مُعجزةُ العُصُور

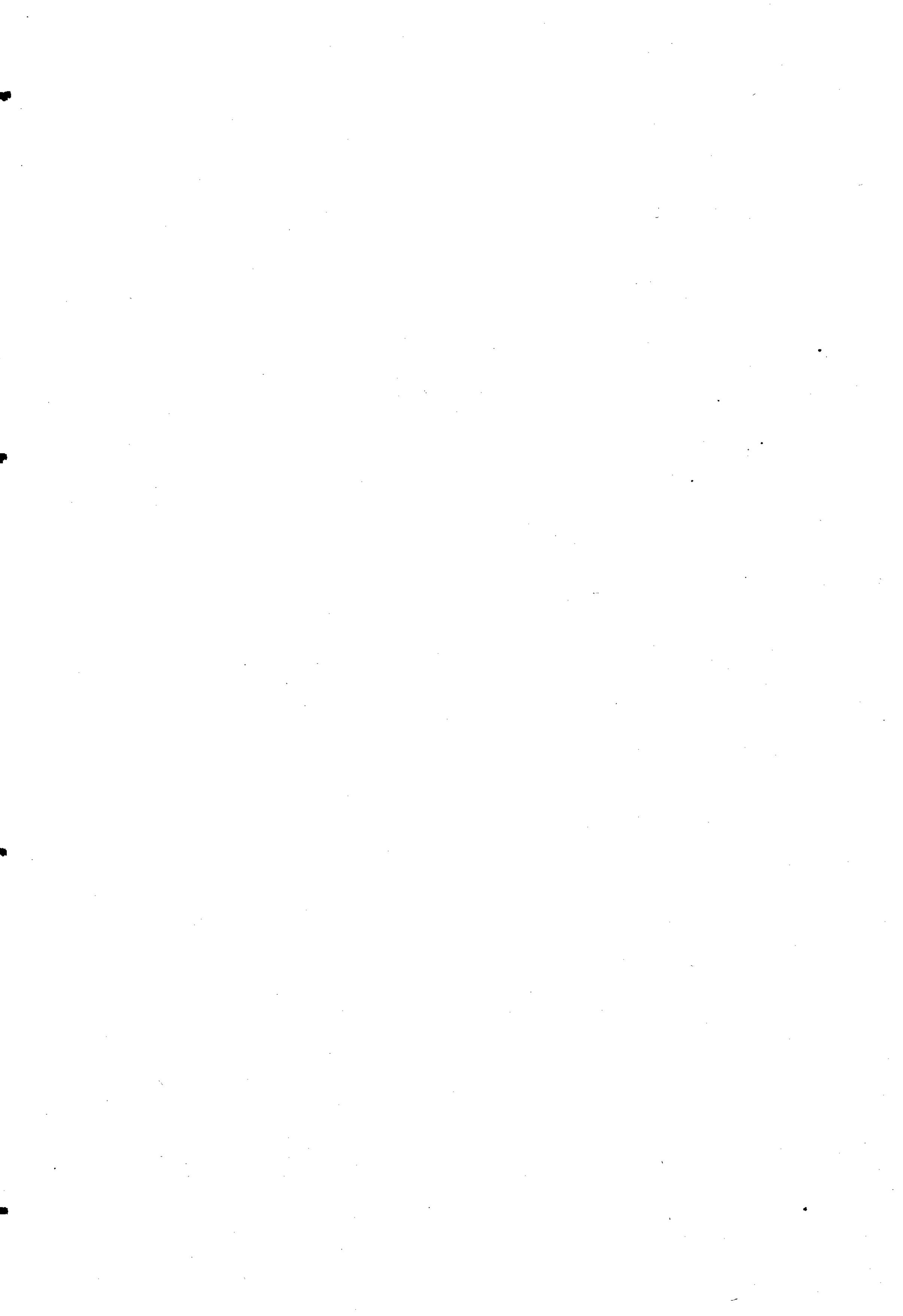
فالحِسُّ يَطْربُ بالأَسَى كالنفس تَهْدَأُ بالزَّفيــــر

* * *





رثاء



في رثاء الملك عبد العزيز

لا ينْطوِي المْجْدُ يا صَمْصَامَةَ العرب ... ولا يَغِيمُ الهُدي في غَمْرةِ الحِقَب

صَنعْتَها أَمَلَ التاريخ ناطِقةً ... عظائِمًا إنْ تَغبْ واللهِ لَمْ تَغِب

سِتٌّ وسبعون قد أَوْدَعْتَها حِقَبًا ... ضَاقَتْ بها سِيَرُ التاريخِ في الكُتُب

تَلفَّتُوا ولِرَزْءِ الهوْلِ جَلْجَلَةٌ ... وللفَجِيعةِ فَتْكُ السُمرِ والقضب

واستَنْطَقُوا مجْدَك الغَالِي فَطَمْأَنهم ... مِنك الصَّدي في ورِيثِ المُلْكِ والحَسَب

• • •





علم الموت

حتّام تخدعنا الأَوْهامُ والصُّور   وفِيمَ تلهُو بِنا الأَحداثُ والغِيَر
كأَننا هدَفٌ لا تَبْتغي بــدَلا   مِنَّا الخُطُوبُ ولا يَفْنى لهَا وطَر
ما ينْجَلى خطرٌ تَنْزاح غُمَّتُــهُ   حتى يُعَتِّم فى آفاقِنَا خَطَــر
ولا تَـأَلَّق صَحْوٌ فِى مرابِعِنــا   حتى تجَهَّمَ : لا نَبْتٌ ولا زَهر
ولا يُلعْلع رعد فى الحِمَى لَسِن   إلا استحال جَهَامًا . . ما بِه مَطَر
تَقلَّب الكونُ أَعلاه وأَسفلُــه   فالمنْحنى سامِق والنَّجْد منْحَدر
ولِلطبيعة أَخْلاقٌ مُعَرْبِــدَةٌ   إن مَسَّها الضُّر لا تُبْقى ولا تَذَر
والشَّرُّ فى وَمَضات الشر متَّكِىءٌ   والعقلُ مخْتبِىءٌ والحارسُ القدر

* * *

يا « عِلْمُ » ما لِلمَدى المحْدودمُتَّسَعٌ   أَقصرْ عَدِمْتُكَ ان الكون يَخْتَصِر
ذابَت حضارتُنا فى جوْفِ زائِفَهْ   أَحبَّها البدو لَمَّا عافَها الحَضَر

وحملق الموتُ تستَشْري مَخالِبه   أعمى يُدَمْدم لا سَمْع ولا بصر

يُطارِد النجْمَ فى عُلْيا منازِلــه   وزِينَةُ الكون هذِي الأَنْجُمُ الزُّهُر

حرمْتَنا من نعيم المجد فى دَعَةٍ   مُذْ جاء هوْلُك كالبُرْكَان يَنْفَجر

وكان فى مجدنا بَذْلٌ وتضْحِية   يَطِيب فى الموْتِ وِرْدُ القَومِ والصَّدر

تصَارعت فيه تِيجان وأَلْوِيةٌ   والحَتْفُ عِنْدك مُرُّ الطعم مُبْتَسِر

* * *

وأنتَ يا شِعْرُ كَمْ هَوَّمْتَ فى قَمر   تَضاحَكَت فيه من أحبابِك الصُّور

وكم أَرِقْتَ على إشعاعِ طَلْعَتِهِ   سُهْد الشَّجِيِّ حَلَا فى عينه السَّهَر

وكَمْ شكَوْتَ النَّوي والليلُ مُؤْتَلِقٌ   والكأْس شَعْشَعها فى لحْنِه الوَتَر

لا تأْسَ يابدْرُ إمَّا حاوَلُوا عَبثًا   أَن يَزْحموك بِمسْخٍ صَفْوُهُ كدر

هل يستوي ساطع فى أصل خِلقَتِهِ   آياتُ إعجازِه تبدُو وتَسْتَتِــر

وزائِفٌ فى يَــد التَّيار مولِدُه   إن لم يُحاذِره يَحْرِق نَفَسَه القمر

قد حَيَّرونا وحارُوا فالمُنَى خدع   حتى السَّرى غامِض حتى النُّهى حَذَر

لكنَّ قارِعةً كُبري بِما صنَعُوا   تَحِل فى دارِهم والمُنْتهى سَقَر

* * *



خواطر ليل

الكَوْنُ خمْرُ الظَّامِئِين وأَنْتَ يا لَيلُ الثُمالَــة

إنْ أَوْغلوا فعَلى الحبَابُ وإن صَحُوا تَبِعوا خيَاله

يا ليْلُ أَنجُمُك المُضِيئة عَسْجدٌ والـكأْسُ هَالَة

العُمرُ إلَّا مَا وهَبتْ من المنى شَبَحُ الضَّـلالـة

والعمرُ إلا مَا مَلأْتَ بِه الحَياة هو الضَّحَـالـة

يا لَيْل قالوا عَنْك مَا قالوا ويا سُوءَ الْمَقَـالـة

قالوا نَهارُ العابِثين على الغِـوايَةِ والجَهَـالـة

يَتَلَمَّسونك للخنـا سِتْرا يُفَيِّئُهم ظِـلالــه

ويُعَاقِرون الرَّاحَ شيطانا يَمُـد بِهـا حِبَـاله

فى وقْدِها عاشوا الحياة سُلَالةً ورِثَتْ سُـلالة

الدِّفْءُ فى إشْعَاعِها وهَج تُضِيءُ به الغَـزَالـة

والبدرُ ما حَفِلوا بِه أَبَدًا ولا لَمَحُوا هِلَالــه

قَنِعوا بـأَشْراقِ النَّدِيم يَمِيسُ فى أَبْهى غُلالَــة

والزهرُ يـأْلِفُ والنَّدى ظَمْآن يَلْثُم مــا بَدَا لــه

والمتْرَفُون الوالِهُون الواطِئون على العَـدَالـــة

أَهــلُ الشّرافة فى النَّهارِ وفى المَساءِ هُم الحُثَالَة

والخَادِعون اللهَ والإِنسان بالتَّقْــوى المُـذالَـــة

يَا ليْلُ قد جَهِلوك والأَقْدارُ تَنْقُص بِالجَهَــالــة

جَحَدوا الهِدايةَ والهدى والكون قد مَسَخُوا جَمَاله

وتَنكَّروا للآية الـكُبري مُجَلجِلَةً خِــلا لــه

فى الأَنـجُم الزهْراءِ فى الأَفْلاك دائرة حِيَــالــه

فى الضجَّة الرَّعْناء تَسْكن فى هُجُوعِك لا مَحَالة

فى الهَاجِعات مِن العَزَائم تَشْمئِزُّ من البطَالــة

فى المَشْرفى العَضْب بعْد عِرا كِه أَخْفى نِصاله

فى السَّمْهَرِي اللَّدن أَفْسَح للكَري سحرًا مَجَاله

فى الفارِس الغَافِي على دَعَة يَحُثُّ بِها نِضَالــه

فى القانت الأَوَّابِ طُولَ اللَّيلِ لا يَدَع ابْتَهَاله

فى دعوة المظْلُومِ كالصَّارُوخ تَشْتَعل اشْتِعَالـه

فى الحب فى الدَّوْح المُغَرِّد بالعَرَاقَةِ والأَصَالة

فى الوجْدِ يعْتقلُ الأَسيرَ ولا يَفُك له عِقَالَـه

حتى إذا أَلِفَ المُحِبُّ عَذَابَه وجَفَا وِصَالـه

حَرَسَتْه أَطْيافُ اللَّهِيب من السَّآمَةِ والمَـلَالـة

يا لَيْتَهم عَبُّـوا عَبِيبَ الحُبِّ أَوْ نَهَلوا نِهَالـه

ومَشَوا على أَشلائه وعلى اللَّظَى وطِئُوا رِمَـالـه

فَتَلَمْلم الوادي كأَنَّ رِعانَه حَضَنَت رِعَـالـه

والليلُ فوْق الليل أَرْخَى سدْفَه وثَنَى كـلَالـه

يَتنوَّرون الهَمْسَ قد زَحَم القَلِيب وطَمَّ جَـالـه

والهَمْهماتُ على الغَدير مَزَاهِرٌ صَدَحَتْ قُبَالـه

جَمَع الهوى والليلُ أَسْرابَ الفَلا وحَمَى صِلالَـه

ولَقَد رَعَاهم مِثْلَما يَرْعى أَبٌ سَمْحٌ عِيَـالَـه

خَفَض الجَنَاح مُبَعْثرا فِيهم كَرائِمه وَمَـالـه

وتَلِذُّه الشَّكْوى لِمَنْ يَشْكو على الحِرْمانِ حَـالـه

صَب يَذوب مِنَ الحنينِ وشَادِنٌ يَبكِي دَلَالـه

يا رُبَّ ليلٍ قد شَهِدنا فى نَقائِصِنَا كَمَالـه

إن ضَمَّ جِنحُك عَائلا فالخَلْقُ للخَـلَّاق عَالـة

يومٌ ويومٌ قد أَلِفْناه وأَحْبَبنَا سِـجَالـه

قامَت عليه ذُرَى الحياة تُطِلُّ من عَهْد الرِّسَـالـة

هذا الدُّجَى كَمْ قد سَقَانا من مَنَابِعه زُلَالَـه

ومِن الحَرَام المُكْفَهِرِّ لقد أَسَاغَ لَنـا حَلالـه

والعَبْقَرِيَّةُ هَلْ لَهَا غَيْر الدُّجى يُرْضِى حِجَالـه

والفِكْرة الصَّمَّاء كَمْ فَتَحت مَغَالِقَها حِيَالـه

إنِّى لأَخْشى أن يُدِيلَك عِلْمُهم فِيمـا أَدَالـه

ويُجَرِّدونك مـن ظـلام كَمْ تَحلَّيْنا جَمَالـه

ونَعِيشُ ضَوًّا خَانِقا « زِرٌّ » يُكَيِّفُه و « آلـة »

ونَعِيشُ عَصْرا لا غِطَاءَ له ولَوْ خُضْنا رِحَالـه

عَصراً تُصَرِّفه النِّساءُ ورُبَّمَا حَكَمتْ رِجَالـه

يا ليْل كَمْ ناجَاك مبْعُوثُ الهِدَايةِ والرِّسـالـة

يا ليلُ فاذْكُرْ أَحْمدا واذْكُر صَحَابَته وآلـــه

فَلَعلَّ ذِكرى مَنْ نُحِبُّ تَرُدُّ للقلب ابْتِهَـالـه

وتُعِيدُ للمجد المُمَزَّق فى رُبَى الدنيا جَـلالـه

كَمْ عاثِرٍ رَفَع الضَّراعَةَ مـا غَفَى حـتى أَقَالـه

يا لَيْلُ وارْع زَمالَة الأَفْلاك فِي أَوْجِ الزَّمَـالـة

فَلَعلَّ بدْرهُم الجديد يَحُطُّ عن كَتْبٍ رِحَـالـه

ماذَا يكونُ مآلُنا والشِّعرُ هل تَدْرِي مآلـــه

* * *

أحزان الشاعر في حوار

قلتُ للشاعر الذي عَصَف الحُزنُ ... بِأَعْماقِ حِسِّـه وكَيَانِـه

وتَلَوِّي مِن الأَسَى فَتـولَّى ... صَمْتـه الحُـرَّ كَفْكَفاتُ عِنَانِه

ساهِمًا كالغُروب ذابَتْ حَواشيه ... وغَام السَّحابُ فى أَجْفـانه

وتَدَانتْ له الطُّيوفُ البَعِيدات ... غِضَابا تَنُوحُ نَـوْح بيَانِهِ

والدُّجَى يَنْسِـجُ الدجى بيْن ... أَطْواءِ أَسَاهُ : وغَمْغَماتِ جَنانِه

هل أَطَاق البَيـانُ تَصْـويرَ ... بَلْوَاك : كَما عَاشَها بِحِسٍّ عِيَانهْ

هل وعَاها مَشَـاهِداً ماثِـلاتٍ ... تَتَحدَّى الخَيالَ فى عُنْفُوَانه

صاحِياتٍ كأَنها ثَبَجُ البَحْر ... تَمُـورُ الحياةُ فى شُطْآنه

هل تَلَمَّسْتَ فى مُصَـابِك مَنْ ... تقْدر وصْف البَلاَءِ فِى إِبَّانه

حينما عزَّكَ البيـانُ وجَافَاك ... وأَنْت الكَمِيُّ فى مَيْـدانه

ورَقَا الدَّمْـع أي وحقَّـقَ ... حتى الدَّمْع أَعْياك نَافِرا بجُمَانه

وتبدَّي الإِحْسَاس بالغُرْبَة اللكْنَاء ... مُسْتنجِدًا بِغَـير لِسَـانه

واسْتَـدَار الرَّهنُ فى مَحْبَسَيه ... يَتَلهَّى عَنِّى بِعَـضٍّ بَنَـانه

يَترجَّى صَمْتى ويُمْعن فى الغَضِّ ... عن الكـونِ أَهـلِه وزَمَانه

• • •

وتَعَمَّقْت مثـلَه غيرَ أَنِّى غارِقٌ : فيه فى حقيقـة شَانه

فإذا بالصَّدى يُتَرْجم مَصْعُـوقا كَثافَات صحْبِـــه ودُخَانِه

قائلا إنَّنى الأَسيف على العُـدم الذي لم يفز بِيـوم رِهَانِه

إذْ تبيَّنْتُ أَنَّنى لَسْت شَيَّئا غيرَ صوْت الزَّمان أَو تُرْجُمَانِه

كان ظَنِّي بالنفس غيْر الَّذي كان فقد عُدْتُ فى الوَغى كَجَبـانِه

يَصف الحرب دَاعِيا ومُثِـيرا ثم يَفْنى بحِسِّه فى طِعَـانِه

كان أَسْمى البيانِ أَنْ أُطْرِبَ الناسَ بِكَرْب البَيَـان فى مَعْمَانِه

فى جِراح لِعِقْتُها زَاهِيـــات مِثْل زَهْو النَّخِيل فى بُسْتَـانه

إنَّ ظُلمَ الحياةِ للشاعِر الشـاعِرِ نصرٌ يَفُـوحُ من أَرْدَانِه

وبَلَاوِيه راحــــةٌ ومآسِيـه عَطـاءٌ يُضِىءُ فى حِرْمانـه

لا يَقُلْ راحِـمٌ أَمُوت لِيَحْيا فى رُؤَى مأْتَمِى وفى أَشْجَانِه

فَمَعَانى الأَسَى أَحقُّ بها الشـاعرُ فى ذاتــه وفى إيمَـانِـه

وَمَقايِيسُـــه على النَّفْس لاتَبْقى حُدُودًا : لأَنَّها دُون شَانه

وأَغَارِيدُ بُؤسِه العَلْقمِ المُــرِّ حَصَـادُ الآمَالِ فى أَلْحَانه

وإذَا ذَلَّ بالكَرِيـم لئـيمٌ فَهْوَ عِزُّ الكريم رغْم هَوَانه

* * *

إلى روح ولدى حمــزة

يا رضيًّا راضتْ شمائلَه البيضَ معـانٍ من البنــوةِ أسمى

يا حفيًّـا بوالديهِ تســامَى بهواهُ الحبيبِ روحا وجسما

يَا لَبِـرٍّ مُقَطَّـــرٍ أتمـلاه بسرِّ الحياةِ صَحْواً ونَوْمًا

ملءَ عيني وملءَ روحي فقد زاد جلاءً وإنْ تحجبَ وهما

يا لذاك اللقاء فى قربك الحلوِ توالى بحرصِك العذبِ جما

رغم ما تفصلُ المشاغلُ ما جال بقلبي هذا الذي بك حُماَّ

لو تحسستُه لكنْتُ بِكَ الأحفى لقاءً وكنتُ لَصْقَكَ دوما

ولكان اللقاءُ كلَّ أويقـاتى لِقَـاءً أحَرَّ لثما وضمـا

* * *



رب مَيْتٍ مثلي بأجنحة السرِّ قريبٌ إلى حيــاتِك يُنْـمَى

بالرؤَي أَشْرَقْتَ ضياءً من الغيب وبالحبِّ لَمْ أَكُنْ فِيكَ أعمى

أتُرِيَ ذاكرٌ حديثي بالأَمس الذي خلتُه من الغيب رجما

إنَّ نظمَ الحياةِ يُنْثَرُ أحيــانا وبالموتِ يُصْبِحُ النثرُ نظما

ذاكَ تخليقُها البعيدُ وما أَسرف في ركضِه ففارقَ لحما

والهويَ الحرُّ كلّــهُ رعشــاتٌ فى المغاني أَباً وفي الروضِ أُما

إنّها إنها عصاميةُ الخلد تعالتْ أن تسكنَ الخلدَ عَظْما

لَكَ يا حمزةُ النصيبُ المعلى بينَ نُعْمىٰ من الإله ورُحْمى

إن بكى حمزةَ أبا الشهداءِ الْغُرِّ طٰهَ خلاًّ وفيــا وعما

أو اسَالَ الدموعَ في فَقْدِ إبراهيمَ جَرِيًّ فقد تضاحكتْ رغما

رحمةً بالقلوبِ بالأهلِ بالصبيةِ داريتُ بالغــمِّ غمــا

علّها علّها رِضًا لك أَجــدى مِنْ عويلٍ سَحٍّ بقلبٍ أَصَمَّا

لم تغبْ لم تغبْ فما أنتَ إلا نسماتٌ رَقَّتْ صفاءً أَتما

أنا فى عنصرِ الحقيقة أَحْيَــا معك اليومَ والنوَى عادَ حُلْما

لا تسلْني عن « الحنينِ » ففى « الأهدابِ » أَضْحى كما تراه وأَسمى

فهما الحبُّ نشوةً وهما الصفو حياة والروحُ قلبًا وَفَمــاَّ

بيننــا أَنتَ ماثلٌ زهـــراتٌ أَنتَ ساقيْتَهن حُبَّكَ جما

فلنــا اللهُ ثمَّ أَنتَ احتسابًا نترجَّى عقبـــاهُ يوما فيوما

ولنا اللهُ فى اصطبارٍ لقدْ عزَّ ولكنَّهُ تشعشعَ نُعْـــمى

ثمراً أَينـعَ اليقينُ جنـــاهُ فاستطالَ الإِيمانُ طوْداً أَشَمَّا

رحمةُ اللهِ لم تزلْ تسـعُ الكونَ إلى أَنْ يَلُمَّهُ اللهُ لمّا

فالسعيــدونَ مَنْ إليهِ أَنابُوا ورَضوا أَمرَهُ قضاءً وحُكْما

رُبَّ صَبْرٍ للراحلين دُعاءٌ نالهمْ سِرُّهُ ثواباً وغنمــا

• • •



أفولُ الأقمار عام ٧٣

إلى ابنى حمزة : - المتوفى فى ريعان الشباب عام ١٣٩٠هـ

رحمه الله رحمة الأبرار

بُنَيَّ وما أحلاه جَرْسًا مُنَغَّمـا   يُرَتِّله قَلْبي ويَشْدو به فَمِـي
ذَكَرتُك والدنيا تَمُوج بِنَاسِها   حَيَارى سُكَارَى بَيْن صَحْوٍ ونُوَّم
ذَكَرتك فى جُنْح الظَّلام وفى السُّرى   وفى خَلَجات الحِس تَنْبِض فى دَمِي
ذكَرْتك أَسْتَجْلِي المنى فى ازْدِهَارِها   أُرجِّى لها نَفْسى ورُوحى وتَوْأَمى
فأَيَّة نعمى أنتَ صِيغَت حُشَاشة   وفَرْحة قَلْب لا تُقَاس بأَنْعُم
ذَكَرت بِك الرحمن مُسْبِغَ ظِلِّنَا   بِمَنْ أَتَرَجَّى ظِلَّه ظِل ضَيْغَـم
بِمَن أَتَهدَّاه لِمجْد مُرحَّب   يَطِيبُ بِذِكْراه الشَّذِيّ المُفَغَّـم
وأَسْجُدها لله سَجْدَةَ شاكر   رَأَى الشُّكر للنُعْمى حِمَى المُتَحَرِّم
فأَسِّس بُنَيَّ اليَوْم فى نَضْرَة الصِّبَا   عُلاكَ على النَّهْج السَّدِيدِ المُقَوَّم
وركِّزْه فى هَام السِّماكِ مُحَلِّقًا   فما تَسْتَوِي فيه بُغَاثٌ بِقَشْعم
وصُلْ صَوْلَةَ المشْبوبِ عَزْمًا مُضْرَمًا   فما المجد إلا لِلَّهِيب المُضْرم
ألَا إنها يا حَمْزُ نَفْحة والـدٍ   ونَجْوي هَزِيع مُطْبِق الصَّمْتَ مُلْهِم

تَلَمْلم فِيكَ الحِسُّ والعقل والمنى | فَنَاشَدْت ربِّى فى الرجَاءِ المُلَمْلم
أَلَا إِنَّها نجوى الهوي فى رجَائِه | ومَالِيَ إلا عَبْرتى وتَنَدُّمى
أَلَا إِنها رَجْوى المُسِيءِ ومَـالَه | سِوى أَملِ المكْروب فى باب مُكْرِمِ
فَيارَبِّ هَبْه للمَعَالى تُرِيدُها | وللخَيْر تَحْمى مَنْ به اليَوم يَحْتَمى
وجمِّلْه بالفضل الجَمِيل حَبَوْتَهُ | جَمالَك فى سِرِّ الجَلال المُجَسَّم
وهَبْه من الرُّحْمَى التى أَنْت رَبُّهَا | فما أَنْت للقَاسِى الجفي بِرَاحم
وصُنْه وزَهْراتٍ حَوالَيه أَرْبَعًا | وما زِلْنَ فى الأَكْمام أَشذَاءَ بُرْعم
يُظَلِّلُهنَّ السِّتْرُ منك على المَدَيَ | فَلا ذل جان لا ولا بؤس مُعْدِمِ
«مَرامى» مَرامى «والتَّهانى» تهانِئُ | وَلَمْيَاً بمنغوم النِّـداءِ المـرَنِّـم
وأَزْهارُ نخب الفجر نفْح هَزِيعِهِ | أَهلَّتْ كاهْلال الرَّبيع المُوسَّمِ
فَيَا فَرْحَةَ القلبَين أُمَّاً ووالـدًا | هَنيئاً بأَحْنى الأُمَّهات وأَرْحم
سَليلة أَمْجادٍ نَمتْها فأَعْرقَتْ | كَريمَةُ إِنْجَابٍ وفِلذَة أَكْـرم
عُمومَةُ أَحْسَاب خُؤُولَةُ مَحْتِـد | فأَنْتُم بُدور قد أُحِيطت بأَنْجُم
سَلِمْتم وأَنْجبتُم من الأَصْل فَرْعَه | كما انْتَسَبَ القَرْمُ الأَصيل لِمُقْرِمَ
أَبُوكُم وما أَدراكُم مَن أَبُوكُمُو | أَبٌ عَجَمتْه كُلُّ نَكْباءَ دَمْدَم
فَلمْ يَر فى الدُّنْيا سِوي طِيب طَيِّبٍ | تَذَوَّق طَعْم الغرم لَذَّة مَغْنَـم

* * *

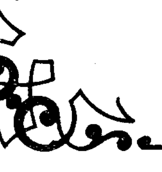
رباعيات

ومحوتُ كلَّ الذكرياتِ البيضِ بعندَكَ مِنْ حياتى
ووصلتُها بكَ أَنتَ وَحْدَكَ كى أَعيشَ بغيرِ (آتــى)
حسْبي من الدنيا زمانٌ كنتَ فيه ضياءً فى الحالكـات
والحبُّ أرواحٌ تشعُّ بهـا الحقيقةُ فوقَ اشعـاعِ الحيـاة

* * *

رباعيــة

إقرأْ خواطرَ نَفْسٍ أنتَ مهجتُها
واسمعْ حديثَك العذبَ فيها كيفَ يستعرُ
وَأَشْهِدْ أَباكَ الذي ما عاشَ يُبْصِرُهَا
حقائقاً أَنتَ فيها السمعُ والبصر
أَنتَ الرؤَى لم تغبْ عني مشاهدُها
أَنتَ الهوىَ عَزَّ فيــه الوِردُ والصَّدرُ
واللهِ لم تَنْأَ رُوحاً صافياً عَبِقاً
وإن نــأَتْ بِكَ عني الذاتُ والصُّورُ



* * *

رباعية

وأحسستُ فى حُبِّيْكَ بالوجدِ كُلِّهِ ضِراماً تعالى عن كِياني وعن جُهْدي

صحا صحوةَ البينِ المُشِتُّ فجاءة وشتانَ بين الصحوِ فى القربِ والبعد

ألاَ إنَّهُ الوجدُ الذبيحُ تصارحت لديه أَغاريد التواجدِ والوَجد

فكلُّ هَوًى أَحسستُ قبلَكَ منطقٌ مشاعٌ وحبي فيكَ منطلقي وحدي

أَعيشُ عليه العمرَ سرًّ حقيقةٍ وحبىَ نجْوَى العمرِ فى الأَملِ الفردِ

* * *

رباعية

أَرى بعينيْكَ ، يا غالي وإنهما عيناىَ عبرَ (حنيني) عبرَ(أهدابى)

هما الوشيجةُ لَمَّا أَنْ رمَى قدرٌ بسهمهِ فتحدَّى كلَّ أَسبابى

هما عزائي فى أَعقابِ داهيةٍ لم تُبقِ غيرَ انكساري بين أَحبابى

وُضْتُ الأَسَى كُلَّه فى نظرةٍ لهما فلا تُرعْ ، فجميلُ الصبرِ أَولى بى

* * *

رباعية

وقال طيفُكَ دَعْ ذكرايَ وابتهل فإنَّ فُرْقَتَنَا حقًّا إلى أَجل

حسبي وحسبُك حُبٌّ أَنت مصدرُهُ واللهُ صانعهُ فى سابقِ الأَزل

وللمقاديرِ رُحْمى رغمَ قسوتِها فاصبرْ لها فهي فوق الحولِ والحيل.

أَني وَحقِّكَ لم أَبرحْكَ ثانيةً لكنْ أَحاذرُ دمعَ المشفقِ الثَّكِلِ

* * *

رباعية

رجوتك فيها أُمنيات نسجتُها / بكَفِّي على وهنٍ يَقُضُّ المضاجعا
طويتُ عليها النفسَ بعدَ افتقادها / هوًى كان ملءَ العين ريانَ ناصعا
طويتُ عليها النفس أزحمُ وَقْدَهَا / بدمعٍ عَصِيٍّ قد تحدَّى الفواجعا
هو الطيفُ إلا أنَّ فى العين ظِلَّهُ / يناشدنى السلوانَ لهفانَ ضارعا

* * *

رباعية

لا تراعى فللثرَى لمســاتٌ / حانياتٌ يَدُ السماءِ عليهــا
فالثرى أَمنُّــا الرؤُومُ التى تعــ / ــرفُ مَنْ فَرَّ من يدْينا إليهــا
كان ملءَ العيونِ ثم تــوارَى / وطوتْه فيمنْ طوتْهم لديها
إنمــا نحنُ فوقَها ظِلٌّ رُحَّــلٍ / والمصيرُ المحتومُ ملكُ يديها

* * *

رباعية

ما حيلةُ المرءِ إنْ مَدَّ الزمانُ يداً / إلى الأَحبة هل عتبٌ علَى الزمن
قد كنتَ توأَمَ نفسى كم فرحتُ لها / وكمْ حزنتُ على مَامَسَّ منْ حَزَنِ
أُمنيةٌ طابَ فى نفسي تنقلُها / ومهجةٌ لي في حِلِي وفي ظعنى
إن سرت يشملني من ضوئها قَبَسٌ / أَو استقمتُ حلا : فى فيئِها سكني

* * *

رباعية

«يا عالم الأَسرارِ حسبي محنــة   علمي بأَنكَ عالمُ الأَسْرارِ»[1]

يا عالم الأَسرارِ كلٌّ وسيلتي   ذلُّ الكسيرِ ومحنةُ المحتار

فَصِلِ الحيارَى الموجعينَ برحمةٍ   يا راحمَ الأَخيارِ والأَشرار

وَارْوِ الظماءَ برىًّ عفوكِ ما لنا   إلاهُ . . إنَّا جيرةُ المختــارِ

* * *

رباعية

أَبا حمزةَ أَحلى نداءٍ يشدنى   إليك وإن لم تَنْأَ عنى ثوانيا

فأَنت بحِسِّى غير ما أَنت .. إنَّهُ   بنفسي حياة تستجيب ندائيا

وَيِهْتِفُ بى هتف الحياة بنبضها   وإن كنتَ فى دنيا التماثيل خافيا

واسمى الرؤى ياقرةَ العينِ رؤيةٌ   أَراكَ بها حِسًّا وأَنتَ تَرَانِيَا

* * *

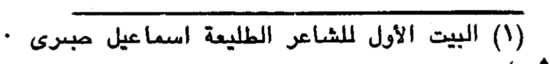
جاوزتُ فيكَ هوَى نفسي فَأَثْقَلَهَا   عِبْءُ النَّوىَ غيرَ مرجوٍ ولا داني

وعنفوانُ الأَسَى لا الصبر يُخْمدُه   إلا التجمل فى صمتٍ و كتمانِ

فاجعلِ الصبرَ صبر الوجدِ مشتعلاً   مقرَّحَ الْجَفْنِ لم يخضعْ لسلوانِ

تعيشه النفسُ ذكرىحالمٍ سبحَتْ   أَنفاسُه عبرَ ذاك العالِم الثانى .

* * *


(١) البيت الأول للشاعر الطليعة اسماعيل صبرى .

حومي

حومي يا روحَهُ الغالي هُنـا وَانْظُرِينَـا وانظري أحوالَنَا

سَكَناً قبلا أَردناهُ لنـا ليتنا كنَّا جميعاً : كلّنـا

لا تدعْنا لا تدعْنـا وَحـدَنا إنَّ أَيَّاماً و « حُنوًّا » (١) بَيْننَا

فلأَجلِ البعضِ فارحمْ كلّنا آنِسِ الوحدة فرّجْ كربنَا

فطيورُ الخلدِ فى تحويمِها لم تدعْ عُشًّا لها : أَو سكنـا

يا حبيبي يامُنى نفسي ويـا فَرحةً مَقْطوفةً قطفَ الجَنا

أَنتَ إبنى وأبى هل شافعٌ بهما عندَكَ يأْسُـو جرحَنا

أَنـا يا حمزةُ لفظٌ مَا لَـهُ مثلَ ما تلمحُ معنى : بينـا

* *

يا حمزة

يا قَـارئاً لأَبيـــه مـا كـانَ يملى ويكتبْ

بـكـلِّ شـوقِ الْبُنُوَّةِ فـى فـرحـةٍ وتَـرقُـبْ

ولَفْتَــةِ التنـويــه لـم أَنسَهـا فـى تـأَدبْ

* * *

فـى الحِـل والترحـالِ تعليقـك الحلو : غالي (٢)

يـا حمـزتـى يا مجـالِي يـا فرحتِي : يـا وِصَـالي

* * *

---

(١) الاسم الذى كان يدلل به ابنته حنين .

(٢) حتى فى سفرى كان يكتب لى تعليقاته عـلى ما يقرؤه رحمه الله .

يـــا حمزة

أَين تلك اللَّحظاتُ أَين تلك الْخُطُـوَاتُ

أَين تلك البسمــاتُ والعيــونُ الضاحكاتُ

يــا حبيبَ القلبِ يــاحمــزة والْخُلْدُ : حيــاة

أَنتَ فــى العينِ وفــى القلــبِ دعـــاءٌ وصــلاةُ

فالشبــابُ الغضُّ فــى الخلــدِ عليــه : الرحماتُ

* * *

يـــا حمزة

يا راقداً فى ثرى أم القُرى أَملاً   وسدتُه بيدي فى لحدِهِ الأَزلي

وما الثَّرى في رحابِ الله غَيْرَرضا   ورَوْضَةٍ أُنُفٍ فى أكرم النزل

فيا أَبا فاطمةَ الزَّهْراءِ هبْ ولدي   شفاعةً هي كلُّ الذخرِ والأَمل

مِنْ جيرةٍ لك فىدارِ الهدىشرفوا   بمجدِها وفخَارٍ غير مُفْتَعَلِ

يا سيدي واحتسابُ الأَجرِ منزلة   أَتاحها حمزةُ يا ليت تشفعُ لي

دعوتُ رَبيَ سِراً بالصلاةِ على   خيرِ الأَنام برجوى الفاقدِالثكل

ولن أَبوحَ فما سري بمنكتم   عن الرحاب ولا قلبي : بمنفصل

لا : لن تكونَ أَقاصيصاً ولا حُلماً ولا أَساطيرَ أوهامٍ : لمن وهمــا

فأَنتَ أَنتَ حياة كلما ابتعدتْ   تشامختْ نسباً واستحكمتْ رحما

بنوةُ أَنا مجلاها ومشهدُها   أُبوة أَنتَ ترعَى قربَها أَممَا

ستنطقُ الحالُ فيما بينَنا وأرَى　　بقُدْرَةِ اللهِ مَنْ أودعته الرُّجُما

سِرًّا : وسُّركَ يا مولاَي يَبْلُغُهُ　　مَنْ بالقُوبِ منك صانَ السِّرَّ فانكتما

* * *

أول رمضان بعدك يا حمزة

وأهلَّ شهرٌ كنتَ أولَ فرحةٍ　　فيه تُطَالِعُني فغبتَ على المدى

يافرحةَ الرمضانِ ياابنَ حُشاشتي　　ياحمزتى أنت الرضا أنتَ الفدى

أيَّ الْهناءةِ بعد وجهك أجتلي　　ولمن أبوحُ بسرٍّ قلبي المقفــل

قد كنتَ تفرحُ بالحديثِ صداقةً　　وأبــوةً يا فَرْحَةً لم تكملِ

قد كان يمتعك الحديثُ معي كما　　يرضيك إدنائي وحسنِ تقبلى

* * *

يا حمزة

أقرأُ　خواطرَ　نَفْسٍ　أنتَ　مهجتُها

وأسمعْ حديثَكَ العذبَ فيها كيف يسْتعر

واشهدْ أباكَ الذي مازالَ يشهدُها　　مَشاهداً أنتَ فيها السمعُ والبصرُ

أنْتَ الرُّؤَى لم تغبْ عني مطالعُها　　أنتَ المنىٰ عز فيه الوِرْدُ والصَّدَرُ

لم تنأَ ياحمزَ روحاً صافياً عَبِقًا　　وإن نأتْ بي عنك الذاتُ والصورُ

* * *

أول عام بعدك يا حمزة

يا أبا الحُلوتين يا حمزتي الغالي ويا تاركي لِحُرْقَةِ بُعْدِك

قد أهلَّ العامُ الجديدُ علينا يا حبيبي وأنتَ تسكن لحدك

كيف أحيَا لولا حنينٌ وأهدابٌ وأَخَوَاتُكَ الوَحائِدُ بعدك

أنت فى رحمةٍ أعيشُ برجواها ما أكرمَ الخلدَ خُلدك

* * *

يا حمز

يا حمزَ هذا العيدُ أولٌ مرةٍ أحياهُ بُؤْسا

إنى أعيشُ الكونَ بعدَك كلَّه يا حمزَ رمسا

قد كنتَ لي قمراً يضئُ وكنتَ لي يا حمز شَمْسَا

ولأَنتَ أَهْنَأُ فى رحابِ الله إيمانًا وقُدسا

يا فلذتي طِبْ فى جنانِ الخلدِ عند الله نفسا

اليومَ صرتُ وأجملُ اللحظاتِ أحياهُنَّ أنسا

لحظات أدعو اللهَ بالرُحمى علانيةً وهمسا

واللهُ أرحمُ بالكسيرِ القلبِ أنفاسًا ونَفْسًا

* * *

غياب

أحاَط بِيَ الشبابُ فلم أَجدْهُ		حبيبَ القلب ما بينَ الشبابِ
تخيَّرَ فى الترابِ هوًى دفينًا		وخلَّفني أَعيشُ علَى التراب
سبقتَ وكان أَكثرَ من يقينى		بأَنك حَافِظٌ عهدي غيابى
ولكنَّ المشيئةَ فوقَ حبي		وَمُنْيَةِ خاطري وأَسى اغترابى
وَرُحْمَى الله أَغلى من وحيدٍ		فقدناه على غيرِ ارتقــاب

إلي روحه الغالي فى يوم عرفة

وتأْخذ الكفَّ مني ثم تلثمُها		وأَلثمُ الرأْسَ فى حُنُوٍّ وإرفاق
ضرعتُ للهِ والدنيا تعـجُّ به		يوماً أَغرَّ رعتْه فيك : أَحداقى
سأَلتُه مَنْ قضى فينا بحكمته		بما قضى : سُؤْلَ مخلوقٍ : لخلاق
أَن يمنحنَّكَ من قرباه منزلةً		أَدنى من القرب فى رُحْمىَ وَإشْراقِ
وأَن يواصلَ روحْينا برحمــةٍ		تلقاكَ عينى كما تلقاكَ أَعماقى
يا صاحبَ الأَمرِ إما شاءَ قال لهِ		كنْ فاستوى هيِّنا فى غير ارهاق

* * *

إلى روحه الغالي فى يوم عرفة

يا حمزةَ البرِّ ما أَبقى الزمانُ هوىً		أَعز منك ولكنْ بِرُّكَ البــاقى
حباً كحبِّك لا تبلى مطارفُه		جديدةً نُسجتْ مِنْ دمعِ آماقى
فى كل ثانيةٍ ذكرى مؤرقةٌ		يرفُّ فى ومضِها يا حمزَ : خفاقى

وأستريحُ على البَلْوَى وأنشدها　　فَلِصَّدى فِيهَا رُقْيَةُ الرَّاقي

يا أنتَ يا سرٌّ نفسي بل وجوهرُها　　ويا رِضائي ويا ذاتي وأخلاقي

اليوم حيث أفاضَ الناسُ وازدلفوا　　أحِسُّ خطوكَ حولي خطوَ مشتاقِ

مُسلِّما مثلَ تسليمِ الغمامِ على　　مُصَوَّحٍ يتلقـاهُ بـأشفـاق

* * *

« الحج الثانى بعد حمزة رحمه الله . . »

أنيِّ أُجِلُّ رباعَ الخلدِ فهى به　　أحرَى لمنْ ظل رهنَ العالمِ الفانى

* * *

الحج الثانى بعد حمزة رحمه الله . .

يا قرةَ العينِ هذا حَجُّنَا الثاني　　وأنتَ ناءٍ وفي أحشائِنا دانى

كأنما الدهر قد عشناه فى حُرَقٍ　　وما مضى يا حبيبَ القلبِ:عامان

عسى ضراعتُنا الحرَّى مرفرفة　　تَحُفُّ رُوحَكَ : يا صبري وإيمانى

إنى أُرجيكَ والرجوَى هوى رَمَقٍ　　أن لا تضنَّ على روحي ووجدانى

رُحمىَ من اللهِ حَاوِلْها لأجلِ أبٍ　　جَمٍّ الحنانِ كسيرِ القلبِ أسْيَانِ

لُقْيَا مطمئنة ليست بمعجزةٍ　　وأنت فى ظلِّ مَنّـانٍ وحنان

يا مَنْ سما فوقَ حي : حبُّهُ أترُى　　يقلُّ مقدارُه فى العالمِ الثانى

* * *



البلبل المنتحر

(١)

تجمَّعتَا عِنْدي لَمِيس وأزْهَار　　كَوفْد (غِفَار) والهَوى الأَبُّ غَفَّار

وفى عَين كلٍّ منْهُما ظِلُّ نَسْمةٍ　　شَذَي عِطْرِهَا أَشْياءُ كُثْرٍ وأَخْبَار

وَأَقْبَلَتَا أَمَّا الدَّلال فَنَاطِـق　　وأَمَّا المَرامى تَمْتَمَاتٌ وأَسْرَار

(٢)

وبَعْد حِوارٍ مَنْ يكون المقدَّمُ　　تَصَدَّت لَمِيسُ وَهْيَ للزَّهْر تَوْأَم

وقالتْ غدًا مِيلاد ازْهَار كَيف لَا　　تُفكِّرُ أَيْن الحَفْل أَين التَّبَسُّم

وللعِيد لَمَّا أَن نَسِيت غَرَامَةٌ　　مُؤَخَّرها شَيءٌ وشيءٌ مُقَدَّم

(٣)

فقُلْت رَضِيتُ الحكمَ فوق قَبُولِه　　رَجاءَ هُو العَفْو الذي أَتَأَمَّل

ولمْ أَنْسَه عمْدًا ولكن أبوكُما　　أَنَاخَ عَليه كَلْكلًا ثُم كَلْكَل

ومَالِى لهذا القَولِ هَيَّا تَعجَّلا　　فإنِّى بأَمْر الحُلْوتَيْن لأَعْجَل

(٤)

فقالتْ لمِيسُ أَلْف شُكْرٍ وإنَّــنِي　　وأَزْهارُ باسْم العِيد تَطْلبُ(دُرَّتَين)

(٥)

فَواحِـدة القمريَّتَيْن كأَنَّما عَرَاها هُزَالُ الصَّبِّ فارَق إِلْفَه

فَناحتْ وفي حِسِّ ابنتيَّ كأَنها تُغَنِي كَما غَنَّى الْهزَارُ المُرَفَّه

وأَوْغَل فِيها السُّقْم تَحْجِب سِرَّه وأَضْحَت كَظِل الموْتِ أَوْ هِيَ طَيْفَه

(٦)

وحَيَّرَنا هذا الخَفَاءُ المُـبَرِّح أَسُقْم ثَوَى أَمْ عِلةٌ ليس تَبْرَح

وهذا الأَلِيفُ الحُلْو لَصْقُ جَنَاحِهَا فَلِمْ يَا تَرى هذا الأَسى المُتَرنِّح

إِلى أَنْ لَمحْتُ السِّرَّ في هَتْفٍ صَادِحٍ يَحُوم طَلِيقا وَهْيَ في الأَسْرِ تَرْزَح

(٧)

وشَدَّ الأَسَى شَدًّا على الدُّرَّة التي نَأَى جَارُها مَهْما شَكَى مِنْ جِوارِها

فأَرَّقَها جُرْحانِ جُرْحُ اغْتِرَابِها وجُرْحُ شَهيدٍ دَارُه غَيرُ دَارِها

فَجَار عليها اليَأْسُ حتَّى أَحَالَها إلى عاصِفٍ في سِرِّها وجِهَارِها

(٨)

وصرَّحَ فِيها الشَّرُ تَصْرِيح ثائِرٍ على نَفْسه مُستَعْجِلا أَخْذَ ثَارِها

وَحَاول أَقْصى ما يُحاوِل هاربٌ من العمر والأَقْدارُ رهْن مَدَارِها

وأَبصرها قارورةً ظن ما بهـا زُعافاً فما للنفس غير انتحارها

(٩)

ولم تُجْدِهِ فاحتار يَرْمُقُ مدية وأحجم أعياه اقتناص شِفَارِها

ولما رأى زَحْمَ الإِسَارِ وَقَرّهِ وضاقت به الدنيا بِضْطِ إِسَارِهَا
تحايَل يَبْغى الهُلْكِ يدنو بجِيدُه يُمزِّقُه تَمزِيقَ نَفْس بِعَارِهَا

(١٠)

وَيَلْكُزُ فى الأَسْلاك رأْسًا مُحَطَّما لِيَقْدح شَرًّا واقِدًا مِن شِـرَارِها
ومَا زَال حتى خرّ فى نفس رُكْنِه صَرِيعا وَهُلْكُ النَّفْس بَعْض انهِيارِها
وما رَاعَنِى إلا ابْنَتَاي بِحُرقةٍ يَنُوحان نَوْحَ الوُرْق بَعْد سِفَارِها

(١١)

يَقُولان قَتْلَانا ضَحِيــةُ فَرْحَةٍ وها نَحْن نكْوى من أَسَاها بِنَارِها
فَيَا لَيْت انَّا قد رحِمْنا هَواهُمَا فَما تَسْتَرِيح النفس فى غَيْر دَارِها
وقُلْت لِبِنْتَىَّ أَرْبِعَـا وترفَّقَـا فإن عذَابَ النَّفْس فى سِجْن عَارِها

(١٢)

ولا تُطلِقُ الأَيامُ غيرَ شِرَارِها ولا تحبِسُ الأَيامُ غَيْرَ خِيارِها
وأَنْكى مَعانى الأَسْر خَلْف طِباعِها فَلا تَلْتقى طُول المَدَي فى حِوارِهَا
فَقُولَا مَعِى يا ربِّ عفْوًا وتَوْبَةً وخَلِّ دُجَى الدُّنْيا لَنَا كَنَهَارِها

(١٣)

وَدَعْنا نَذُوق الشَّهد فى خِصْبِ أَرضِهَا ونُبْصِر حَلْواءَ الشَّذَى فى قِفَارِها

* * *

موكب الجمال

في دمعة على فقيد الشباب الأُستاذ محمد فدا

أَنَا ما عرفْتُكَ من قريبٍ بل عرفْتُكَ من بَعيد

وكبُرْتَ فى الأَمْدَاءِ وحْدَكَ مذْ كَبِرْتَ عن المُهُود

وتوزَّعَتْ بِلِدَاتِكَ الآرَابُ فى الوطنِ العَتِيد

ومضَيْتَ كالفَلَّاح تَحْرُثُ ثم تَغْرِسُ مِنْ جَدِيد

وخطَوْتَ كالجُنْديِّ يمشي الهَيْدبى خَلْفَ البُنُود

عِفْتَ الصَّدارة حِين ذابَتْ فى النُّحُور وفى النُّهُود

ورضيت بِالشَّفْرِ الحَميِّ وليس بالشفر البُرُود

وتُضِيءُ حامِية الثُّغور على المَدَي خَلْفَ السُّدُود

أَمجادُهَا سِيَّان فوْق الأَرْض أَوبَطْنُ اللُّحُود

والنورُ يَخْتَرِقُ الحدود ولَا يَطيقُ هَوَى الحُدُود

للموت خاطِرَةٌ تَؤُزُّ أَزِيزَ طائِرةِ الحديد

نقّالة الذِّكْرى مِن الأَمَل الطَّرِيف إلى التَّلِيد

تَنْداح خَالِدة المآثِر حِين تَزْلِف للخُلود

ودمُ الأَبِىِّ الحرِّ يأْلِقُ عِرْقُه كَدَم الشَّهِيد

نَسَقٌ نَهَجْتَ بِه إلى العَلْيَاءِ للهَدفِ السَّدِيد

لكنه النَّهْجُ الوحيد يَلِيق بالأَمَل الوَحِيد

ولقد عَيِينَا بالطرَائق فى المُراد وفى المُرِيد

لا تُوهِمَنَّا بالرَّحيل فأَنْت فى أَوْج الصُّعود

فِيمَا رسَمْت وما بَنَيت وما سَتَبْنى مِنْ بَعيد

فَلَكَمْ تَوارى الليْث يَهْوَي سمعُهُ زأْرَ الأُسُود

والوُرْقُ تَطْرَبُ للصَّدى مِنْها وتَفرَح بالنَّشِيد

الموتُ أَنطَقُ بالحَياةِ وسِرٌّ جَوْهَرها الفَرِيد

ولَكَمْ يعيش الموت أَعماقَ الغَبَاوة فى البَلِيد

ويعيش فى حِقْد الحَقُود لِكَتْم أَنْفَاس الحَقُود

ويعيش فى الجَاهِ المقَنَّع باللآمَة والكُنُود

فى الرِّمَّة الشوْهاءِ تعْجز عن مُعاشَرة القُرود

فى الرَّاقِصين على الحَرير الواطِئِين على الخُدُود

الْمُسْبِلِينَ إزَار أَحْرارٍ على بَدَنِ العَبِيد

فى الحَائِكين الزُّورَ والبُهْتَان فى أَحْلى البُرُود

فى السَّاهِرين وصَحْوُهم يَنْحَطُّ عن صَحْو الرُّقُود

فى القَابِضِين الجَمْرَ يَحْرِقُهم ويَنْفُذُ للجُلُود

حَسِبوه ذُخْرَ حياتِهم والمجد فى البَذْلِ المَجِيد

صَدَقَ الخَليل أَبُو خَلِيل فى الغِيَابِ وفى الشُّهُود

مُنْذُ قَال إنَّك فى شَبابِ بِلادِنَا بَيْتُ القَصِيد

أَيَّام صنَّفْنَا الكَفَاءَة مِنْ قَريب أَوْ بَعيد

بالجُهْدِ بالعَرَق المُشَعْشَع لا بِأَعْراق الجُدود

سِرُّ الفَراسَةِ لا يَخِيب وصِدْقُها صِدْقُ العُهُود

عِشْ فَوْقَ مَا تَهْوى فَمَا الفِرْدَوس إلَّا للنَّجِيد

وصِلِ الحَيَاة وزِدْ فأَنْت اليوم أَجْدَرُ بِالمَزِيد

* * *

تأبين شاعر

لا تَنُوحوا عليــه لا تُزْعِجُوه فَهو للموت مِثْلُه للْحَيَــاة

نَغَم تَسْبَح المَواكِب فِيــه وهَوى نَابض الرُّؤي باسِمَات

وَمَعَانٍ تَرنَّحت فَتَلاقتْ بِمعــانٍ قُدْســيَّةِ النَّفَحَات

إنَّها رحلةُ المَشُوقِ لِصَحْبٍ أوفِيَاء فَوْق السَّحابِ . . أُبَاةِ

قد دَعُوه إلى الوِصَال فَلَبَّى دَعَواتٍ مُجَـابة الدَّعَــوات

وصْلُه بَيْنَــكُم وبين رِحَاب غَامِرات بِفَيْضِهــا عَامِرات

تَتَحرَّى أنْسَامُــكم بِلِسَانٍ شَاعِر الحِسِّ . . شاعِرِ الكلمات

فَهو فى عالَم الخُلود سَـفِير وافِدٌ للحياة عبْر المَمَات

لا تَقــولوا قضى لأَروع جلَّى ثم صَلَّى وحقَّق المُعْجِزات

إن أَحْلى الأَيام فى عُمر الشــاعر يومٌ يَضِجَّ بالذِّكْريات

طَالَما أرسل المَواجِيد فى الحَرْف مُضِيئًا إضاءَة الآيات

عبْقَرِيٌّ الإِيمان وقْدُ المَعَانى مِنْ تَرانِيم حِسِّــه فى صَلاة

قَد تَسَامى ولم يَزَلْ يَتَسَامى فى إباءٍ على هَوَى الغَانِيَات

إنه طَامِحٌ ولكِنْ إلى الْخُلْدِ وسِيم الرُّؤَى شَفِيف السِّمَات

تَتَروَّى منْه الكُؤوسُ أَفَانِين ويَرْشِفْن أَعْطَرَ النَّسَمات

قَبَس كالصوى يُغَرِّد لِلْفَجْـر ويَسْري مع الدَّجَى فى أنَاة

ومعِينٌ ثَرٌّ تَحُـوم عليـه نَاهِلاَتٌ كَرَائِمُ الأُمْنِيـــات

الهداة . . الهُداةُ رجْعُ مَعانِيه وأَطْيَابُه قُلـوبُ الهُـداة

* * *

لا تَنُوحوا عليه لا تُزْعِجـوه لا تَشُقُّوا الجُيوبَ كالنَّائِحَات

فَهْو لَمْ يَبْرح المَوَاقِف عَاشَت فى مثَانِيه حَيَّةً خَالِدات

وهو بيْن المُروجِ عِطْرٌ شَذَاها أَخذَت عَنْه أَنْضَرَ البَسَمات

وَهْو للأُمْسِيات بُلْبُلُها الشَّـادِي يُدَاوِي الآهَات بِالآهَات

والحياةُ الحياة مصْدرُ إلْهَام دَفُوقٍ مُجَنَّح الوَمَضَـــات

دَيْدَبان على الزَّمانِ فما ضَاق بِمَاضٍ ولا اطْمَـأَنَّ لِآتِ

جَاذَب الطَّيرَ مَنْطِـق الطَّيْر إذْ تَهْزِج صَدَّاحَةً بِشَتَّى اللُّغَات

وأَذَاق الجَمَال رَضْب حميـاه شُمُوخًا فى الأَعْين السَّاحِرات

وأَبَاحَ الأَغْصَانَ حُسْنَ التَّثَنِّى فى دَلالِ الكَواعِبِ المائِسَات

وجَلَا فى الصُّدود عِزَّة تَيَّـاهٍ صَدُوفاً عن الْخَنَا والْهَنَاتِ

* * *

فاعزِفُوا حَوْل نَعْشِهِ وأَعِيـدُو لَحْنَه الْغَضَّ راقِصَ النَّغَمَات

وانسجُوا بالأَقَاح إِكْلِيل غَارٍ ضفـرته أَنامِلُ الفَاتِنَات

صَفِّقُوا الرَّاح والهبُـوا بِلَظى الحبِّ قِدَاحًا حَرَّاقة اللَّذَعَات

وصِلُوه بِمجدها فالْكَرِيمُ الحُرُّ رَجْـواه فى وشِيجِ الصِّلات

طَاوَلَ الشَامِخَاتِ نِدًّا لِنِـدٍّ لم تَجِدْه رِحابُها فى العُفَـاة

طَمْئِنُوه على المواهِب غَذَّاها فَضَاءَتْ كالأَنْجُم النَّيِّرات

وإذا صَلَّتْ الجوارح تكْرِيما لأَهْـداف الَّتى واللَّـوَات

فَتَحرُّوه فى المواقِف صَـدَّاحا وفِيًّـا مُبَارك الخَطَوات

لَفتَاتُ الحِسَانِ قَدْ قَبَسَتْ مِنْهُ وفُزْتُم بأَرْوعِ اللَّفَتَــات

وأَسِيرُ اللِّحاظِ دُون أَسِـير أَوْثَقَتْه حَنَادِسُ الذِّكْرَيات

* * *

لسْتُ أَرْجُو له رِعايَة أَبْنـاءِ صِغَارٍ مِنْ بَعْده أو بَنَـات

إن آبَاءهم مَبادِئُه الحرَّة أَحْنَى حتى مِنَ الأُمَّهَـات

لا تقولوا جَرَى الزَّمَان بما نَكْره فِينـا إِذْ مزَّقَ الآصِرَات

فالزمانُ . . الزمانُ أَخلاقُ أَهْلِيه ومِيزَاتُه مَعـالِى الصِّفَات

إنَّما اسْتَمِيح للشَّاعِر العُذْر وأَدْعوا أَمْجَاده للْحَيَـاة

فى مَغَانيه فى مَجَالِيه لا تَنْضُبُ فى الخاطِرَات فى الأُمْنيَات

فى العظِيمَات كَان صَيدحَها الغرِّيِّدَ فى الخاطِرات فى النَّفحاَتِ

فى البُطولات صَال فيها مَصَال الليث فى أَضْيَق الضَّائِقات

يومَ تُجْلى عَرَائس الفِكْر فى الآفاقِ ضجَّت به ضَجِيج الغُزَاة

اقْرِؤه السلام يومَ نُضَحِّى فى سبيل السَّلام بالمُهْجَـات

يومَ نَسْمُو على النفوس علَى الآراب عَافَتْ إِلَّا حياة الْهُدَاتِ

لا تنوحوا عليه بَلْ رتِّلُوه إِنَّه رحمـةٌ مِن الرَّحمَـات

إنه زاهـد تَبتَّل لِله فأَغْفى إِلَّا عنِ الهَمَسَـات

وتَوَارى عن العيون وخَلَّى رُوحَه للسَّحَائِب الهَاطِـلات

فى مَهَب الرِّياح فِى الأُفُق المكْشُوفِ للرائِحَات للغَادِيَات

للفَضَاء الرَّحيب طالَما لَوَّن آفاقَهُ بأَحْـلى الشَّـيَات

إنه الوعْد فى حقيقتِه الكُبْرى التى عاشَهَا على المِـرْآة

قد تصدَّى لها على وضَحِ الذَّات وكَمْ هَامَ فى ظِلَال الذَّات

عَاشَها بالخيال صَوَّره الفَـنُّ جَمِيلًا فى أَرْوَعِ الرَّائِعاتِ

فإذا أَدْرك الحقِيقة بَيْضَـاءَ تَبدَّت فى أَبْدَعِ الطَّلَعَـات

فَهى أَحلامُه العِذَاب تَرَاءَتْ صائِحَاتٍ فى أَصْدَق اليَقَظَاتِ

لِتقولوا عنها نُبُـوءَات حِسٍّ شَاعريٍّ عَميقَةٍ صَادِقَات

* * *



فَقدْناه أَدْنَى ما يكون لأَنْفُس ... تَشَاكل فيها بِالمحبَّة مَشْرب

عزِيزًا أَثِيراً جُهدُه ذَوْب نَفْسِه ... يجودُ بِهَا والرُّوح للروح مَطْلب

تنوَّعحُبُّ الناس ذَوْقًا ومذْهَبًا ... وحُبُّك أَهْل الله فى الله مَذْهَب

شَواغِل منها كُنْت فيها مُوزَعًا ... تُبَاعد عَنْها تَارةً وتُقَــرِّب

وقُرْبى إلى بيْت النبيِّ قَرِيبــة ... تَهِيج إذا قَالوا « حُسَيْن وزَيْنب»

تـأَلَّق فِيك الْحُبُّ نوراً وبهْجَةً ... فَلَا صَبْوَةٌ تُلْهِى ولا ثَمَّ مَأْرب

لقدنَاءك العِبْءُ الثَّقِيل وإنَّها ... متاعِبُ أهل الله تُوهِى وتُكْرِب

أَيَا جَار أُنْس طابَ لى فى جِواره ... كرِيم وَفَاء مِنْك حُلْو مُحَبَّب

توشَّح فى أَوْلَادنا من ولَائِنا ... وَلَاءٌ رعاه من أُبُوَّتِنَــا أَب

عجِبْت له إذْ جاءَ بِى فى جِوارِه ... لِيُشْرق فِينا قُرْبُه ثم يَغْــرب
وزَاحَمنَا بالذِّكْــريات تَنوَّعت ... صَباحًا مساءً طيفُها يَتوثَّب

(٢)

لِلنَّاس يَحْيى بِما نَالُوا وما ظَفِروا ... وفى مَرامِهمُو يَحْلو له السَّبْــق
يُعْطى لِيسْتَوهِب الأَنْفَاسَ ضارِعةً ... مِنْ واثقِين بِما فى ذَاتِه وثِقُوا
والرَّائد السَّمْع إذ تَعْنُو الصِّعاب له ... لَنْ يسْتريح إليه المَوْضِع القَلِق
وتَشْرئِبُّ له الأَعناق زاحفَــةً ... مَوَدَّة ليس فِيها المين والمَلَق
تَحكى سرائرُه صفوًا وتُشْبِهُها ... صِدْقا توحَّد فيه النَّهْج والنَّسَق
فأَيُّ مطْلَبِ عِزٍّ لا يَلِين له ... وأَيُّ شعْبٍ بما يُمْليه لا يَثِــق

* * *

(٣)

وحتَّى صِغار الدَّار كان يَحُوطُهم ... بِودٍّ عجيبٍ والنَّوِي مِنْه أَعْجَب
إذا طَرقتْ فى الباب طرْقة طارِق ... تَنَادوا لقد جاءَ الشَّرِيف ورَحَّبُوا
فَيَا غائبا ما سَاءَنا منْه حاضِرٌ ... ولكِنَّنــا فى غيْبِــه نَتَعذَّب
تَحَرَّيْت أَحْداث الزَّمان غَياهِبًا ... تَمُر إلى أَنْ لَفَّكَ اليوم غَيْهب
جَزَتْك الغَوادِي رَحمَةً أَنت أَهلُها ... تَظَلُّ على أَفْيائها تَتقَــلَّب
ولا زِلْت حَيًّا فى بَنِيك وكُلُّهم ... نُجُوم عَليْها من رِضائِك كَوْكَب
وإنِّى على عَهْد المَوَدَّة راجِيًا ... بِحُبِّك قُرْب الله إذْ أَتقَــرَّب

* * *

إلى روح ولدي

لو عِشْتَ أَبْصرتَ آمالا مُحققة كانت مقَاصِدُك الكُبري تُرجِّيها

ما أثْمرتْ غيرَ ما قد كُنْتَ تغرِسُه يا ليت قاطِفَها مَن كان سَاقيها

يا غيثُ طيِّب ثراه إنّه جَدَث ما إن له غَيْر رُحمى الله يُولِيها

ويا أَبا ضَاقَ بِى ما تمَّ مِنْ أَمل إِذْ لم تكنْ حَارِسَ النعْمى وحامِيها

رَسمْتَها والنُّهى من حولها قبَس وقُلت دونَك فى العَلياء عالِيها

ورَّثْتنى خلقَ الأَمجادِ أَنشُدُها منى على الجُهد تطْوينى وأَطْوِيها

قُلت الرَّزايا ميادين مُشَوكة يجْتازها هادِم الدُّنْيا وبانِيها

وما عدَتْنى مِن الأَحداثِ مُزعجة مِمَّا علمْت ومما لَسْت تَدْريها

فِيها رضاؤك بعْد الله زاملَنى فما رأَتْنى البلَايا غيْر راعيها

ذُقْتُ الأَمرَّين من جوْر ومن عَنَتٍ لم يَحْمِنى من طِباعى خيْرُ ما فِيها

والعِلْم والفِكر قَادَانى لِصَاخِبة مِنَ الكُروب تَمادَت فى تَجنيها

جَرَائر الخُلُق العــالى أُجَرّعُهَا والوغْد يسحَب أَذْيالَ العُلا تِيها

ومَا أَنا اليَوْم إِلَّا نِضْوُ معركةٍ أَبقَتْ عليَّ من الدنيا معَانِيها

الفضْلُ عِندي تُراث عَزَّ وارِثه والمَال عندي من الأَخْلاق عَالِيها

إن سَالَمتْنى الدنا أَوْ أَنْ قَستَ شَرع لَسْت الحَرِيصَ على غيْرِ الهدَى فِيها

إن عاجَلتْني لم أَعْجَل وإِن هَجَعت هجعْتُ ملْءَ عُيونى عَن مآسِيها

لم تُعْط مثلَ الذي أَبْلت وقد وهَنَت مِنِّى القُوي وَضَعيف القَلْب راجِيها

* * *

حمزة ومرام

يَا فَلْذَتَيْ كبدي وبَهْجَةَ ما أَرَى فى كونِيَ المتَــرنِّح البَسَّــام

تابَعْت آمالَ الحيــاةِ وصَفْوَهَا فوجَدتُها فى (حمزة) و (مرام)

* * *

فى رثاء مصطفى مفتى

تلميذ عزيز عندي – مات فى العشرين من عمـره

فَقدْتُه عزٌّ مفقوداً على الزَّمَنِ نـأى وأوْرَثَنى شَجَناً عَلىَ شَجَنِ

يا لَيْته نـأْيُ عوْدٍ استعلَّ بـه لكِنَّه الرَّزْءُ قد أَضْحَى ولم يَهِن

يامصطفى ما اصْطَفَتْ نفسى به بَدَلا فى غُرْبَتى عن بِلاد المصْطفَى وطنى

قد كنتَ توأَمَ نَفسى كَمْ فرِحتُ لها وكَمْ حزِنْت على ما مسَّ من حَزَنِ

وأَودَعَتْكَ عظيماً من سَرَائرِها لما رأت يقظا للعهد لم يَخُـن

أُمنيَّة كان فى نفسى تَنَقُّلُهـا وَمُهْجَةٌ لِيَ فِى حِلِّى وفى ظَعَنى

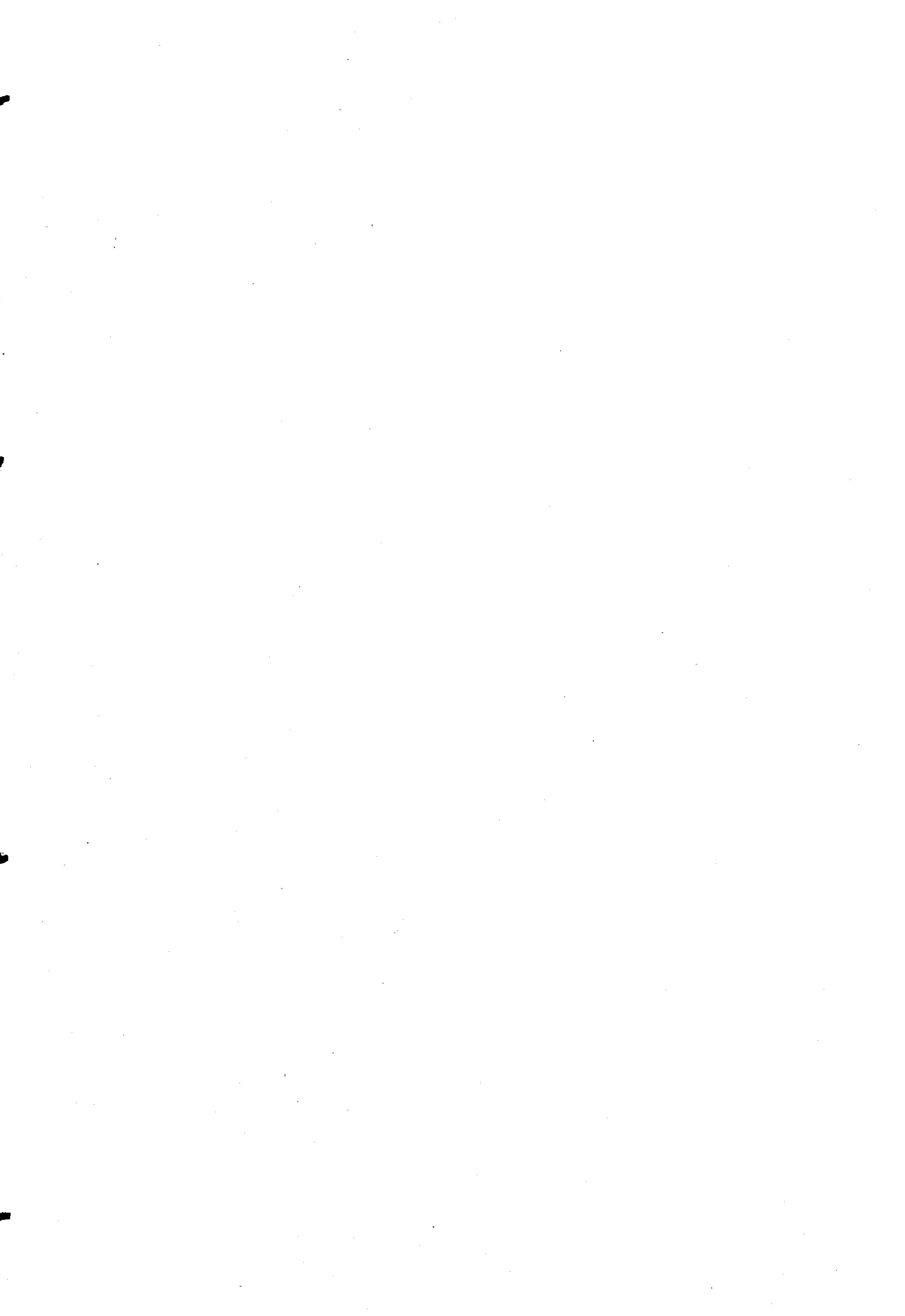
إن سِرْت يَتْبعنى مِنْ ضوئها قَبَسٌ أو اسْتَقَمتُ حَلاَ فى فَيْئِها سَكَنى

يا راحِلًا وله فى القلْب مَنْزِلةٌ هَلَّا رحلْتَ بِقَلْبٍ فيك مُفْتَتِنِ

لَئِن ذكَرْتُك بَعْد الموتِ تكرمةً فإن روحك بَيْن الخُلْد تذكرنى

• • •





الفهرس

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

القسم الثالث ـ رثاء